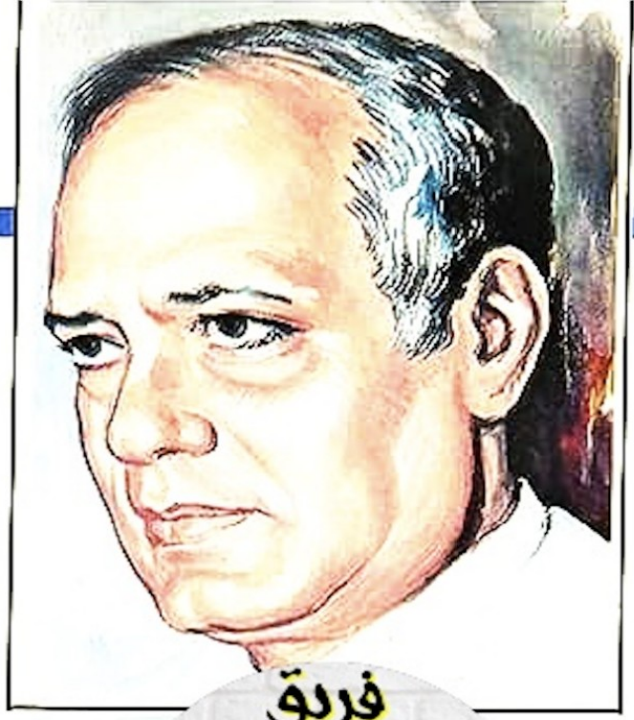

عبد الوهاب مطاوع

فريق متميزون
E-BOOK

العيون الحمراء

الدار المصرية اللبنانية

مكتبة فريق (متميزون)
لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية
قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل كتاب: العيون الحمراء.. للكاتب عبدالوهاب مطاوع الى صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الى نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم إلى الجروب

انضم إلى القناة

كتب مجمعة لبريد الجمعة

العيون الحمراء

عبد الوهاب مطاوع

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاصْبِرْ عَلىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ

(صدق الله العظيم)

مقدمة

العيون الحمراء هو اسم هذا الكتاب السادس من سلسلة كتبي التي تضم مجموعات من القصص الإنسانية الواقعية التي اقتربت منها من خلال موقعي كمشرف على بريد الجمعة في الأهرام، وطالبني قراء البريد بجمعها في كتاب يستلهمون منه تجارب الآخرين في مواجهة اختبارات الحياة المتكررة.

وقد أوحت الي بهذا العنوان رسالة نشرتها في بريد الجمعة لشاب وحيد، كانت تربطه بأبيه علاقة حب عميقة مثالية ثم فقد أباه فجأة قبل أن يشتد عوده فبكاه طويلاً وبمرارة أورثته حساسية في عينيه. فاستقر اللون الأحمر في إحداهما.

ولقد اخترته لهذا الكتاب عنوان «العيون الحمراء» إشارة الى عيون المهمومين والمظلومين ومن يمضون في الحياة طاوين أجنحتهم على أحزانهم الخاصة، وتنبهت وأنا أفكر في مغزى هذا العنوان الى أن عيون الإنسان هي بحق خير مؤشر لحالته النفسية والعاطفية والذهنية، فالمهموم عيونه حمراء وسوداء من أثر البكاء أو أثر الانفعال المكتوم بأحزانه، ومسحة الأسى تنعكس أبرز ما تنعكس على عيون الإنسان وتستقر فيها ما طالت آلامه.

وعيون الإنسان في حالة سعادته الطاغية ضاحكة ومتراقصة، وعيونه في لحظات الحياة الأليمة منداة كآبية وعيون خالي البال صافية كالماء الرائق.. وعيون المهموم بأمره غائبة ساهمة، وعيون الأذكياء لامعة وعيون الأغبياء خاملة، ولأن الحياة مزيج متعادل غالباً من لحظات الأسى ولحظات السعادة، فإن عيون الإنسان تتراقص أحياناً من السعادة وتحتقن في أحيان أخرى في المواقف الأليمة والصعبة في حياته، سواء لانت له عيونه.. أو استعصت عليه الدموع. وفي هذا الكتاب مجموعة من قصص بعض أصحاب العيون الحمراء الذين استودعوني همومهم وسألوني الرأي والمشورة في آلامهم، وحاولت قدر جهدي أن أخفف بعض دموعهم فنجحت في بعض الأحيان.. وفشلت في بعض الأحيان.. وأضفت الى عيونهم عيناً حمراء جديدة في أحيان أخرى!

وكان عذري دائماً هو أنني بشر مثلهم له قوته أحياناً في مواجهة آلام الحياة.. وله ضعفه وانهزامه أمامها في أحيان أخرى.. وأننا جميعًا «هذا الإنسان».

«حزين يتأسى بحزين» كما يقول الشاعر: وحائر يلتمس الأمان لدى حائر آخر أمام تناقضات الحياة التي لا حدَّ لها.

عبد الوهاب مطاوع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

طاحونة الهواء

أنا يا سيدي مهندس معماري عمري 44 سنة نشأت ابناً وحيداً مع ثلاث شقيقات لأب يعمل مدرساً بالمدارس الحكومية.. وأم ربة بيت طيبة وعشت طفولة عادية بين أبوي وشقيقاتي أتمتع بحب أفراد أسرتي، ويخفف ذلك بعض جفاف حياتي.. فلقد كان أبي مدرساً «لمادة» غير مطلوبة في سوق الدروس الخصوصية في تلك الأيام فلم يكن له مورد سوى مرتبه.. وبالتالي كانت حياتنا متقشفة.. وتكاد تنحصر في هدف واحد هو أن نتفوق في دراستنا لنتخرج ونجد عملا..

ومن أجل هذا الهدف الأساسي كان أبي يكرس حياته ويراقب دراستنا.. ويخضع البيت للأحكام العسكرية قبل الامتحانات. ورغم حنان أبي وعطفه علينا جميعا إلا انه لم يكن يقبل أي تهاون في أداء واجباتنا الدراسية وقد حدث في فترة مراهقتي أن رسبت في امتحان السنة الأولي الثانوية فخاصمني لمدة عام كامل منذ لحظة ظهور النتيجة.. خصاما كاملا شاملا لا يوجه لي فيه كلمة واحدة.. وإذا خاطبته لم يجبني بشيء الى أن نجحت متفوقا وجاء ترتيبي الأول على المدرسة.. وفي هذه اللحظة فقط ابتسم في وجهي لأول مرة وهنأني وسامحني. ولقد أثمرت تربيته شبه العسكرية لنا فالتحقت بكلية الهندسة وتخرجت منها بتقدير جيد والتحقت بعمل حكومي وتخرجت شقيقاتي الثلاث تباعا بعدي من كليات نظرية.. وأحس أبي انه قد حقق رسالته في الحياة.. فرضى عن ذلك وبدأ يعاملني كصديق.

وكنت قد بدأت أعمل في مكاتب المهندسين المعماريين بعد الظهر. وأرسم لهم اللوحات والتصميمات مقابل مكافآت محدودة، وعُرفت عندهم بقدرتي على إنجاز أي عمل يطلب مني حتى ولو واصلت العمل فيه يومين بلا نوم فأصبحت أعمل كثيرا.. وأكسب أضعاف ما أتقاضاه من مرتبي.. وأبي يرقبني بقلق.. وعلى هذا الحال أمضيت أربع سنوات بعد تخرجي.. اكتشفت بعدها أني لم أفكر لحظة واحدة في موضوع الزواج ولم ألتفت الى أية فتاة.. وكانت شقيقتي التي تليني قد تزوجت من مدرس وتعاونا معا على تأثيث بيت بسيط للزوجية... فسألني أبي ونحن في حفل الزفاف: وأنت أيها الشاب متى تتزوج؟.. فلم أحر جوابا.. فلقد كان ما معي من مدخرات وقتها يكفي لبدء مشروع الزواج.. لكني كنت في أعماقي أتطلع الى حياة أرقى لا يعاني فيها أبنائي جفاف حياتي السابقة، فقررت أن أؤجل المشروع الى أن أحقق حلمي الأكبر.

وجاءت فرصة تحقيق الحلم.. حين نجح مسعاي في الحصول على عمل في إحدى الدول الخليجية وأبلغت أبي به وشرحت له تصوري.. فسمعني صامتاً ثم قال لي: عندك ما يكفيك لكنك غير راض فافعل ما تشاء.. ولكن احذر من أن تملكك النقود بدلا من أن تملكها أنت وطمأنته وأنهيت اجراءاتي.. وسافرت

وتسلمت عملي سعيدا ونعمت بالمرتب الكبير الذي كنت أستطيع ادخار أكثر نصفه.. وأرسلت لأبي وأمي مبلغا صغيرا مساهمة في نفقات زواج أختي الثانية.. ثم جرفني العمل مرة أخرى كحالي في القاهرة فأصبحت أخرج من عملي الحكومي الى مكاتب المهندسين.. وأسهر على اللوحات في مسكني حتى الصباح. وأمضيت العام الأول في غربتي بلا إجازة سنوية لكي أستفيد بمقابلها المالي. وفي العام الثاني حصلت على أول إجازة لي فحزمت حقائبي وركبت الطائرة الى القاهرة. وفي الطائرة جاءت جلستي بالصدفة الى جوار فتاة مصرية خمنت أنها عائدة مثلي في إجازة فتجاذبنا أطراف الحديث لقطع الوقت.. وعلمت منها أنها لا تعمل في البلد الذي أعمل به وإنما كانت في زيارة لشقيقتها المتزوجة هناك بهدف أن تجد عملا، ولم تجد لأنها لا تحمل سوى الثانوية العامة. ووجدت نفسي مهتماً بفتاة لأول مرة منذ سنوات طويلة فعرفتها بنفسي ورغبت في أن أعرف عنوانها بحجة أني أستطيع أن أوفر لها عملا في الدائرة الحكومية التي أعمل بها.

وافترقنا في المطار وعدت لبيتي وأسرتي.. وسعدت بهم وسعدوا في وحضرت زفاف شقيقتي الثانية الى موظف على قد حاله لكنه طيب وتحبه شقيقتي.. ثم اتصلت بالفتاة تليفونياً وطلبت تحديد موعد لزيارتها لاستكمال بعض البيانات وذهبت الى بيتها فاستقبلني خال عجوز لها وأمها ثم جاءت هي فتجاذبنا أطراف الحديث لمدة ساعتين وانصرفت سعيدا.

وتكررت الزيارة واللقاء.. ووجدت نفسي منجذبا لها.. وراغبا فيها ولمست منها تجاوبا مماثلا.. فأبلغت أبي بالموضوع فنشط بجديته المعهودة للسؤال عن الفتاة وأسرتها.. ثم عاد بعد أيام ليقول لي: هل ضاقت بك الدنيا حتى لا تجد من تتزوجها سوى مطلقة عندها ولد؟!

وكنت قد عرفت هذه الحقيقة منها قبل أيام فلم تؤثر في رغبتي فيها.. فأطرقت برأسي صامتا، فقال لي: ليس هذا هو اعتراضي الوحيد.. ولو كان لما توقفت عنده طويلا فربما كانت سيئة الحظ لكن الأسرة يابني ليس فيها متعلم واحد مثلك وشقيقتها المقيمة في مقر عملك متزوجة من سباك شبه أمي والأسرة كلها لها طابع سوقي أخشى ألا نستطيع أن نتعامل معه.. فنحن وإن كنا بسطاء مثلهم إلا أننا متعلمون جميعا!

وسكت. وأدرك أبي بحكمته تصميمي.. فنفخ ضائقا وقال الأمر الله!

وخطبت فتاتي وعدت لمقر عملي وتواصل لقاؤنا بالخطابات والاتصالات التليفونية، وتعمقت مشاعر الحب في قلبي.

وعدت في الإجازة التالية.. وعقدت قراني عليها وأقمت معها لمدة أسبوعين في أحد الفنادق ثم عدنا الى مقر عملي وقدمت زوجتي لأصدقائي وأسرهم.. وعشت شهور العسل الأولي في غاية السعادة.. ثم واجهت أول مشكلة في حياتي الجديدة حين عجزت عن استقدام ابن زوجتي للإقامة معنا لأنه ليس

ابني ولا أستطيع أن أستخرج له تأشيرة دخول وبئست زوجتي من إمكانية ذلك فطلبت أن تعود لتمضي معه الشهور الباقية على إجازة الصيف.
وعادت، وعدت أنا لحياتي الأولي من العمل المتواصل لزيادة المدخرات وتحقيق الأحلام.. وكلفت زوجتي بشراء شقة في القاهرة وحولت اليها المبلغ المطلوب باسمها وطلبت منها أن تكتب عقدها أيضاً باسمها.. واعترف لك أني فعلت ذلك لأني خشيت إن حولت المبلغ لأبي ليقوم بهذه المهمة أن يستكثره.. ويستهول أن أدفعه في شقة وهو من عمل 40 سنة ولم يقبض طوالها ما يصل الى هذا المبلغ!
واشترت زوجتي الشقة وحولت اليها مبلغا آخر للأثاث وعدت في الإجازة فوجدتها قد فرشت الشقة بأثاث فاخر استنفد المبلغ الذي أرسلته كله بل ووقعت على شيكات بقيمة عدد من الأقساط الباقية.. ولم أجد مفرا من الدفع!
وشعرت بتأنيب ضمير حين لم أستطع أن أشارك إلا بمبلغ زهيد جدا في نفقات زواج أختي الصغرى.. وزاد من حرصي ما بدا على زوجتي من ميل واضح للإسراف والفخفخة التي لا تتناسب من نشأتها العائلية.. لكن أبي وأمي لم يعتبا على واكتفيا بلفت نظري الى محاولة الحد من إسراف زوجتي حتى لا تضيع ثمرة شقائي هدرا.
ومضى عامان على زواجي ولم تحمل زوجتي.. وبدأنا رحلة الفحوص فصدمت بأني غير قادر على الإنجاب.. وبأنها أيضاً قد أصبحت كذلك فتعجبت من تصاريف القدر ووطنت نفسي على الرضا بحياتي هكذا. وعشنا حياتنا بعد ذلك سعداء أو هكذا أردت لنفسي فاهتممت بأمر ابن زوجتي واعتبرته ابني.. وادعيت لزملائي في العمل أنه من صلبي، وأصبحت زوجتي تأتي لتقيم معي شهور كل سنة وأعود أنا الى مصر في الصيف لأقيم معها حوالي شهرين، وفيما عدا ذلك فهي في بيتها في القاهرة وأنا في بيتي في الغربة. وارتحت لذلك الوضع لأني كنت قد تحولت الى آلة تعمل ليل نهار وخشيت ان يعرقل وجود زوجتي معي بصفة دائمة هذه الآلة عن الدوران.. خاصة وأنى تأكدت من أنها متلافة ولا تكف عن طلب النقود وأحاول أن ألبي رغباتها.. وأضاعف من جهدي لتكون لي ثروة كما أني في ذلك الوقت كنت قد بدأت أقوم بعمليات صغيرة لحسابي واستخدم المهندسين الشبان في مساعدتي.
وهكذا مضت 15 سنة على زواجي بلغ «ابني»، فيها سن التاسعة عشرة واكتشفت للأسف أني لم أستطع أن أغرس حبي في عمق قلبه رغم ما بذلته له وترجمت على أيام شدة أبي معنا.. وأنا أراه مستهتراً مدللاً متعثراً في دراسته ينفق باليمين واليسار ويطالب بالنقود بوقاحة كأنها من ميرا راث أبيه رغم وجود والده على قيد الحياة.. ثم لا يبدي اهتماما بشيء يتعثر في دراسته ولا يستطيع رغم الدروس والمحاولات الحصول على الثانوية، لكن علاقتي بزوجتي كانت مرضية لي رغم تحفظات أبي وأمي اللذين بلغا السبعين على

بعض سلوكها.. وعلى تعاليها المصطنع على شقيقاتي الثلاث اللاتي يعشن حياة بسيطة عادية وحرصها المتكلف على إظهار تميزها.. واعتيادها للثراء!
وقد أثمرت رحلة كفاحي في الغربة وعملي المتواصل فيها الكثير فاشتريت قطعة أرض للبناء.. وشهادات استثمار كثيرة.. وبضعة أفدنة مستصلحة بالقرب من وادي النطرون وسلمتها لأزواج شقيقاتي البسطاء مقابل مصلحة مشتركة فخدموها بإخلاص وتولوا شئونها بكل أمانة، وسيارة فارهة تقودها زوجتي وابنها في شوارع القاهرة. وقد اشتريت كل ذلك وسجلته باسم زوجتي بل إن كل مدخراتي السائلة وضعتها باسمها في البنك في مصر لتستطيع التصرف فيها عند غيابي بالسفر. ولا تسلني لماذا فعلت ذلك فلقد كانت بعض أسبابي أني أردت إشعارها دائما بالأمان خاصة وأنها تتصور أني قادر على طلاقها والزواج من غيرها في أية لحظة مع أني قد سلمت لنفسي منذ زمن بعيد أني ضعيف معها ولا أستطيع تحمل فكرة انفصالنا. وكانت بعض هذه الأسباب، هي ضغوطها على بعد ان استراحت لهذه الطريقة في تحقيق أهدافها. وربما كان منها أيضاً سامحني الله أني حرصت على ألا أطلع أبوي وشقيقاتي على مدى ثرائي لكيلا يطمعوا فيّ.. مع أنهم في منتهى القناعة وربما كانوا أكرم مني. لكن هذا ما حدث فكنت أدعي أن بعض ما اشتريته باسمها هو من مالها أنها لا مورد لها إلا نفقة ابنها التي قررتها المحكمة ولا تزيد على 28 جنيها كل شهر!
ورغم كل شيء فلقد كنت راضيا وسعيدا.. أعمل كالطاحونة في الشهور التي أعيش فيها وحيدا.. ثم أستمتع بالسعادة مع زوجتي حين تجيئني في مقر عملي وأخفف من ساعات عملي. وحين أعود اليها في مصر أغرق معها في السعادة والنزهات والخروج الى الملاهي والفنادق التي تحب زوجتي الجلوس فيها.
وكنت في إحدى هذه الإجازات السعيدة يا سيدي حين شكت زوجتي فجأة من زغللة شديدة في عينيها.. ثم أصيبت بدوخة وتكرر ذلك فاصطحبتها الى الطبيب فبدأنا رحلة طويلة كشفت لنا عن كارثة في مخ زوجتي وبدأنا رحلة الآلام، وأجرينا لها جراحة دقيقة في القاهرة.. تحسنت بعدها واستردت عافيتها.. ثم لم تمض عدة شهور. حتى أطل الخطر من جديد فعدت اليه ا.. وسافرت معها الى لندن وباريس.. وعدنا الى مقر عملي واستطعت بفضل اتصالاتي أن أرتب لها إجراء جراحة جديدة في أكبر مستشفى بالبلد على يدي خير أجنبي زائر. وبعدها بشهور اصطحبتها الى لندن لإعادة الفحص. فصفعني الأطباء الانجليز بالحقيقة القاسية كما اعتادوا هم أن يصارحوا بها المريض وأهله: أنها مسألة عام على الأكثر يا سيدي.. إن لم تكن أقل.. ولا أمل في جراحة أخرى.. وعدت كارهاً كل شيء وكان أقسى ما آلمني هو أن زوجتي قد علمت بكل شيء على غير إرادتي وهالني أنها لم تنهر.. ولم تفقد قوة

أعصابها.. وإن كانت فترات صمتها تطول من حين آخر.. أما ماعدا ذلك فهي لا ترفض دعوة للخروج أو السهر وتتلهف على السعادة أكثر مما مضى.
ولم أشأ أن أبتعد عنها طويلا فألححت عليها أن تبقى معي في مقر عملي واستجابت. وبعد شهرين طلبت مني أن تعود لتكون بجوار ولدها مع قرب الامتحان فوافقتها وبدأت أتصل بها كل يوم.. وفجأة تنبهت الى شيء هام لم ألتفت اليه طوال انشغالي بعملي المستمر ثم بهذه المحنة التي اعترضت طريق سعادتنا. وجاء ذلك عفوا حين اتصلت بها وطلبت منها أن تدفع من حسابي في البنك لزوج شقيقتي الكبرى مبلغا طلبه مني لشراء صوبة زراعية للأرض الجديدة.. ففوجئت بعدم حماس زوجتي لذلك بل وبفتورها ومحاولتها إثنائي عن هذا المشروع رغم اتفاق السابق عليه بدعوى أنه لا داعي له. ثم فوجئت بإصرارها على الرفض بلا أسباب فأنهيت المكالمة.. وجلست أفكر ذاهلاً.. يا إلهي إن كل ما كسبته من شقاء 19 عاما في الغربة ومن عملي المتواصل ليل نهار بلا آدمية بل ومن تقتيري على نفسي خلال شهور وحدتي.. هو الآن باسم زوجتي. فماذا أفعل إذا حم القضاء؟
ورغم حبي لزوجتي وتأثري لحالها بل وضعفي معها، فقد ن استشرت محامياً صديقا لي اعترفت له بالحقيقة لأول مرة وهي أن ابني هذا ليس إبني ولا أمل في أن يكون بارا بي لأنه ليس كذلك حتى لأمه، فنصحني بأن استرد بالتفاهم معها وعن طريق الهبة أو البيع ما كتبته باسمها من شقة وأرض زراعية وأرض بناء وسيارة وحساب في البنك لأنها من مالي.
وحين عدت الى مصر.. حاولت أن أتلمس الطريق الى هذا الهدف مع حرصي على أن أكون عادلا فطلبت منها أن تبيع لي الأرض الزراعية وأرض البناء والشقة وأن تهب السيارة لابنها وتقسم النقود الموجودة في البنك، وهي مبلغ كبير، بيني وبينه ليحصل بها على شقة أصغر ويضمن دخلا معقولا الى أن يعمل مع تعهدي لها بأن أرعاه الى أن يقف على قدميه.. فإذا بزوجتي الحبيبة التي لم أسئ اليها مرة واحدة طوال 16 عاما ترفض رفضا باتا التنازل عن أي شيء لي لا الشقة ولا الأرض ولا أرض البناء ولا حساب البنك.. لا شيء لا شيء يا سيدي هل تصدق؟ وأعدت الكرة معها مرة أخرى فوجدتها أكثر إصرارا وإصرارا بل وبدأت تجتنبني، فرثيت لحالها وحالي وحاولت أن أؤجل الحديث في الموضوع لفترة قادمة وخجلت من أن يفتضح أمري أمام أبي الذي تجاوز السبعين ويعيش بمعاشه المحدود ولم أقدم له واحدا على ألف مما قدمته لزوجتي. ومع ذلك فهو على استعداد لأن يعطيني روحه لو أردت، فعدت الى مقر عملي قانطا ومسلما أمري الله. وفي أول ليلة وجدت نفسي ساهرا فيها على لوحة لا يقبل مهندس تخرج منذ 5 سنوات فقط أن ينفذها احتراما لسنوات خبرته، وقبلت أنا ذلك رغم خبرتي الطويلة طلبا لأجرها. سألت نفسي وقد انقضى معظم الليل.. هل كتب علي الشقاء الى آخر يوم من أيام عمري. وهل في العمر متسع لأبدأ من جديد وأحقق ما أردته لنفسي

بعد أن طار في الهواء ما جمعته بالعرق والعناء طوال السنين الطويلة؟ لقد عاهدت نفسي ألا أتخلي عنها في محنتها.. ومهما حدث.. وأن أقف الى جوارها حتى اللحظة الأخيرة.. لكنى أسألك هل يرضى موقف زوجتي منى وبعد هذه العشرة الجميلة مني لها - الله والشرع والقانون.. ثم ماذا افعل يا سيدي؟ -

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتب هـذه الرسالـة أقـول:

انه أمر مؤلم بالطبع أن يكون هذا الموضوع هو موضوع الحوار مع إنسانة تواجه مثل هذه المحنة لكنك تقول إن أعصابها قوية وأنها تمارس حياتها برغبة قوية في إسعاد نفسها.. وكل ذلك يوحي بأن الأمر كله يجري في جو من الواقعية المجردة يسمح بالحديث في الأمر بلا حرج ومادام الأمر كذلك فسوف أجيبك عن تساؤلاتك الحائرة فأقول لك:

أما عن القانون فموقفها من ناحيته لا غبار عليه ولا يملك حيالها شيئا لإرغامها على أن ترد عليك مالك. ومادام كل شيء باسمها من ناحية الشكلية طواعية واختيارا منك فمن حقها قانونا أن تمنح ومن حقها أن تمنع كما تشاء.. بل يستطيع ابنها لو كان مجترئا على الحق ولم تتفاهم معه أن ينازعك في أية تصرفات بالبيع أو الهبة لك من ممتلكاتها الآن ويطعن بعدم صحة الهبة نظرا لحالتها الصحية الحرجة عند عقدها.

وأما عن الشرع فلقد خالفته أنت حين كتبت كل ثروتك باسم زوجتك ولم تبق شيئا منها باسمك. وقد فعلت ذلك لأنك أردت وإن لم تعترف بذلك أن تحجب هذه الثروة عمن يستحقون فيها مع زوجتك شرعا إذا حم عليك القضاء وهما أبواك لأنك لم ترزق البنين. ومن لم يقبل بعدل السماء في مسائل الوراثة ليس من حقه أن يشكو من ظلم من مكنهم هو من ظلمه باجترائه على هذا الشرع وبمخالفته قبل أن يعرف خطأه ويندم عليه.

وأما عن الله سبحانه وتعالى فهو لم يرض عن تصرفك في البداية وهو المطلع على خبايا الصدور ويعلم دوافعك الحقيقية اليه. وهو أيضاً لا يمكن أن يرضى عن تصرفها في النهاية لأنه العادل الذي لا يرضى بالظلم ولا يرضى عن عمل يخالف روح شريعته وروح عدله، لقد قررت زوجتك فيما يبدو لي أن تورث معظم ثروتك التي شقيت أنت في جمعها لمدة 19 عاما في عمل متواصل كرحى طاحونة الهواء الى ابنها الذي لا يرثك إذا عادت الثروة اليك بينما يرث هو معظمها إذا ظلت باسمها الي النهاية، وهي في سبيل تحقيق هذا الهدف قد أغلقت أبواب التفاهم معك وأصمت أذنيها عن نداء العدل وأي نداء آخر بل واستخسرت أن تبدد جزءا من مالها السائل في شراء بعض ما تحتاج اليه الأرض لتحافظ عليه لابنها سهلا. وفي ظني أنها تتصور أنك قادر على أن تكرر التجربة وأن تجمع ثروة أخرى، وتعرف أن ابنها مستهتر وفاشل وعاجز عن الكسب ولا يبشر ماضيه بمستقبل آمن له إن لم يستند الى مال

يغنيه عن الكفاح الذي لم تؤهله له تربيته! ومادام في الدنيا من كتب عليهم الشقاء ليكسبوا مثلك بالدم والعرق قوتهم ومالهم. فلماذا يشقى أهل الدلال والاستهتار إذا استطاعوا أن يسلبوك ثروتك؟ أنه منطق فاسد لا يخشى الله بالطبع وحنان ظالم بابنها على حساب مكافح مثلك، حتى ولو لم يعجبني بعض أمرك مع أبويك وشقيقاتك. ولو أنصفت زوجتك لما انتظرت أن تفاتحها أنت في هذا الأمر من الأصل.. ولخشيت أن تلقى ربها وفي عنقها أغلال مالك المنهوب.. ولبادرتك بإبداء رغبتها الإنسانية العادلة في أن تؤمن مستقبل ولدها بما يضمن له حياة كريمة ببعض مالك وبرضا نفسك وقبولك ليكون ما تمنحه له من مال حلالا لا شبهة فيه ثم ترد عليك بعد ذلك معظم مالك غير متفضلة عليك بشيء وإنما راجية من الله أن تكون قد أبرأت ذمتها أمامه.. واشترت منك براءة صفحتها وأدت الأمانة الى أهلها كما يفعل من يخشون الله واليوم الآخر، فالمال المنهوب لا يغني الأبناء ولا يحميهم من غدر الزمان، وإنما يحميهم منها ما نورثه لهم من عمل صالح ومال لا شبهة للحرام فيه.

فاسألها برفق مرة أخرى أن تفعل.. فإن لم تستجب فسلم أمرك الى الله الذي لا تضيع عنده الودائع. واكتف بحقك الشرعي في وثروتها، وهو الربع لأنها ذات ولد.. وواصل حياتك باعتدال هذه المرة وبغير لهاث محموم وراء المال وبغير استخفاء به على أبويك وشقيقاتك فهؤلاء هم الرحماء بك وهم من يفخرون بكل ما تصيبه من خير، وارع حدود الله في مستقبل أيامك واعمل بنصيحة أبيك التي لم تعمل بها للأسف حين حذرك من أن يملكك المال بدلا من أن تملكه، واستفد بعبرة قصتك ودرسها الثمين في تجنب الأخطاء والعثرات..

فما أكثر ما في قصتك.. من دروس وعبرة.. وما أكثر ما تحمله من معان.. ولكن لمن يتفكرون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بـدايـة الـطريـق

أنا من كتبت اليك منـذ عـام تقريبا أروي لك قصتي التي نشرتها واخترت لها عنوانا لخص كل معاناتي ومشكلتي في عبارة واحدة هي.. «طاحونة الهواء»، ولقد تقبلت بنفس راضية لومك الشديد لي لأني باعدت بيني وبين أبوي وأخواتي وأسأت بهم الظنون فإذا بمن ظننته مأمني منهم هو من ضاعت عنده الحقوق. ثم نصحتني بأن أواصل الكفاح مع زوجتي باللين والصبر لاسترداد حقوق بعد التنازل لها راضيا بما تراه كافيا وعادلا لتأمين مستقبل ابنها وهو هاجسها الوحيد ودافعها الأول للامتناع عن رد مالي الى مع استمراري في محاولات العلاج حتى اللحظة الأخيرة، وتكفيري عن تقصيري تجاه إبوي وأخواتي بالعودة لهم وطلب صفحهم ومحاولة تعويضهم بما في يدي عما حرمتهم منه بانشغالي بحياتي الجديدة مع زوجتي. وأريد الآن أن أروي لك ما جرى خلال الشهور الماضية فأقول لك إني لم أتوقف لحظة عن طلب العلاج في أرقى المستشفيات في البلد الذي أعمل به وتحت إشراف أطباء عالميين من حين الى آخر أحاول مع زوجتي الاقتراب من الموضوع الشائك فلا أجد منها إلا كل إصرار وعناد. أما أسرتي فلقد حاولت فعلا التكفير عن إهمالي لها بأداء بعض الواجبات الصغيرة التي لا ترقى الى تكلفة سهرة واحدة من سهراتي السابقة مع زوجتي في الفنادق الكبرى، فإذا بالقلوب الصافية تزداد صفاء.. وإذا بالوجوه تطفح بالعرفان الشديد.. بل ويعتذر بعضهم بإصرار عن قبول أي شيء لأن علاج زوجتي يكلفني الكثير «وليس هذا وقته.. ويكفيك ما أنت فيه أعانك الله عليه وشفى لك زوجتك». فلم أتمالك مشاعري واغرورقت عيناي بالدموع وأنا أسأل نفسي كيف حرمت نفسي طوال هذه السنين من هذا الود المبرأ من الغرض وهذا العطف الذي لم أجده أبدا في أي مكان آخر. واستسلمت لما جرت به المقادير وواصلت الليل بالنهار في العمل مرة اخرى لأحاول تعويض بعض ما ضاع.. وحرصت على أن أؤدي واجبي في علاج زوجتي على أكمل وجه ثم نفذ القضاء في موعده.. فأديت واجباتي الأخيرة معها وانطوت تلك الصفحة من حياتي بأيامها السعيدة والشقية وبدأنا اجراءات تقسيم التركة، فخصني من مالي وأملاكي ما يخص الزوج في ميراث زوجته، ونال ابن زوجتي النصيب الأوفى من ثمرة كفاحي وغربتي. ورأيت ألا أنازع من يعد في منزلة ابني خاصة وانه لايد له في سوء تصرفي، فتساهلت معه في بعض شئون الميراث واضعا في الاعتبار مصلحته كشاب لا سند له في الحياة إلا ذلك المال، لكني تفاديا للمشاكل رأيت أن أشتري منه نصيبه في بعض الأملاك المشتركة التي لا نفع له فيها ولن يستطيع استثمارها وربما تتسرب من بين يديه إلى غرباء قد لا أستطيع التوافق معهم فطلبت منه ردا على تساهلي معه أن اشتريها منه بقيمتها التي اشتريتها بها منذ ثلاثة أعوام فقط، فإذا به يرفض أن يبيعها لي إلا بسعر اليوم.

وما زلنا نتفاوض ومازلت آمل أن يكرمني ببعض التساهل حفاظا على الصلة التي جمعت بيننا، ومازال هو يأمل في أن أتساهل معه أكثر إكراما لأمه الراحلة.. ولكن ذلك ليس المشكلة فلابد اننا سوف نتوصل إلى حل وسط بيننا.. ولم اكتب لك من أجل ذلك.. وإنما لأروي لك الفصل الآخر من قصتي ولأقول لك أني قد تعلمت من تجربتي أشياء كثيرة ذات قيمة كبيرة وعدت إلى ربي الذي نسيته فنسيني وإلى أهلي الذين أسأت بقناعتهم الظنون فثبت لي أنهم أغنى مني بكثير وأنهم ليسوا في حاجة الى أو إلى مالي.. وإنما أنا الذي أحتاج اليه م وإلى اهتمامهم الصادق بأمري وهمهم لي. وقد عقدت العزم على أن أواصل الكفاح والعمل من جديد لا لكي أجمع من الثروة ما ضاع. وإنما لأوفر لنفسي الحياة الكريمة الآمنة.. ولأرد لأبوي وأسرتي جميل صنعهم معي وتقبلهم لي بعد ما بدا لهم من سوء طويتي تجاههم في تلك السنوات العصيبة. وأرجو أن يوفقني الله سبحانه وتعالى فيما اعتزمت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول: لابن عطاء الله السكندري حكمة معروفة تقول: من علامات النجاح في النهايات.. الرجوع الى الله في البدايات، وأنت يا صديقي قد وضعت قدميك الآن على البداية الصحيحة للنجاح الحقيقي فامض في طريقك اليه مستفيدا من دروس تجربتك القاسية، وواثقا من أن العجلة الدوارة التي نقلتك من البساطة إلى الثراء ثم تراجعت بك بضع خطوات للوراء سوف تدور مرة اخرى لتحملك إلى أهدافك الجديدة بالإرادة والصبر والفهم الصحيح لحقائق الحياة الأجدر بالاهتمام. وسوف يكون نجاحك هذه المرة مختلفا عنه في الماضي حتى ولو لم يبلغ نفس المعدلات السابقة لأنك ستكون أنت أيضاً انسانا مختلفا يعرف أن المال ليس هدفا في حد ذاته وإنما وسيلة من وسائل الإنسان لتحقيق الأمان لنفسه. ثم يبقى الهدف الأعلى الذي يشقى للوصول اليه دائما هو

السعادة وراحة القلب وسلام النفس. وهو هدف قد يتحقق بأدنى معدلات النجاح المادي.. وقد لا يتحقق بأقصى معدلاته. وأنت في كل الأحوال لم تكن مرشحا له فيما سلف من أيامك حين كنت بعيدا عن ربك وعن أهلك الحقيقيين ومشحونا بالهواجس والظنون تجاههم. ولكنك في كفاحك الجديد للأمان والاستقرار سوف تتغير في حياتك وفي شخصيتك بل وفي استمتاعك بما تحققه من نجاحات صغيرة فكل خطوة ستحققها ستسعد بها سعادة مضاعفة وستفخر بها في العلن وتفخر بها أكثر منك أسرتك. ولن تحتاج إلى أن تتخفى بثمار نجاحك كأنما جنيتها من طريق غير مشروع. وسواء نجحت المفاوضات مع ابن زوجتك أم لا وأغلب ظني أنها لن تنجح.. فلن تتوقف طويلا أمام ذلك ولن تسمح له بأن يفسد عليك سلامك بعد أن جرى ما جرى إذ ماذا يفيد البكاء على القليل وقد ضاع منا الكثير وذبلت زهرة العمر في المعاناة والشقاء. ويحق لنا الآن أن نتطلع إلى نصيبنا العادل من السعادة والأمان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الدائرة الملعـونـة

أكتب اليك قـصـتـي وأطـلـب مـشـورتـك وأرجو ألا تتسرع في مهاجمتي والقسوة على قبل أن تتفهم ظروفي.. فأنا فتاة جميلة كنت طالبة متفوقة في إحدى كليات الطب بالأقاليم، وفي الكلية استلفت نظري طالب ممشوق القوام طيب القلب يرتدي ملابس عادية مما يدل على أن إمكاناته المادية متوسطة.

ولقد لفت نظري اليه أنه يطيل النظر الى ولا يرفع عينيه عني في أي مكان نوجد به داخل الكلية. وكنت أسعد بهذه النظرات وهذا الاهتمام.. وأحرص على أن أوجد حيث يوجد لأسعد باهتمامه بي.. ولم أصده بقسوة رغم أني لا أفكر في الارتباط به وأتطلع الى شخص ذي منصب ووضع اجتماعي و «ثقل»، كبير يتناسب مع جمالي وتفوقي وطموحي.

وأعترف أنني أخطأت في ذلك، ولعلى أتحمل وزره أمام ضميري.. فقد واصل اهتمامه الشديد في وفوجئت به ونحن طالبان بالسنة الثانية يرسل لي رسالة رومانسية مع إحدى زميلاتي يعرض على فيها حبه ويطلب موافقتي على أن يتقدم لخطبتي، فرفضت ذلك بشدة لأنه طالب.. وبلا إمكانات وأصيب زميل بصدمة وانطوى على نفسه ورسب في تلك السنة بينما نجحت أنا وقلّ اهتمامه بي وحرصه على الاقتراب مني إلى حد كبير، لكنه ظل على حبه الصامت ونظراته الحزينة لي وواظب على أن يكتب الى كل عام رسالة غرامية واحدة يبثني فيها حبه وهيامه ويرسلها مفتوحة مع إحدى زميلاتي فأقرؤها وأسعد بما فيها، ثم أردها اليه بلا أي إشارة تفيد بأني قد غيرت موقفي.. واستمر هذا الحال 4 سنوات تخرجت بعدها من كليتي وبدأت سنة الامتياز في مستشفى الكلية. ثم فاتحتني إحدى شقيقاته في خطبتي لأخيها فرفضت ذلك بشدة، فقد كان يتقدم لي في تلك الفترة رجال ممتازون ذوو ثقل ونفوذ. وبعد ذلك بيومين فوجئت به يتقدم مني في المستشفى ويسألني بأدب والدموع تلمع في عينيه عن سبب رفضي له.. فتحدثت معه بجفاء شديد لكي يتوقف عن ملاحقتي.. واعتقدت أني قد وضعت بذلك الفصل الأخير لهذه لكني فوجئت بعد يومين آخرين بوالدته وشقيقته تنتظراني بباب البيت وتقولان لي باكيتين أن زميلي بين الحياة والموت في مركز السموم بالقاهرة بعد أن حاول الانتحار بابتلاع عدد كبير من الأقراص.. فبكيت بشدة وصرخت في وجهيهما برفضي التام الزواج منه ولو لم يبق على ظهر الارض رجل غيره.. وقدرت بعد ذلك أنه قد فقد الأمل فيّ نهائيا.

ومضت أيام.. ثم خرجت في الثامنة مساء ذات ليلة من نوبة عملي في المستشفى وكنا في الشتاء والجو بارد والشارع خال من المارة فاذا بزميلي ينزل من سيارة استعارها من أحد أصدقائه والشرر يتطاير من عينيه ويأمرني بالركوب وهو في حالة هيستيرية، وقبل أن أتمالك نفسي جذبني ووضع على

أنفي منديلا وانطلق بالسيارة. وافقت بعد قليل فوجدت نفسي في شقة أخيه الذي يعمل في الخارج وقد اعتدى على.. فانطلقت أصرخ في هيستيرية وأصبت بالانهيار. فسد فمي ثم جلس في هدوء شديد.. ينظر الى بابتسامة حزينة تحمل كل حزن الدنيا، وقال لي إنه سوف يدعني أعود الى بيتي ويترك لي مطلق الخيار في إبلاغ النيابية، وأنه لن يهرب من حكم القانون ويستقبله بصدر رحب جزاء لما فعل ولو صدر ضده الحكم بالإعدام فهو راض بقدره وبمصيره.. ويستحق كل ما يحكم به القضاء لجريمته البشعة في حق الإنسانة الوحيدة التي أحبها.
ثم أتجاوز عن هذه الفترة البشعة بدون تفاصيل لأقول لك أن أمري قد افتضح في مدينتي وبين أقربائي وبين زملائي في المستشفى فتركت العمل واحتجبت عن الناس. وحسم أهلي الأمر بالموافقة على زواجي منه بعد هذه المأساة. وتزوجته بلا فرح وبدون أن أرتدي ثوب الزفاف.. وكان يوم زواجي يوماً حزيناً لأسرتي فبكى أبي وبكى إخوتي جميعاً ولم يكلمه أحد. منهم كلمة واحدة. وبكيت أنا في صمت وبللت دموعي ملابسي بينما جلس زوجي صامتا نفس الابتسامة الحزينة ويحس بجو العداء والكراهية المحيط به ولا يملك إلا الصمت والهدوء.
ثم انتقلنا الى شقة الزوجية التي أعدت على عجل وأثنت بأثاث بسيط وودعنا أو ودعني أهلي باكين مولولين كأننا في مأتم ولسنا في فرح.
وانفردنا بنفسينا في شقة الزوجية، فقام زوجي بإعداد طعام العشاء وإحضاره وراح يهدئ من روعي ويقسم لي أنه سوف يعوضني عما فقدته، وسوف يكفر عن جريمته بأن يجعلني أسعد فتاة في العالم. وأمضينا الليل بملابس الفرح الكاملة حتى أشرقت الشمس وبدأ اول يوم من أيام حياتي الزوجية، ومضت الأيام وعاملته بجفاء ونفور واضحين، وعاملني هو بحب واحترام. وبعد أسابيع من زواجي مرض أبي مرضاً شديداً ثم توفاه الله بعد 6 شهور.. وانتظمت حياتنا ولم تكن حياة عادية فقد رفضت تماماً أن أقوم بأي عمل من أعمال البيت أو أشاركه في أي شيء، فكان هو يقوم بإعداد الطعام وغسل الصحون وغسل الملابس في الغسالة واعتاد ذلك واعتدته أنا أيضاً.
وتحسنت أحواله المادية بعد زواجنا بقليل، فباع قطعة أرض من ميراثه وافتتح عيادة صغيرة، وبدأ يحقق نجاحا في عمله وساعده على ذلك أنه مرح ولبق ومحبوب، وبعد قليل اشترى سيارة متوسطة ثم قطعة أرض بناء صغيرة لنبني عليها في المستقبل بيتا لنا. وأنجبت منه طفلين جميلين رحت أقضي معظم أوقاتي معهما وما يتبقى لي منها أقضيه في قراءة كتب الطب. ومضت 6 أعوام على حياتنا.. لم يجرح كرامتي خلالها بكلمة واحدة أو بإشارة، وكان دائما سعيدا بأقل شيء أعطيه له ويتفانى في محاولة إسعادي أنا وطفليه ويخرج معنا بسيارته لتذهب إلى الأماكن الجميلة ويعود من عمله يوميا فيضع كل إيراد العيادة في درج المكتب المفتوح لأنفق منه كما أريد وبلا أي حساب

من ناحيته على ما انفقت.. ووسط كل ذلك وجدت نفسي ذات مساء بعد أن أعد لنا طعام العشا أطالبه بالطلاق وأتمسك به فسمعني في صمت وذهول ثم ابتسم نفس ابتسامته الحزينة.. ابتسامة ليلة الكارثة وليلة الزفاف.. ثم لم ينطق سوى بعبارة «تصبحي على خير»؟
وفي الصباح قال لي إنه يعدني بتنفيذ ما طلبت منه خلال شهرين ورجاني ألا يعرف أحد من أهلي وأهله بهذا الأمر لأنه سيموت خجلا إذا عرف به أحد.. ولم يغير شيئا من معاملته لي بعد ذلك فاستمر يعاملني بأدب واحترام ويغسل الصحون والملابس. لكن حالته النفسية ساءت تماما ففقد مرحه وشحب لون وجهه.. وأصبح يتقيأ كل طعام يأكله حتى نقص وزنه.. وأصيب بمغص دائم.
ولاحظت عليه كل ذلك فرثيت لحالته وذات مساء رق قلبي له فارتديت رداء نوم جميلا واقتربت منه فاذا بوجهه يحمر خجلا كأننا زميلان في الجامعة ثم تساقطت دموعه صامتة.. وانصرف خجلا.
وبعد ذلك فوجئت به وقد أعاد بدلته الجديدة التي اشتراها الى نفس المحل ثم باع السيارة وأودع ثمنها في البنك باسمي.. ثم وزع معظم ملابسه القديمة على بعض أقاربه.. وأبلغني بكل ذلك مؤكدا لي أنه سينسحب من الحياة خلال أسابيع لأنه فشل في أن يكفر عن خطيئته معي طوال السنوات الخمس الماضية، ولأنه لا يطيق أن يعيش ويراني وقد أصبحت زوجة لغيره.. ووجدت نفسي في قمة الحيرة والحسرة بعد هذا الموقف.. فأنا أعترف لك صادقة أني لا أعرف ماذا أريد.. ولا ماذا أفعل.. إني لم أستطع أن أصفح حتى الآن عمن اغتصبني راغمة وحرمني من ارتداء فستان الزفاف الأبيض الذي يصيبني بأزمة نفسية كلما رأيته في التليفزيون حتى الآن. ولم أستطع أيضاً أن أنسى أن أبي مات مريضا بعد 6 شهور من زاوجي الاضطراري.. وأن الجميع أجهشوا بالبكاء ليلة هذا الزواج.. لكني من ناحية أخرى لا أتمنى له أن يرتكب هذه الجريمة في حق نفسه وحق طفليه.. ولا أتمنى له هذا المصير. إنني أراجع نفسي أحيانا فأحس أن كلا منا قد دمر الآخر أو حكم عليه بذلك فمن تراه قد قتل شريكه أنا أم هو؟ وكيف أمنع وقوع هذه الجريمة الجديدة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أني قد ترددت في أن أصدق روايتك.. لكني آثرت بعد تفكير طويل أن أتبع معك منهجي في التعامل مع رسائل القراء وهو أن أصدق ما يتحدثون به عن أنفسهم مهما بدا لي غريباً، مؤكداً دائماً أني أبدي رأيي في مشاكلهم على ضوء ما يعرضون على من وقائع.
وبهذا المعيار أقول لك يا سيدتي أن كليكما قاتل قتل الآخر ومثّل بجثته، لكن هناك فارقاً كبيراً بين جريمة كل منكما في حق شريكه!

فزوجك قد اغتال فعلا بجريمته البشعة إنسانيتك كفتاة وطموحك وحقك الطبيعي في اختيار شريك حياتك.. والحياة التي تحلمين بها.
وأنت قد اغتلت رجولته وإرادته وكرامته ورغبته في الحياة، حتى لقد آثر التفكير في الانسحاب منها إذا أصررت على جلده الى النهاية بخطيئته والانفصال عنه. وليس ذلك مستبعدا عليه وهو صاحب الميول الانتحارية القديمة.
لكن هناك فارقاً جوهرياً بين الجريمتين.. فجريمة زوجك رغم بشاعتها ورفضنا لها دائماً، هي جريمة دافعها الحب الذي ملك عليه كل أمره وأفقده رشده فانساق اليها في غيبة العقل والوعي. وقد حاول بعد ذلك مخلصاً أن يكفر عنها بكل الوسائل فتفانى في حبك وتنازل لك عن إرادته وحقوقه كرب أسرة إلى حد امتهان نفسه وعاملك بكل الحب والاحترام وجعل هدف حياته هو اسعادك وإرضاءك، راضيا بالقليل الذي تجودين به عليه متأففة: من حين لآخر، وهو قد ارتكب جريمته مرة واحدة وقضى الأمر وتاب عنها وتقبل الله توبته.
أما جريمتك أنت فهي جريمة دافعها الانتقام لا الحب، وجريمة مستمرة متجددة. كما أنها جريمة إرادية ترتكبينها بوعي بما تفعلين وبإصرار عليه، وليست جريمة لحظة طيش وحمق غاب فيها العقل عن رشده وندم عليها مرتكبها. لهذا تمتهنينه بإصرار طوال 6 سنوات، وترفضينه في صمت بارد، وتتقبلين ما يقدمه لك من قرابين بازدراء من لا يرى فيه ما يستحق حتى الشكر.. أو يفتح له باب المغفرة.
وهذه هي السادية والتلذذ بتعذيب الآخرين.. بلا مواربة!

فلقد كنت تستطيعين – إذا أردت – إصلاح الخطأ بأن تتزوجي هذا الشاب لعدة شهور أو أسابيع حفاظاً على الشكل الاجتماعي، ثم تنفصلين عنه بغير إنجاب إن لم تستطيعي أن تغفري له جريمته.. كما كنت تستطيعين أن تتقبلي تكفيره على جريمته بعد حين، وتسعدي بما يقدمه لك كل يوم على مذبح حبك، وتواصلي معه الحياة بلا رغبة في الانتقام منه.. ولا رغبة في تعذيبه خاصة وقد أصبح أب طفليك لكنك لم تفعلي هذا ولا ذاك.. وإنما آثرت أن تجلديه بخطيئته في حقك كل يوم طوال 6 سنوات. وأن تستخدمي معه أسلوب التعذيب المغولي الذي كان يعتمد على إطالة التعذيب لأقصى فترة ممكنة حتى يموت الجسد قطعة قطعة بدلا من قتل الضحية في لحظة رأفة بها.
فعم تحاسبينه الآن يا سيدتي وقد صرت زوجته وأم طفليه.؟ وتفانى هو في حبك وإسعادك بما لا أستطيع أن أدلل عليه، وقد حذفت من بعض سطور رسالتك ما يخدش الحياء العام، ويؤكد تفانيه في حبك.؟ إنك يا سيدتي تتصورين أنك تستحقين زوجاً أفضل منه.. زوجاً كما تقولين في رسالتك له

«ثقل»، ونفوذ ووضع اجتماعي يتلاءم مع جمالك وطموحك وتفوقك.. وأنت بذلك تعترفين بأنه ليس للحب دور في حساباتك، ولعلك تشتركين في الإحساس العجيب مع بعض الزوجات الحالمات اللاتي قد يعاشرن أزواجهن كل رحلة العمر وهن ينطوين على إحساس باطني غريب بأنهن درر ثمينة لم يكن يستحقها ازواجهن!
وهو احساس لا يرجع غالبا الى مبررات حقيقية بقدر ما يرجع إلى إحساس كاذب بالمغالاة في تقدير الذات.. وأحسب أنك واحدة من أسيرات هذا الإحساس الواهم، ولن تقتنعي بكذبه إلا إذا اصطدمت بحقائق الواقع الصلبة، واستجاب زوجك لطلبك الطلاق وتخلص من وهم الرغبة في الانسحاب من الحياة، وتركك تواجهين الحياة وحيدة بضعة شهور، واستعاد هو رغبته في العمل والحياة وتلفت حوله ليرى أن في الدنيا نساء غيرك. ولتر بعد ذلك كيف ستطيب لك الحياة بعيدا عنه بغير أن يوقد أحد الشموع في معبدك كل يوم بعد أن استنمت طويلا الى حبه الطاغي لك.. وقد كنت تسعدين به دائما منذ أيام الجامعة وربما كنت لا تخليّن من حب له لا يقاس بالطبع بحبه لك. والمؤكد أنك تحبين فيه حبه لك وتحبين فيه حرصه على مودتك وإرضائك وتستريحين لتعبده الدائم في محرابك. وأغلب ظني أنك لم تطلبي الطلاق رغبة فيه، وإنما رغبة في كيه مرة أخرى بالنار لكي يظل جرحه حياً إلى الأبد، ولكيلا يتخلص من إحساسه بالذنب تجاهك فيتراخى في التكفير الدائم عن خطيئته معك.. إنني لا أريد أن أظلمك فأقول إنك تفعلين ذلك بوعي كامل به، فمن الجائز جدا أن تكون رغبتك الباطنية في الانتقام منه هي التي تحركك الى ذلك بغير أن تدركي كل أبعاده، لكنها على أية حال قسوة لا تقل بشاعة عن قسوة جبابرة المغول، فالله يغفر الخطايا جميعا إذا صدقت توبة التائب.. فكيف لا تغفرين أنت؟ ومن أدراك أن أباك لم يكن ليرحل عن الدنيا في موعده إن لم يجر ما جرى.. ومتى ضمن «الثقل»، والنفوذ والوضع الاجتماعي السعادة لمن يبحث عنها.. وماذا يساوي فستان.. الزفاف الأبيض الذي حرمت أنت منه إن لم يكن بشيراً بالسعادة.
وكم ارتدته من لم يعرفن طعم السعادة يوماً واحداً بعده.. وكم حرمت منه من أنعم الله عليهن بها!
يا سيدتي.. كفي عن محاسبة هذا الشاب عن جريمته القديمة. وعيشي حياتك الطبيعية كزوجة تشارك زوجها اهتماماته وتقوم بواجباتها وأعبائها المنزلية.. وتخلصي من رغبتك الباطنية في الانتقام منه وإذلاله، فلقد كفر عن خطيئته بما فيه الكفاية.. وفكري في طفليك اللذين لم يجبرك أحد على إنجابهما، فهما وحدهما جديران بأن تمسحي من أجلهما عن صدرك كل مرارة الماضي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

شـجـرة الـصـبـر!

أكتب اليك يا سيدي وأنا في حال لا يعلم بها الا الله سبحانه وتعالى.. وأريد أن أقص عليك قصتي. لقد بدأت قصتي.. أو قصتنا أنا وشقيقي الوحيد، حين وجدنا نفسينا طفلين محرومين من حنان الأم ورعاية الأب، نعيش في بيت قديم يقع على مشارف القاهرة.. ونلعب في صالته مع طفلة دميمة شرسة، تعاني من تشوه خلقي في ظهرها، كنت أظنها أختي حتى عرفت أنها ابنة خالي، وأن هذا البيت بيته وأنه ضمنا إلى أسرته بعد وفاة أبي وزواج أمي من آخر.

وفي هذا البيت نشأنا وعشنا طفولتنا كما يعيشها طفلان محرومان من أبويهما.. ويعرفان أنهما ضيفان على الأسرة التي تؤويهما، لهذا فقد كنا نحس دائما بالانكسار.. ونخجل من مطالبتهما بشيء. ونتعجب للجرأة والشراسة التي تتعامل بها ابنتهما.. معنا ومعهما ومع الجميع.. وكان أخي الذي يكبرني بعامين أكثر مسالمة وانكسارا مني.. فهو لا يعترض على شيء.. ولا يطلب شيئا.. ولا يسخط على شيء، ويتحمل رذالات ابنة خالنا التي كثيرا ما كنت أضيق بها أنا.

وكلما تعرضت لموقف أكون مطالبا فيه بشيء أضيق به يسارع شقيقي بالتطوع للقيام به بدلا على ليتجنب صدامي مع أحد.

وكانت أمي تجيء لزيارتنا مرة كل شهر فتمضي معنا يوما وتعطينا بعض الهدايا الصغيرة وتخص إبنة خالي بأكثرها.. وتدعو لخالي بالستر في الدنيا والآخرة لأنه آوانا وسترنا بعد أن رفض زوجها ضمنا إلى أسرته المثقلة بالأبناء من زوجة سابقة.. ومضت بنا الحياة فالتحقنا بالمدرسة. وكان خالي يملك محلا صغيرا لتجارة الأدوات الصحية ويعود إلى البيت للغداء فينام ساعة ثم يرجع إلى محله، وحين بلغنا سن الصبا، بدأ خالي يطالبنا بالذهاب إلى محله في فترة الظهيرة للعمل فيه خلال غيابه.. وكنت أضيق بذلك لأنه يشغلني عن دروسي وأؤديه ساخطا، ثم أنفس مع أخي عن ضيفي ونحن مستلقيان آخر الليل في سريرنا.. فيكبح جماحي بكلماته الحزينة.. مرددا دائما أن أبسط حقوق خالي علينا، وأننا ضيوف وأن الضيف ليس حقه أن يعترض على صاحب البيت في شيء.. ثم يتطوع بالذهاب للمحل في اليوم المخصص لي بدلا مني. ويقنع خالي بذلك.. وتخلصت أنا من هذا الواجب الثقيل ولكن على حساب راحة شقيقي المضحي دائما الذي راح يضاعف من ساعات سهره.. ليعوض انشغاله بأعمال المحل.

أما في الصيف فقد كنا نعمل في المحل.. من الصباح للمساء ونحمل الأدوات الثقيلة للعملاء.. وأهرب أنا من هذه المهام الثقيلة أحيانا و «فيغبطني» شقيقي، فضلا عن أنه دائما المسؤول عن قضاء.. مطالب خالي وزوجته، فإذا أراد خالي أن يكلفني بقضاء شيء.. أسرع يقول إنه سوف يؤديه خيرا ِمني

ليعفيني منه. ونفس الشيء في أعمال البيت التي كنا نشارك فيها تخفيفاً عن زوجة خالي، بينما ترفض ابنتها في عصبية أن تؤدي أي عمل منها وتسخر منا ونحن نمسح البلاط في الصباح البارد في الشتاء، حتى كدت مرة أبطش بها وأقذفها بالجردل لولا أن أسرع شقيقي فوقف بيني وبينها، وتلقى الجردل هو على ملابسه.. وعلى هذا الحال عشنا حياتنا نرضى بأقل القليل ونرتدي ملابس أبناء أقاربنا، وأضيق أنا بكل ذلك، أما أخي فلا يضيق بشيء حتى ولو تألم له صامتا.. وأنهى شقيقي دراسته الثانوية وكان مجموعه يؤهله للالتحاق بكلية تجارة القاهرة، وكنت الوحيد الذي يعرف أمنيته الصامتة ككل أمانيه وأحلامه ورغباته. لكن جلسة واحدة مع خالنا وأمي غيرت طريق حياته بغير أدنى اعتراض منه.. فقد اقترح عليه خالي أن يختصر الطريق ويلتحق بمعهد لمدة عامين قريب من مقر إقامتنا، فوافق على الفور ولم يجرؤ على مجرد الكشف عن أمنيته أو رغبته الصامتة. وحين عاتبته ونحن وحدنا في الليل على استسلامه هكذا غلبته دموعه وهو يقول لي.. وماذا تنتظر من شاب لا أب له ولا مال عنده ولا تملك أمه أمر نفسها، وبتنا ليلة كئيبة.. وتخرجت أنا بعده بسنة وأهلني مجموعي للالتحاق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة.. فلم أستشر أحدا وقدمت أوراقي لمكتب التنسيق وحددت رغباتي.. وأخي يتعجب من أمري ويسألني عما سأفعل إذا حجب خالنا عني مساعدته، فأجيبه ببساطة أني سأعمل أي عمل وسأكسب رزق إلى أن أتخرج.. لكن خالي لم يعترض وإن كان قد استاء لعدم مشاورتي له في الأمر، ولم يحجب على مساعدته.

وبدأت أنا أعمل في الصيف لأوفر بعض مطالبي، وتخرج شقيقي وأدى خدمته العسكرية وعين في وظيفة صغيرة. وتخرجت أنا بعد تعيينه بشهور وبدأت استعد لأداء الخدمة العسكرية، ففوجئت بأمي تفاتحني في أمر غريب.. هو أن أتقدم لخطبة إبنة خالي الشرسة التي تتشاجر مع الجميع والتي تنتابها حالات هياج عصبي شديد ويخشاها أبواها، وفشلت في الحصول على الثانوية العامة ورفضت الفكرة بلا تردد، وشرحت لها أن أسباب رفضي ليست دمامتها أو عيبها الجسمي.. وإنما سوء طباعها وشراستها التي تحملت أنا وأخي منها الكثير، فضلا عن حالات هياجها العصبي المتكررة. ولم تقتنع أمي بذلك وبكت طويلا وهي تشرح لي أن خالي وزوجته ينتظران مني بالذات لأني المهندس الذي سيكون له شأن، أن أرد لهما الجميل.. أنا بالزواج من ابنتهما التي لم يطلبها للزواج أحد فلم أتحرك عن موقفي وقلت لها أني أستطيع رد الجميل في المستقبل بأكثر من طريقة، لكني لن أضحي بسعادتي من أجل ذلك.. وأني سأغادر بيت خالي إذا تمسكت بمطلبها، وانصرفت حزينة.. وفي الليل رويت لشقيقي ما حدث فسمعني صامتا وأسفت أشد الأسف لذلك لأني لم أتنبه إلا فيما بعد إلى أن طلب أمي منى أنا بالذات بأن أتزوج إبنة خالي إنما يتضمن إساءة لشقيقي الكبير الذي ترى أمي أني أفضل منه لأداء هذا الواجب لأني مهندس.. في حين أنه لو لم يختصر الطريق راغما لما استطعت أنا

مواصلته.. وفي الصباح ذهبت لإدارة التجنيد وغبت 45 يوما ثم عدت فإذا بشقيقي قد خطب ابنة خاله. وفهمت على الفور ما حدث خلال غيابي، وعرفت أن أمي قد حدثته فشقّ عليه أن يخيب رجاءها، وربما شقّ عليه أن أبدو ناكرا للجميل أمام خالي وزوجته، فتقدم كعادته ليسدد على ديوني فأصطحبته للخارج وقلت له مشفقاً انه ليس مطالبا بهذه التضحية من أجلي، وأننا نستطيع لو ضاقت بنا الدنيا أن نقيم في غرفة على السطح في أي مكان وأن نبيت على الأرض إلى أن يغير الله من حالنا. لكنه أصر على أنه فعل ما فعل بإرادته وبرغبته.. وأنه لا يكره ابنة خالنا رغم ما نالنا منها.. ويعذرها ويغفر لها بعض طباعها بسبب ظروفها.. ويأمل في أنها سوف تتغير الى الأحسن بعد الزواج، وهكذا استسلم شقيقي مرة أخرى لما أرادوه منه.. «فداني» بالزواج من ابنة خالي وهو في الخامسة والعشرين من عمره.. ولم يتغير شيء في حياته بعد الزواج سوى انه استقل بغرفة في البيت القديم مع زوجته، وأديت أنا الخدمة العسكرية.. وخرجت وتوفيت أمي وحزنا عليها كثيرا رغم أنها لم تعطنا الكثير من رعايتها.. وعملت أنا مهندساً بوزارة الري في محطة للصرف في منطقة العامرية الصحراوية.. ووجدت نفسي أقيم في بيت مخصص لمهندس الري ويقوم على خدمتي فراش يطهو لي الطعام.. وسعدت بالانتقال لهذا المكان تخلصا من الضيق الذي يخنقني وأنا أرقب حال شقيقي الوحيد مع زوجته، التي ازدادت طباعها سوءا بعد الزواج ولم تتورع عن إهانته عند كل اختلاف عابر، أو عن تذكيره بأفضال أبيها عليه حتى بالرغم من ثورة الأب نفسه عليها عندما يسمع بذلك.

وفي وحدتي تواصلت الرسائل بيني وبينه ووجد في الكتابة لي متنفساً عما يطوي عليه صدره طوال السنين.. فراح يبثني نجواه وشوقه لي وافتقاده للسرير الذي كنا ننام فيه متجاورين كل ليلة، وأنا أنفس عما في صدري وهو يخفف عني إلى أن أنام، ويتعرض في كلمات قصيرة لزوجته التي أنجبت ولدا. وكيف انه يرعى معها حقوق خاله وزوجة خاله التي ربتنا حتى النهاية طالبا الهداية من الله.. وأفهم من وراء السطور أن طباعها قد ازدادت سوءا، لكنه يتصبر ويتعفف عن الشكوى.

وتنقلت أنا بين مواقع العمل وكلها خارج القاهرة، وترقيت وزادت مسؤولياتي.. وشغلت لفترة عن الرد على رسائل شقيقي بعض الوقت.. وعدت ذات يوم إلى بيتي فوجدت رسالة منه يعاتبني فيها على إهمالي الرد على رسائله. ويكتب لي فيها عبارة أوجعتني - ومازالت حتى الآن – قال فيها:

لو تذكرت كما أتذكر أنا دائما انه بعد وفاة أمنا لم يعد لكل منا في الدنيا على اتساعها سوى الآخر لما طاوعك قلبك على إهمال الرد على رسائلي، فتفجر الحب والعطف في قلبي تجاهه.. وأسرعت أرد على رسالته وأعتذر له.. وكنا نلتقي كلما سمحت ظروفي بإجازة وأحمل له ولزوجته ولطفله الهدايا.. وأحمل الهدايا لخالي وزوجته ردا للجميل.. وبعد سنواتٍ أعرت للعمل في

دولة إفريقية عملت فيها 4 سنوات تحسنت خلالها أحوالي المادية جدا وأصبحت لي مدخرات كبيرة فأرسلت لأخي مبلغا من المال ليؤجر لي به شقة في القاهرة فقام بالمهمة خير قيام واستأجر لي شقة في حي جديد بخلو معتدل.
وعلمت في غربتي بوفاة زوجة خالي فحزنت عليها وترحمت عليها طويلا وحان موعد عودتي بعد 4 سنوات من الغياب والفراق.. فاشتريت لأخي ملابس وقمصانا وأجهزة كهربائية وركبت الطائرة عائدا إلى مصر، وأنا أتخيل كيف سيكون لقاؤنا في المطار وماذا سأفعل حين أرى ملامحه الطيبة وفرحته الصادقة في. ووصلت الطائرة وخرجت من المطار فلم أجده في انتظاري.. ووجدت خالي يتعثر في شيخوخته، فسألته بلهفة عن شقيقي فقال إنه متعب بعض الشيء وفي المستشفى. وأحسست بانقباض شديد واستأجرت سيارة أجرة وضعت فيها حاجياتي وطلبت من خالي أن يعود بها الى بيته واستأجرت سيارة أخرى وانطلقت بها إلى المستشفى وهناك صدمت حين عرفت أنه في غرفة الانعاش وممنوع زيارته.. وقابلت الطبيب المسؤول وشرحت له ظروفي وألححت عليه في السماح لي بزيارته فرق لحالي وسمح لي بزيارة لمدة دقائق. ودخلت غرفة الإنعاش ووجهتني الممرضة إلى سريره، فرأيت شقيقي ممدداً عليه في جلباب أبيض وقد تحول إلى خيال.. واقتربت منه ودموعي تسبقني وهو مقيد بأنابيب المحلول والأكسجين.. وأمسكت بيده وقبلتها وقلت له بصوت مرتعش.. سلامتك ياخويا.. فابتسم ابتسامة ضعيفة وردد الكلمة مترنما بها كأنما يسترجعها لنفسه ببطء «ياخويا».. الله... من زمان ماسمعتهاش ثم راح في غيبوبة.. وسالت دموعي وسحبتني الممرضة للخارج وهي تواسيني.. وعلمت منها إنه في حالة توهان منذ يومين وأن اللحظة التي خاطبته فيها كانت لحظة إفاقة نادرة، وخرجت إلى الطبيب واستفسرت عن حالته وتجمدت أطرافي وأنا أسمع منه حقيقة مرضه الذي لا أعرف كيف بدأ.. لكني لم أفقد أبدا الأمل في الله.. وفي تغلب شقيقي على مرضه، فهو شاب في الثامنة والثلاثين.. ولم يمرض أبداً قبل ذلك وذهبت الى بيت خالي وسمعت من زوجة شقيقي كل التفاصيل. وحملت حقيبتي وذهبت للإقامة في فندق قريب من المستشفى ولازمت باب غرفة الإنعاش وكلما جاءتني فرصة تسللت اليه وأمسكت بيده.. وكانت حالة التوهان مستمرة ومع ذلك فقد سمعته في إحدى المرات يهذي بكلمة ياخويا، يتمتم بها ببطء وهو غائب عن الوعي.. فجاوبت دموعي.. وتمنيت أن يأذن الله بالشفاء لكي أعوضه عن كل ما مرّ في حياته من شقاء.. ووثقت علاقتي بالعاملين بالغرفة وأغدقت عليهم بهداياي ليعتنوا به. وأعطيت أحد الممرضين تليفوني في الفندق ليستدعيني عند الحاجة. وعدت ذات ليلة من عنده متأخرا وفي غاية الإجهاد فنمت، ثم صحوت على تليفون من الممرض يدعوني للحضور، فنهضت مفزوعا وارتديت ملابسي على عجل

وهرولت قدمي للمستشفى ودخلته في الفجر، فجريت في اتجاه غرفة الإنعاش - فاذا بالممرض يناديني ثم يجذبني من يدي في صمت ويشير بيده ازاء اتجاه آخر ويقول لي من هنا ثم يقودني إلى.. إلى الثلاجة!. نعم يا سيدي إلى الثلاجة لألقي النظرة الاخيرة على شقيقي الوحيد وأقبل جبهته وأغسلها بدموعي، فقد مات شقيقي في ساعات الليل التي غبت فيها عنه، فخسرت سندي الوحيد في الحياة والإنسان الوحي الذي أحبني ربما أكثر مما أحب نفسه ورحل عن الدنيا بهذه البساطة.
الإنسان الذي لم يأخذ من الدنيا شيئا.. ولم تحمل نفسه كرها لأحد، وعاش محروما من السعادة في طفولته وفي صباه.. وفي شبابه كأنما كتب عليه الشقاء من مولده إلى مماته.
لقد مات شقيقي يا سيدي قبل أن أتمكن من سداد ديونه التي تثقل عنقي وتضحياته بنفسه ومستقبله من أجلي.. وآثر أن يرحل وأنا المستعد لتحقيق حلمي الكبير، وهو أن أدعوه للإقامة معي في شقتي الجديدة، وأن أغير عقد إيجارها باسمه، واشتري شقة تمليك لي قبل أن أعود لنفس الدولة الافريقية بعد ثلاثة شهور عسى أن يخفف استقلاله وامتلاكه لشقة خاصة من غلواء زوجته، أو على الأقل ليكون له -بيت إذا اختلف معها وعجز عن مواصلة الحياة معها، خاصة وأن خالي له شركاء هم إخوته في بيته المتهالك البعيد.. لكنه لم ينتظرني لكي أقدم حتى هذه الهدية ورحل وهو مستمر في دفع فاتورة يتمنا كنشأتنا في بيت خالي من صحته وسعادته حتى اللحظة الأخيرة.
لهذا فأنا حزين.. حزين يا سيدي اسأل نفسي دائما واسألك ماذا أفعل لكي أخلص نفسي من الإحساس بالألم الذي يفريني.. وطيفه يلازمني ليل نهار وأنا أستعرض شريط حياة شقيقي الوحيد كل يوم أبحث فيها عن - لحظة سعادة حقيقية فلا أجدها، وأجدني مسؤولا بعض الشيء عن ذلك لأني تركته يستسلم دائما ويضحي من أجلي ويعيش حياته كشجرة الصبر.. تشقى بالعطش.. ولا تشكو عطشها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـب هـذه الرسالـة أقـول:

نعم يا صديقي هناك أناس يعيشون بيننا قد لا نكتشف وجودهم من فرط حرصهم على ألا يزعجوا الآخرين بأنينهم وسخطهم ورغباتهم وتطلعاتهم وصغائرهم، فيعبروا الحياة كما تعبر النسمة الرطيبة الوجوه فتلطفها في شدة القيظ بغير أن نراها، ثم نحس فجأة بعمق خسارتنا فيهم، وبأهمية ما كانوا يمثلونه في حياتنا من النبل الإنساني، وبمدى ما خلفوه وراءهم من فراغ سحيق، عندما يرحلون عن الحياة في صمت بعد أن أعطوها الكثير، وبغير أن يأخذوا منها الكثير، كأنما خلقوا ليكونوا أشجارا للصبر تؤكد سمو الحياة المطرد وخيريتها والأمل فيها.

ومن هؤلاء كان شقيقك الوحيد بغير شك يا صديقي.. وها قد دارت دورة الحياة فاختفت من مروجها زهرة أخرى وجاء دورك الآن لكي تؤدي واجبك الحزين تجاه ابنه الوحيد، كما أدى خالك من قبل واجبه الإنساني تجاهكما. فأنهض لأداء هذا الواجب وتعزى به عما فاتك من تحقيق أمنيتك في إسعاد شقيقك وهو على قيد الحياة، فنحن نعوض في أبنائنا ما حرمنا منه نحن من أسباب السعادة في صبانا وشبابنا وحياتنا.. فلم لا يكون هذا الطفل اليتيم هو ابنك الذي تعوض فيه لأبيه كل ما حرم هو منه؟ لست أشك في أنك سوف تفعل.. لكني اطمئنك إلى أن وطأة إحساسك بالألم لعجزك عن إسعاد شقيقك، سوف تختفي للأبد حين تنهض بمسؤولية ابنه، لأن الآباء يتواصلون مع الحياة في أبنائهم.. ولا شك أنك ستكون الأب النبيل لهذا الابن الوحيد، وأنه سوف يتدفق داخلك نبع من السعادة والرضا عن النفس عند قيامك بهذا الواجب.. أما فراقك لشقيقك الوحيد الذي أحبك من أعماق قلبه، وحزنك لطريق الآلام الذي استغرق حياته القصيرة، فأفضل ما تفعله لكي تتخفف منه، هو للحياة كما أعطاها هو بسخاء، وأن تتزوج وتشكل أسرة صغيرة تمد جذورك في الأرض وتخفف من إحساسك بالوحدة، وتجعل لحياتك قيمة ومعنى، وتظللها أنت بالحب والنبل والعدل والعطاء.. فالشجرة التي لا تظلل أحدا بأوراقها لا تعرف معنى السعادة الحقيقية التي عرفها شقيقك.. ولربما كان نصيبه منها أكبر مما تتصوره أنت رغم خلو حياته من لمحاتها الظاهرة، فالسعادة سر خفي لا يعرف كنهه سوى أصحابها، وإسعاد الآخرين والتضحية من أجلهم والرضا بكل ما تحمله رياح الحياة.. وخلو النفس من الكراهية والحقد وزهدها في كثرة الرغائب فضلا عن الإيمان بالله والرضا عن النفس، من أسرار السعادة الخفية التي قد لا تلوح مظاهرها للآخرين.. وأحد الصوفية كان يعيش حياة جافة قاسية محرومة من كل أسباب السعادة الظاهرة، ومع ذلك فقد قال» لو علم الحكام ما نحن فيه من نعيم.. لقاتلونا عليه بالسيوف».
فلم لا تكون لشقيقك – المضحي المبادر دائما لإرضاء الآخرين وإسعادهم – هو أيضاً سعادته الخاصة التي نعم بها خلال حياته القصيرة؟.
إننى لا أقول لك ذلك تخفيفا عنك فقط.. وإنما أيضاً لكيلا تضاعف من خسارتك بفقده بخسارتك لسلامك النفسي، ولكي تنطلق لأداء واجبك النبيل تجاه ابن شقيقك وأنت غير مثقل بهذا الإحساس الأليم.. وفقك الله لأدائه على خير وجه وحقق لك به كل ما ترجوه لنفسك من خير ومن جزاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

النداء

أنا زوجـة أبـلغ من العمر 30 عـاما حاصلة على بكالوريوس الهندسة ومن عائلة محترمة ومتزوجة من طبيب.. ولنا أبناء كلهم ذكور، منهم ثلاثة توائم، وكلهم يتعلمون في مدارس أجنبية.. وقد أمضينا في إحدى الدول العربية عشر سنوات وأدينا أنا وزوجي فريضة الحج 5 مرات.. ثم عدنا إلى بلادنا الحبيبة لنكمل بقية المشوار.. ومشكلتي يا سيدي تتلخص في أنه منذ عدنا إلى بلادنا منذ عامين، وزوجي الطبيب المحترم يغيظني ولا يناديني أمام الأولاد إلا بـ «يا أم منخار»، فيقول مثلاً اعملي كذا يا أم منخار هاتي كذا يا أم.. أيه رأيكم يا أولاد في أم.. وبدون سبب أو غضب يفعل ذلك.

إنني لا أمتدح نفسي لكن شكل وجهي منسق جداً.. وأنا سيدة محترمة بين الأقارب والأصدقاء، وزوجة مطيعة لزوجي وهادئة ومنظمة وسيدة بيت إلى أقصى حد.. وقد رفضت الوظيفة وفضلت رعاية زوجي وأولادي.. فهل يصح بعد المشوار اليومي المتعب من غسيل وطبيخ وتنظيف وكي الملابس ثم المذاكرة لـ 5 أبناء كل دروسهم بالإنجليزية، أن يأتي زوجي الطبيب المحترم ويناديني بيا أم منخار بدلاً من اسمي، أو بدلاً من اسم أكبر أبنائي! لقد حاولت التفاهم معه باللين.. فلم يرتدع، فهددته بمغادرة البيت فقال لي لماذا.. هل ضربتك بسكين.. أنها مجرد كلمة وحقيقية، أقولها.. وقد صبرت سنين وأريد أن أناديك بما كنت أكتمه في صدري!.

فهل هذا يرضي الله يا سيدي؟

لقد فكرت في الانتحار أكثر من مرة.. ولم يمنعني عنه سوى خوفي من غضب الله.. وفكرت في الطلاق. لكن ما هو ذنب الأبناء الخمسة في أن أعرضهم للبهدلة لمثل هذا السبب. وقد حرت كيف أتصرف مع هذا الرجل... علماً بأني لا أجد شكلي في حاجة الى جراحة لأن وجهي مقبول جداً... وزوجي ليس في حياته امرأة أخرى ولا يكرهني لكنه يصر على أن يحرق دمي بهذه العبارة عشرات المرات كل يوم فماذا أفعل وأليس هذا حراماً يا سيدي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتـبة هـذه الرسالـة أقـول:

نعم حرام يا سيدتي ما دمت لا تتقبلين هذه الدعابة السخيفة وتستشعرين فيها الإساءة أمام نفسك وأمام أبنائك. وتعمد تحقير الزوجة بما يجرح مشاعرها، ويسهم في إسقاط اعتبارها أمام أبنائها جريمة لا يجوز لمنصف أن يرتكبها.. حرصاً على كرامة زوجته التي تشاركه حياته وتحمل اسمه.. وحرصاً على معنويات أطفاله الذين يتعرضون لمتاعب نفسية لا حصر لها إذا اهتز مثال الأم أو الأب أمام أنظارهم.. ثم حرصاً على كرامته هو نفسه التي قد تتعرض للخطر إذا تطورِ هذا الهذر إلى مشاجرات مستمرة... وإهانات متبادلة

بين الطرفين، ولا شك أن زوجك لم يفكر في كل ذلك، وهو يستجيب لطبيعته في هذا التصرف... وحسبه أن يتذكر أن الإشارة إلى ما يكره الإنسان أن يشير اليه أحد، ليس من آداب التعامل بين الغرباء.. فكيف بها بين من جمعت بينهما المقادير في حياة واحدة؟.

طالبيه يا سيدتي بحزم بالكف عن هذا النداء البغيض... وحاولي من ناحية أخرى ألا تظهري ضيقك الشديد به حتى لا يتمادى فيه، فبعض الناس تسعدهم إغاظة الآخرين.. ويفتر حماسهم إذا أحسـوا بأن سهامهم لم تصب أهدافها.

وذكريه دائماً بقول الرسول الكريم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله».. فلا ينقصن إيمانه، بهذا التصرف الصغير.. وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دائـرة النـدم

لا أعرف كيف أبـدأ رسالتـي اليك لأني أكتبها اليك وكلي إحساس بالندم كل الندم على ما ضاع مني وما خسرته في حياتي.. ولأبدأ أولاً بأن أذكرك بنفسي، فأنا الطبيب زوج السيدة التي نشرت رسالتها منذ حوالي أربعة شهور بعنوان «النداء»، والتي كتبت تشكو اليك من أني أصر على أن أناديها أمام اطفالنا الخمسة بـ «يا أم منخار»! حتى ضاقت بذلك ورجتني أكثر من مرة أن أقلع عن هذا النداء السخيف.. وحتى طالبتني ذات مرة بالطلاق احتجاجاً عليه، فكنت ألومها على هذا التفكير الصبياني ثم أعود الى نفس النداء كأن شيئا لم يكن.

لقد نشرت رسالها وطالبتني بمراعاة شعورها.. وبعدم الاستهانة بهذا التصرف الصغير الذي يتسبب في إيلامها وقد يؤدى إلى نتائج وخيمة.. وبعد نشر الرسالة بأسابيع سافرنا معا لأداء عمرة رمضان التي أصرت زوجتي على أدائها هذا العام، ولم أفلح في إقناعها بتأجيلها بالرغم من أننا قد أدينا معا فريضة الحج 5 مرات خلال إقامتنا في السعودية، فاستجبت لرغبتها وسافرنا لأداء العمرة في العشرة الأواخر من رمضان. وفي فجر يوم 28 رمضان أدت زوجتي صلاة الفجر في المسجد الحرام، فإذا بها تسقط على الأرض مغشياً عليها وهي تؤدي الصلاة.. وسارعت بنقلها الى المستشفى فاذا بها تلقى وجه ربها الكريم قبل أن تصل السيارة اليه.. وإذا بي أودعها الثرى الطاهر في الأراضي الحجازية.. وأعود إلى أولادي الخمسة الصغار بغيرها وأنا لا أصدق ما جرى.. ولا أعرف كيف حدث.

إنني منذ ذلك اليوم يا سيدي وانا أعيش ذاهلا وحزينا ومكتئبا وقد انقطعت عن عملي كطبيب. ولا أعرف كيف أجيب عن أسئلة أطفالي الخمسة الحائرة عن أمهم.. ولماذا عدت من السفر بغيرها. ولا أعرف كيف أقنع عقولهم بأنهم لن يروها مرة أخرى، وأنها الآن في عالم آخر بعيد تحف به الملائكة ويسوده السلام.

إنني محطم ومنهار وأحس بأني مهما فعلت فلن أستطيع أن أمحو ذنبي الذي ارتكبته في حقها وآلمتها به حتى لقد فكرت في الانتحار ذات مرة تخلصا من ندائي السخيف لها كما كتبت اليك في رسالتها. وأريد أن أزيح عن صدري هذا العبء الثقيل وأعترف لك بالسبب الذي لم أبح لها به ودعاني إلى مناداتها بذلك النداء اللعين لمدة عامين متتاليين، فالمشكلة يا سيدي أننى أبلغ من العمر 55 سنة، وكان عمر زوجتي 35 سنة لكن مظهرها كان يوحي بأن عمرها لا يزيد على 25 وحين كنا في السعودية كانت زوجتي ترتدي النقاب، وبعد انتهاء عملي فيها وعودتنا لمصر منذ عامين خلعت زوجتي النقاب وارتدت الحجاب العادي فظهر جمالها وأصبحت لافتة للأنظار بشدة في أي مكان تذهب اليه لأنها كانت على قسط كبير من الجمال.

ومع أن زوجتي رحمها الله كانت على درجة عالية من الأخلاق والهدوء والرقة والتسامح والتواضع، إلى جانب ثقافتها العالية كخريجة للمدرسة الألمانية تجيد الألمانية والفرنسية والانجليزية، ومهندسة آثرت عدم العمل والتفرغ لرعاية أطفالنا وهم خمسة ذكور.. مع كل ذلك فقد كنت أغار عليها بشدة حتى من أقرب الناس اليه ا، وأغار من نظرات الإعجاب والاحترام التي تقابل بها في كل مكان.. ومع أنها كانت ملاكا في بيتها وفى حياتها معي.. وحريصة على أداء كل واجباتها المنزلية والأسرية وتستذكر للأولاد دروسهم حتى أصبحوا من الأوائل دائما.. فلقد هداني تفكيري السقيم بعد عودتنا إلى مصر الى أن أناديها بهذا النداء اللعين، لكي أكسر به أنفها وأمنع الغرور بجمالها من أن يتسلل اليه ا، مع أنها كانت آية في التواضع والبعد عن الغرور. لكن هكذا أوحت الى أفكاري وليتني ما استجبت لها ولا آذيتها في مشاعرها فما كانت مغرورة بجمالها.. ولا مشغولة في حياتها بشيء سوى أطفالها وزوجها وبيتها. وكلما تذكرت كم كان يؤلمها ذلك النداء وكم عاتبتني فيه وكم بكت. أضيق بنفسي.. وألعن الغيرة القاتلة التي دفعتني اليه.. وأحس بالهلع والحزن والألم لأني قد فقدت هذه الزوجة الملائكية المطيعة المتدينة التي كانت تؤدي الفروض في مواعيدها وتصوم يومي الاثنين والخميس بانتظام.. ولم يكن لها رجاء - عندي في شهورها الأخيرة سوى أن أكف عن إيلامها بهذا النداء العابث.
إني حزين يا سيدي لكل ذلك.. ولا أعرف كيف أكفر عما فعلت ولا كيف أريح ضميري منه.. وأخرج من دائرة الاكتئاب لكي أرعى أولادي الصغار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتـب هـذه الرسالة أقـول:

لو أنصف الإنسان لما آذى مشاعر أحد، ولما أحس بالندم على ما فرط منه في حقهم.. لكن متى كان الإنسان منصفا وعادلا مع الجميع؟ لقد اعترفت لنفسك يا سيدي قبل أن تعترف لي بالسبب الحقيقي الذي دفعك لإيلامها بذلك النداء السخيف.. ولعله لم يكن واضحا تماما في ذهنك وأنت تتعمده وتتمسك به، وإنما كان في أغلب ظني يترجم هواجس ومخاوف غامضة لديك.. فلما رحلت زوجتك الملائكية المتدينة عن الحياة.. وخلوت إلى نفسك وراجعت ما كان من أمرك معها، تبين لك ما كان خافيا عليك في وقتها واعترفت لنفسك به.. ولو كانت تلك الدوافع واضحة تماما في عقلك الواعي.. وشريكة حياتك ترجوك أن تعفيها من ذلك النداء البغيض، لسهل عليك التخلص منه. لكن آفة الإنسان أنه يرفض غالبا أن يعترف لنفسه بضعفها.. ويفضل أن يتظاهر أمام نفسه أولا بالقوة مع أن ضعفه البشري من سماته كإنسان.. ولو اعترف به كل إنسان لنفسه، لتجنب الكثير من المتاعب وتجنب إيلام الآخرين ولما أحس بالندم بعد فوات الأوان.

إن اعترافك يا سيدي بدوافعك الحقيقية لتصرفاتك مع زوجتك الراحلة في العامين الأخيرين.. وبغيرتك الشديدة عليها هو في تقديري أول خطوة في طريق استعادتك لتوازنك النفسي. وإحساسك بالذنب تجاهها إحساس إنساني نبيل، لكنك تستطيع أن تتخلص منه بأن تحفظ لزوجتك ذكراها.. وتشيد بفضلها أمام الجميع.. وترعى أبناءها وتغرس فيهم حبها والوفاء لذكراها، وبأن تحقق فيهم كل آمالها التي لم يمهلها العمر لكي تحققها لهم. فهذا هو الطريق لتكريم الأعزاء الغائبين والوفاء لهم، أما آلامك النفسية فإن الزمن كفيل بها.. ولا دواء لها غيره، وهي من الأمور التي عناها مصطفى صادق الرافعي بقوله:

تلك مسائل مالها من حلٍّ ولكـن

إذا نُسِيَت ففي النسيـان حلٌّ

نعم يا سيدي.. ففي النسيان حلٌّ.. وفي الصبر على ما أصابك والخروج إلى العمل.. والمشاركة في النشاطات الاجتماعية والانشغال بأمور الحياة وشئون الأبناء أكثر من حل لآلامك ومعاناتك بإذن الله.. فلا شك أن رعاية خمسة أطفال صغار تحتاج إلى الخروج من دائرة الاكتئاب والندم وإلى الاحتشاد النفسي لتحمل هذه المسؤولية الكبيرة أعانك الله عليها.. وعلى غيرها من مشاكلك والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لحظـة طـيـش

أنا شاب أحمـل مـؤهـل عاليا وأعمل بوظيفة طيبة بالقاهرة وقد تعرفت على زوجتي في أحد الأندية الرياضية لأني أصلا رياضي.. وقد أعجبني فيها أنها هادئة ورومانسية كما بدت لي خلال التعارف، فتزوجتها بعد فترة قصيرة وبدأت حياتي معها.. وحاولت كزوج ورب أسرة أن أكون مثاليا معها وأن ألبي كل طلبات بيتي وزوجتي، لكن مشكلتي باختصار هي أن زوجتي مدخنة شرهة ولست أنكر أنني أيضاً مدخن وإن كان معدل تدخيني أقل بكثير من معدل تدخين زوجتي.

وللحق فإن زوجتي كانت تدخن حين تعرفت بها، لكني تجاوزت عن ذلك أو لعلى اعتبرته شيئا من المدنية والحضارة في مجتمعنا الجديد! فغالبية من يرتدن نادينا من السيدات والآنسات يدخن، ولم أشعر بأن ذلك سيتسبب في مشكلة حادة إلا بعد أن أنجبنا طفلا أصبح عمره الآن 3 سنوات. لهذا فقد حاولت إقناعها بالإقلاع عن التدخين حرصاً على صحتها وعلى صحة طفلنا وفشلت.. فامتنعت أنا عن التدخين لكي أشجعها على الامتناع لكنها لم تمتنع، بل ولم تحاول إلى أن حدث ذات يوم أن وجدت طفلي يمسك في يده بسيجارة.. ويحاول إشعالها بولاعة السجائر، والولاعة من يديه ونهرته بعنف وحذرته من العقاب الشديد إذا عاود ذلك مرة أخرى.. وبعد ذلك بعدة أيام عدت من عملي الى البيت وقت الأصيل، فسألت زوجتي عن طفلي الصغير فأشارت بيدها بما يفيد أنه يلعب في الشرفة فتوجهت اليه لأداعبه.. ففوجئت به جالسا في الطرف البعيد من الشرفة وفي يده سيجارة مشتعلة يضعها في فمه وينفخ فيها، فثرت عليه ثورة شديدة ونزعت السيجارة منه وانهلت عليه لوما وتوبيخا، فانفجر في البكاء ولم يجد ما يدافع به عن نفسه سوى أن يقول لي من بين دموعه و «اشمعنى ماما»، فهدأت ثورتي قليلا.. واحتضنته وقلت له وأنا أحاول أن أتمالك نفسي أن ماما مريضة وأن الطبيب يعالجها بتدخين السجائر وأنها حين تشفى من مرضها سوف تمتنع عن السجائر، نهائيا لأنها ضارة بالصحة. وهدأ طفلي قليلا، لكن نفسي لم تهدأ فعدت الى زوجتي لأناقشها في هذا الأمر وأمرتها بالامتناع عن التدخين نهائيا، واحتدت المناقشة بيننا فمدت يدها بالية إلى علبة السجائر لتشعل سيجارة، فخطفت علبة السجائر من أمامها ورفضت أن أعطيها لها فتشاتمنا.. ففوجئت بها تبصق على في عصبية شديدة! ووقفت مذهولا وصامتا ثم وجدت نفسي أقول لها بانفعال شديد «كتّر خيرك»، ثم بحثت عن حقيبة الأوراق التي أحملها في يدي وانصرفت من البيت وتوجهت الى بيت أسرتي، وأنا في غاية الضيق. وسألني أبي عما بي فانتحيت به جانبا ورويت له ما حدث بالتفصيل، وسمعني مهموما، لكني ما أن وصلت الى عبارة وبصقت على فقلت لها كتر خيرك ثم تركت لها

البيت حتى وجدت أبي ينتفض في جلسته ثم يرفع يده ويصفعني على وجهي صفعة شديدة!
وتسمرت في مقعدي مذهولا مرة أخرى، وزاد من ذهولي أن أبي لم يضربني منذ كبرت، وأنها المرة الأولى التي يصفعني فيها وأنا زوج وأب وموظف مرموق فقلت له ذاهلاً أتضربني يا أبي؟ فقال لي بإصرار: نعم أضربك لأن هذا ما كان ينبغي عليك أن تفعله حين بصقت زوجتك على وجهك أيها الشاب الكبير المتزوج.. لكنك لم تفعل لأنك لست رجلا.. ثم صمم على أن أطلقها مؤكدا لي أن الزوجة التي تبصق على زوجها تحتقره.. وعلى أن أفعل ذلك.. أو ألا أدخل له بيتا بعد ذلك ويتبرأ مني وحملني مسؤولية الزواج من فتاة مدخنة معتبرا ذلك سلوكا مشينا.. ومرددا بحسرة وألم أنه كان يحسبني رجلا.. لكن يا ألف خسارة!
وهكذا وجدت نفسي في موقف عصيب زاد من همي بتصرف زوجتي هما جديدا! لقد أردت بعدم ضرب زوجتي أو تأديبها حين فعلت ما فعلت ألا يتطور الأمر بيننا لأنها عصبية وبيننا طفل يرى ويسمع، و، وأريد له أن يتربى بين أبوين.. لكن الموقف ازداد تعقيدا بما حدث، فماذا أفعل وأنا رغم حزني الشديد مما حدث لا أريد أن أهدم بيتي الذي بنيته ولا أريد أن أحرم إبني من حنان أبويه.. وفي نفس الوقت لا أريد أن أخسر أبي الذي رباني وعلمني فأتجاهل رأيه ومشاعره وهو في هذه السن.. فماذا أفعل هل أطلقها بناء على رغبة أبي لكي أصون رجولتي، علما بأني لست متيما بها وأستطيع الاستغناء عنها، لان زواجي بها لم يكن عن حب جارف وإنما مجرد إعجاب أم ماذا افعل يا سيدي؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـب هـذه الرسالـة أقـول:

معظم النار من مستصغر الشرر! فحين قرأت السطور الأولى من رسالتك تصورت أن مشكلتك الأساسية هي أن زوجتك مدخنة - آفة كريهة في حد ذاتها – فإذا بهذه المشكلة الصغيرة تقود أسرتك الى كارثة أشد هولاً.. يا إلهي!. ماذا حدث للعلاقات الإنسانية ومن أين جئت أنت – في مواجهة حمقها – بهذا القدر الهائل من ضبط النفس الذي يحسدك عليه حكماء الهنود! على أية حال.. إن أباك يا صديقي محق في حزنه من أجلك وفي ثورته عليك. وصفعته لك - مع تحفظي على تصرفه هذا – هي في النهاية صفعة حب وإعزاز لك... فقد كبر عليه أن تسكت على ما نالك.. من زوجتك مهما كانت دوافعك.. ورأى في ذلك تخاذلا لا يليق بك لهذا فإني التمس له العذر تماماً وأفهم مشاعره.
ولو لم يكن لك طفل بريء لم يختر أبويه لنصحتك بلا تردد بأن تستجيب لمشورة أبيك، لكن لأن هناك طفلاً بريئاً حائراً بينكما فلابد من أن نفكر معا

في أمره وفي سعادته. لذلك فإني أنصحك بأن تهجرها بغير طلاق في البداية.. إلى أن تستوعب ما فعلت وتدرك هول حمقها واندفاعها. ومع أني لست من أنصار إشراك الأهل في المنازعات الزوجية بقدر الإمكان حرصاً على ألا تتشعب الخلافات وتتحول إلى جروح غائرة، إلا أنه في موقفك بالذات وبسبب إصرار أبيك على طلاقها إثباتا لرجولتك، فان التصرف المتاح أمامك الآن هو أن تبلغ زوجتك بوضوح أنك مضطر لأن تنفذ رغبة أبيك بعد أن تعدى الخلاف جدران عشكما.. وأصبحت رجولتك في الميزان أمام أبيك، وأصبحت علاقته بك مهددة بالانهيار إذا تجاهلت مشورته، فإن شاءت ألا تفقدك وأن تفعل كما تفعل الفضليات وتضع سعادة طفلها ومستقبله نصب عينيها فلترد عليك كرامتك ورجولتك اللتين اهتزتا بعنف في مخيلة أبيك.. ولتقدم لك الترضية الكافية في حضوره وبمباركته.. بل ولتطلب اليه أن يتوسط لديك لقبول اعتذارها وندمها على ما وقع منها في لحظة طيش لن تتكرر، ولتتعهد له ولك بأنها ستجاهد نفسها إلى أن تتخلص من آفتها الكريهة في أقرب وقت.. ولسوف تهدأ نفس أبيك على الفور وسيجد في ذلك اعتذارا كافيا وندما خالصا على ما جرى، وسوف يحثك هو متفضلاً ومؤثرا مصلحة طفلك الصغير على أن تعود اليه ا، لأنه ما ثار أصلا إلا حزنا عليك، ولا يرضيه شيء أكثر من أن يطمئن قلبه إلى أنك ستحيا سعيدا موفور الكرامة.

فإن فعلت زوجتك ذلك فعد اليها وابدآ معا صفحة جديدة سعيدة بإذن الله، أما إذا استعظمت هذه الترضية البسيطة ورفضتها، فسوف يكون ذلك دليلاً على أنها لم تستوعب درس التجربة بعد ولم تستفد منه، وفي هذه الحالة وبعد فترة مراجعة أخيرة للنفس تمنحها لها لإنقاذ طفلكما من الضياع لابد مما ليس منه بد... عسى أن تعلمها مدرسة الأيام المريرة ماعز عليها أن تتعلمه بلا ثمن حين كان كل شيء في متناول أيدينا فأضعناه بحماقتنا وكبريائنا الكاذبة. ثم بكيناه.. ورجوناه.. وندمنا على ضياعه حين لا ينفع الندم!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عـشـرة العـمـر

أعـرف أن قصـتي غربية ويندر حدوثها لكنها الحقيقة المرة التي أعيشها والتي أريد لنفسي مخرجا منها، فمنذ 11 عاما تزوجت من زميل لي عقب تخرجنا معا في الجامعة وبعد قصة حب عنيفة توجها الله بالزواج. ومنذ اليوم الأول من زواجنا كنت لزوجي الحبيب الزوجة والأخت والأم التي تحنو على طفلها المدلل. وكان اتفاقنا منذ البداية هو أن نسرع بالإنجاب لأن زوجي يحب الأطفال ويتلهف على الإنجاب. وطرت فرحا حين حملت في عامي الأول من الزواج، لكني أجهضت بعد قليل دون سبب معروف، وحاولت أن أكرر الحمل مرة أخرى فلم يأذن الله لي به ولم تنجح جهود الأطباء في تحقيق أملي وأمل زوجي، وسلمت أمري إلى من بيده أمر كل شيء. وتفرغت لزوجي ولعملي كمدرسة. وحرصت دائما على أن أجعل من عشي الصغير واحة يستريح فيها زوجي وينعم فيها بحبي وحناني وطاعتي له في كل الأمور وسعد زوجي بحياته معي.. وتخلص قلبي من هواجسه بشأن لهفة على الإنجاب.

ثم فوجئت به ذات يوم يفاتحني برغبته في أن يتزوج مرة ثانية لكي ينجب الطفل الذي ينتظره وأنه يريد أن يتزوج الأخرى التي لم يقع اختياره عليها بعد في نفس شقة الزوجية التي تضمنا معا، لأنه غير قادر على إيجاد شقة أخرى.. وصعقت حين سمعت ذلك وبكيت حتى جفت دموعي ورفضت بالطبع.. لكنه بعد قليل استطاع أن يقنعني بقبول المبدأ وبعد فترة أخرى استطاع أن يقنعني بأن تعيش معنا في نفس الشقة بسبب ظروفه وبصفة مؤقتة إلى أن يستطيع أن يحل مشكلة الشقة.. ووافقت مرغمة.. ولم يكن لي طلب عنده أن يتعهد لي أمام صديق حميم له بألا يسيء معاملتي بعد زواجه؟ وجئنا بهذا الصديق ورويت له قصتي والعهد الذي أطالب بأن يشهد عليه، فاستنكر ذلك وخاطبه قائلا: إذا كانت ظروفك لا تسمح لك بإيجاد شقة أخرى فزوجتك لا ذنب لها في ذلك، وليس من الرحمة أن تحملها هذا العناء.. فتنفست الصعداء وزالت الغشاوة عن عيني وتمسكت بألا يتزوج في شقتي. واتفقنا على أن يبحث عن زوجة لها شقة ليقيم معها بعيداً عني على أن يعدل بيننا.. فتذكر فتاة تقيم مع والدها ووالدتها في شقة بمنزل أسرته ولم تتزوج بعد، وسألني عن رأيي فيها فشجعته على التقدم لخطبتها. وتقدم اليها فعلا وتمت الخطبة وتزوجها في شقة أبيها.. وغاب عني أيام العسل الأولى. فعرفت لأول مرة في حياتي معنى الألم والإحساس بالقهر والمرارة وأمضيت اليومين الأولين في الفراش لا أنام ولا أستطيع أن أغادره.. ثم فجأة أنزل الله على سكينته وقررت أن أواجه الأمر الواقع بهدوء فسألت نفسي: هل أريد الطلاق منه؟ لا.. أنا أسعد باللحظات التي يعيشها معي وقد قبلت من الأصل مبدأ زواجه لكي ينجب طفلا أنا عاجزة عن إنجابه. نعم، إذن لا معنى للمعاناة والألم وضياع

الوقت.. ونهضت من فراشي وقد تولاني نشاط غريب فقمت بتنظيف الشقة فجأة وإعادة ترتيبها وغيرت مواقع بعض قطع الأثاث فيها لتكتسب شكلا جديدا ثم خرجت فاشتريت لنفسي بعض الملابس الجديدة وعدت لارتديتها حين يعود زوجي فيجدني في أجمل صورة. وجاء زوجي بعد ساعات ففوجئ بمنظري وبشكل البيت وبروحي الودود.. ومرت لحظات الحرج الأولى كما تمر كل الأزمات، وعشنا أيامنا بطريقة عادية لا اختلاف فيها سوى أني تعودت تدريجيا على أن أقضي ليلة وحيدة كل ليلتين وعشنا على هذا الحال في هدوء.. لكن الزوجة الجديدة لم تحمل بعد عام من زواجها. واكتشف زوجي أن بها عيبا عضويا يمنعها للأسف من الحمل والإنجاب.. فطاف بها على الأطباء دون أي أمل في العلاج، ولم يحتمل حدة طباع أمها التي تقيم معها فطلقها يائساً وعاد للتفرغ لي.. ومضى عام سعيد في حياتنا قدرت خلاله أنه قد رضي بنصيبه من الحياة بعد أن جرب الزواج مرة اخرى ولم يكتب له الله الإنجاب. لكن تقديري خاب مرة ثانية فقد بدأ يفكر في الزواج ورفضت مرة أخرى، وطالبته بأن يتحمل قدره كما أتحمله أنا في صبر فلم يستجب وصمم على رأيه، فوافقته على الزواج واتفقنا على أن يتزوج هذه المرة من سيدة سبق لها الإنجاب ليتأكد من قدرتها على تحقيق أمله وبدأ يبحث عن زوجة. وكانت لي زميلة بالمدرسة التي أعمل بها أرملة ولها طفلان - وأستريح اليها فعرضت عليها أن تتزوجه فدهشت لهذا الطلب الغريب ورفضت مناقشته لكني ألححت عليها. بأن تفكر فيه على مهل.. فوعدتني إشفاقا على وبعد أيام سألتها عن رأيها ومازلت بها حتى وافقت على الفكرة لكن أهلها هم الذين رفضوا أن تتزوج من رجل له زوجة أخرى.. ثم عرض عليه صديق له أن يتزوج من سيدة مطلقة لها طفل ولها شقة فتقدم لها زوجي ورحب به أهلها واعتبروا ابقاءه على وحرصه على استمراري كزوجة له رغم عدم إنجابي دليلا على طيب عنصره. ولأنه سوف يتزوج في شقتها.. فقد قدم لها مهرا قدره 5 آلاف جنيه مقابل الشقة وتم الزواج وقمت أنا بعمل البوفيه الخاص بالفرح!
وشغلت نفسي خلال أيام العسل كالعادة بإعادة ترتيب شقتي وتجميلها وشراء ملابس جديدة ليجدني عند عودته كما يحب أن يراني.
وتحقق أمل زوجي هذه المرة سريعا فقد حملت زوجته من الشهر الأول وفرح بذلك فرحة طاغية، لكنه للأسف لم يهنأ بفرحته طويلا فقد بدأت زوجته بعد حملها تكلفه مالا يطيقه.. وبدأت تطالبه بشقة أخرى غير شقتها.. وبدأت طباعها تسوء معه يوما بعد يوم، حتى لم يعد يطيق البقاء معها ويعود الى حزينا. ثم ازداد غضبه منها ومن أسرتها مع تصاعد الخلافات، فانقطع عن الذهاب اليها نهائيا منذ ثمانية شهور. وأنجبت زوجته مولودها فلم يذهب زوجي لرؤية طفله الذي تلهف عليه طوال السنوات الماضية، واتصلت هي بشقيقه بعد عشرين يوما من الولادة لتبلغه بالخبر فلم يذهب زوجي اليها رغم ذلك، وأرسل شقيقه نيابة عنه وانقطعت أخبارهم عنه عند هذا الحد.

وحتى الآن لم ير زوجي ابنه لهذا فقد ساءت حالته النفسية جدا، وأصبح يثور لأتفه الاسباب واحتملته وحاولت التخفيف عنه وعاملته كما كنت أعامله منذ زواجي به كزوجة وأخت وأم ولكنه للأسف تغير كثيرا وأصبح جامد المشاعر وفي حالة غريبة من اللامبالاة، لا يهتم في إذا بكيت ولا يعلق بشيء إذا تصرفت أي تصرف. ولقد حاولت مرارا أن أعيده الى طبيعته المرحة وإلى شخصيته الحقيقية ففشلت.. وبدأت أفتقد حبه وحنانه. وليت الأمر توقف عند هذا الحد فلقد بدأ زوجي يفكر مرة ثالثة في الزواج لكي ينجب طفلا يقوم على تربيته بنفسه، لأنه قرر أن يطلق الأخرى ويشعر أنها سوف تحرمه من ابنه، وحجته في ذلك ان «الشرع قال أربعة»، وانه لا يفعل ما يغضب الله.
لكني أرفض بشدة هذه المرة أن يتزوج ويكفيني ما عانيته من قبل من زواجه مرتين وما سببه لي من آلام نفسية.. لكن المشكلة أني في نفس الوقت لا أطيق الحياة بدونه لأنه عشرة عمري.. فماذا أفعل.. وماذا أقول له؟ –

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

قولي له يا سيدتي «لم أرك عدلت»، ولا تخشي شيئا فلقد قالها، قبل أعرابي جلف لسيد الخلق أجمعين، وأعدل من حكم بين الناس من البشر، فلم يبطش به ولم يزد عن أن قال له متعجباً: ومن يعدل إن لم أعدل أنا؟
أما أن زوجك لم يعدل معك برغبته في أن يتزوج للمرة الثالثة بعد زواجكما الذي توج قصة حب طويلة، فهذا أمر لا جدال فيه فإننا حتى لو تفهمنا رغبته في الزواج من أخرى لكي ينجب.. وفهمنا قبولك بذلك إدراكا لحاجته للإنجاب وتمسكا بمن تحبين ولو تعاليت.. على آلامك.. فلقد تزوج يا سيدتي مرة فلم ينجب وتزوج مرة ثانية فأنجب لكنه لم يسعد بمن أنجبت له ولم يتحمس لرؤية طفله الذي كان متلهف عليه والذي عرضك لهذه المحنة من أجله مرتين فماذا يريد أكثر من ذلك؟ ومن يدريه أنه سوف يوفق للإنجاب من الثالثة، وانه لن يشقى بها كما شقي بالأخرى فلا يتلهف لرؤية طفله منها إذا كتب له الله الإنجاب مرة ثانية؟
وأين يجد كل هؤلاء السيدات اللاتي يقبلن به وهو زوج لزوجة محبة ومخلصة ومتفانية في إسعاده وفي الحرص عليه مثلك؟ وإلى متى سوف يتوقع منك أن تعارضيه قليلا في البداية ثم تمنحيه موافقتك راضية أو غير راضية لأنك مغلوبة على أمرك معه!
وإلى متى سوف يتوقع منك أن تنهضي وأنت مذبوحة من الألم لإعداد بوفيه الفرح ثم لإعادة ترتيب الشقة وشراء ملابس جديدة لكي تتجملي في انتظاره بعد كل زفاف.
إن الحرص على «عشرة العمر»، يجب أن يكون متكافئا بين الطرفين وليس من طرف واحد وإلا صار هوانا ومذلة!

فإذا كان من حقه أن يتطلع لإنجاب طفل ينشأ بينه وبين زوجته فإن من حقك بكل تأكيد أن تحجبي عنه موافقتك على الزواج وأن تطالبيه بالانفصال إذا أصر عليه.. ولن تظلميه إذا فعلت، فلقد أنجب فعلا ويستطيع أن يشبع عاطفة الأبوة في طفله ولو كان في حضانة أمه. وأغلب ظني أنه لو لمس منك قدرة حقيقية على الرفض ومغالبة نفسك على قبول الانفصال عنه لتردد ألف مرة في أن يضحي بك وبعطائك السخي له من أجل أمل في علم الغيب ولو أنصف لفعل.. ولرضي بحسن اختيار الله له ولم يعدل به بديلا، أما إن لم يفعل فسوف تكتشفين بعد قليل أنك قادرة على الحياة بعده.. وربما مع غيره. وسوف يكتشف هو أن السعادة كانت بين يديه لكنه أضاعها بتطلع الإنسان الدائم إلى ما ليس بين يديه، وآفة الإنسان الشره!.

أما حجة «ان الشرع قد قال أربعة» هذه فهي حجة يرددها كثيرون بغير فهم، ويعطون بها انطباعاً خاطئاً يسيئون به إلى الشرع حين يصورون الأمر وكأن الأصل هو تعدد الزوجات والاستثناء هو الاكتفاء بواحدة! في حين أن تعدد الزوجات «رخصة»، وليس دعوة إلى الزواج بأكثر من واحدة أو أمرا بذلك. وليرجع من يفتون بغير علم إلى كتب الفقه ليتأكدوا من ذلك، وأقربها مثالا لمن يريد، كتاب فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق الذي يقول في ص 250 من الجزء الثاني إن: «تعدد الزوجات ليس واجبا ولا مندوبا» أي ليس واجبا ولا مستحبا، إذ أن عبارة الأمر المندوب في الشرع هي: الأمر المستحب (المعجم الوسيط - 946).

وليرجعوا أيضاً الى كتاب «بيان الى الناس من الأزهر الشريف»، الذي يقول بالنص في ص 230 الجزء الثاني: «أنه ليس أمرا واجبا بل مباحا يتوقف على حاجة الرجل اليه وقدرته عليه «.

كل ذلك بالإضافة الى تقييده بشرط العدل الذي يضيق دائرته إلى أقصى الحدود، وبحق الزوجة في أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها وبحقها في طلب الانفصال عنه إذا فعل.

فما هي إذن حاجة زوجك إلى الزواج للمرة الثالثة بعدك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دمـوع الـصمـت!

أكتب اليك يا سيدي.. لأسألك هل صحيح أنه لا يليق بالرجل إذا كبر وتزوج وأنجب ورأس موظفين وموظفات أن يبكي كلما غلبته مشاعره؟ ولكي أعينك على أن تفتيني بالرأي السليم سأشرح لك ظروفي.

فأقول لك إنني تفتحت للحياة فوجدت نفسي يتيم الأب أعيش مع أمي وأختين في إحدى المدن الصغيرة، يرعانا خالي الذي يقيم في البيت المجاور لنا وأخ أكبر يعمل موظفاً في القاهرة ولا يزورنا إلا في الإجازات الصيفية. ورغم غيابه عنا فلقد كان نجم العائلة الذي لا ترد كلمته في شأن من الشئون، والمثل الأعلى لي ولشقيقتي الاثنتين أما عند خالي فقد كان «الأستاذ» الذي أنهى تعليمه واغترب وتوظف واستحق احترام الآخرين. ولم يكن لأخي الأكبر دور يذكر في المسؤولية المادية عنا فلقد كنا نعيش على معاش أبي وربع قطعة أرض صغيرة. ولم يقلل ذلك من حبنا واحترامنا له لأننا نشأنا على احترام الكبير مهما كان وضعه بيننا، وكانت ظروف حياتنا تضطرنا إلى التقشف الشديد وتحرمني من كثير مما أحتاجه، فكنت أحتمل ظروفي بصبر.. وكنت أقضي العام الدراسي كله ببنطلون واحد وقميص واحد، وأقضي الشتاء ببلوفر أثري قديم. وحين بلغت المرحلة الثانوية ونما جسمي أصبحت أرتدي ملابس أخي القديمة مهما كان حجمها، وأتحمل سخرية السفهاء من زملائي حين يرون «الجاكتة» التي أرتديها تتدلى تحت ركبتي. وهكذا عشت حياتي حتى حصلت على الثانوية العامة، وآن الأوان للالتحاق بالجامعة في العاصمة. وكان أخي عزبا لم يتزوج وقد تحسنت ظروفه المالية وأصبح يركب سيارة صغيرة، فبت أحلم باليوم الذي سأنتقل فيه للإقامة معه في شقته وأعيش حياته الراقية، ففوجئت بمجلس العائلة يجتمع ويبلغني بأن على أن أبحث لنفسي عن سكن بجوار الكلية التي سألتحق بها لأن شقة أخي لن تتسع لي بحجة أنها بعيدة عن الكلية. وفهمت أن أخي لا يريدني أن أقيم معه لأسباب قدّرها هو، ولم اعترض لكني أحسست بشيء من المرارة. وشددت الرحال إلى المدينة الواسعة وطفت بشوارعها بحثا عن سكن حتى عثرت على جحر في بيت خرب بلا مياه ولا كهرباء واتفقت مع اثنين من زملائي على الإقامة فيه واقتسام إيجارها وتكاليف المعيشة فيها، وبدأت حياتي الجامعية وكلي أمل وتفاؤل وواجهت حياة الغربة وحيدا في المدينة الكبيرة.

وبعد أسبوع توجهت لزيارة شقيقي في مسكنه الراق لأقضي يوم الجمعة وأتمتع بدخول الحمام وتناول وجبة طعام شهية، فاستقبلني بفتور وطلب مني عدم زيارته لأن اصدقاءه يزورونه باستمرار وهو لا يريدني أن أختلط حتى لا أنصرف عن دراستي!

وفهمت أني غير مرغوب في ظهوري في عالمه الخاص، وتألمت داخلي ومع ذلك لم أفقد حبي أو احترامي له.

وعدت إلى الشقة مهموما، وسألني شريكاي عما فعلت مع أخي وماذا أكلت عنده، فرويت لهما قصة خيالية عن فرحته بي حين رآني وكيف عانقني وكيف تغذينا طعاما شهيا وكيف قدمني لأصدقائه من كبار الموظفين. لكن القصة لم تنطل على أقربهما منى فانتهز فرصة غياب شريكنا الثالث في المطبخ وسألني عما بي.. فلم أستطع أن أمنع دموعي وأنا أروي له القصة الحقيقية..
ومنذ ذلك اليوم لم أزر شقيقي في مسكنه حتى تخرجت. وكان هو خلال سنوات الدراسة يزورني مرة كل شهرين فيأتي بسيارته ويتركها في أول الحارة.. ثم يدخل متأففا من رائحة المجاري التي تنبعث من البيت والشقة، ويرفض شرب الشاي ويمضي معنا عدة دقائق يسألنا خلالها عن دراستنا كأنه ناظر يفتش فصلاً ويسأل تلاميذه عن دروسهم.. ثم ينصرف مودعاً منا بالإجلال والإكبار. وعلى هذا الحال مضت حياتي حتى تخرجت وبيعت قطعة الأرض الصغيرة لإتمام زواج شقيقتي.. واحتفظ خالي بما تبقى من ثمنها ليوزعه بالعدل بيني وبين شقيقي عند زواجنا وبدأت أبحث عن عمل.
وبعد شهور جاءني خطاب القوى العاملة وعملت بإحدى المؤسسات، وعمل زميلاي في الشقة المتواضعة، فقررنا أن نبحث عن شقة أفضل نسبيا، وتمكنا بعد شهور من الانتقال إلى شقة بها ماء وكهرباء وخرجنا إلى سطح الأرض من الجحر الذي عشنا فيه 6 سنوات.
وكنت في، عامي الأخير بالكلية قد ارتبطت بزميلة لي ظللت عامين طويلين أنظر اليها في صمت وأرجوها لنفسي بغير أن أجرؤ على مفاتحتها بمشاعري، إلى أن بادرتني هي في العام الثالث وشجعتني على مصارحتها وتعاهدنا على الزواج وتركزت أحلامي حولها، فخففت عني كثيرا من متاعب حياتي. وبعد أن عملت بدأت تطالبني بالتقدم لخطبتها ونظرت فوجدت نفسي شابا في الرابعة والعشرين وأعمل.. فلماذا لا أتجرأ على مفاتحة أهلي في أمر زواجي الذي لن يتم قبل أعوام وحدثت أمي وخالي وشقيقتي فرحبوا جميعا.
ثم جاءت المهمة الصعبة وهي نيل موافقة أخي الكبير الذي لن تتم خطوة بغيره، فكتبت له رسالة طويلة وطلبت منه في نهايتها مباركته لمشروع زواجي. وكان حرجي الوحيد في الأمر هو أنه كان قد بلغ الثامنة والثلاثين ولم يتزوج، لأنه يؤمن بأن الإنسان لا يصح له ان يتزوج إلا بعد أن «يكون» نفسه ويقيم بنيانه كاملا. وتركت الرسالة له في صندوق بريده وانتظرت أياما في قلق بالغ أن يفاجئني بزيارته ويحاسبني حساب الملكين قبل أن يعلن موافقته لكن الأيام مضت ولم يزرني.
ثم فوجئت به يدعوني لمقابلته في شقته فذهبت اليه وجلست مترقبا ما سيقول فاذا به يفاتحني بأنه قد قرر ان يتزوج لأن العمر قد تأخر به وانه سوف يحتاج الى كل ما بقي من ثمن الأرض لأنه سيتزوج فتاة من أسرة كبيرة ويطلب «رأيي»، في ذلك.. فأحسست بغصة في حلقي وكتمت مشاعري ولم أستطع إلا أن أقول له: ألف مبروك، وفهمت الإشارة بغير

حاجة لشرح طويل أنه يقول لي اصرف نظرا عن... موضوع الزواج وسأتزوج أنا بدلا منك ولن تنال شيئا من النقود قبل 5 أو 6 سنوات وإن شئت فلن أعطيك منها شيئا لأني استحق نصيبك بما ساعدت به الأسرة خلال فترة تعليمك.
وعدت إلى مسكني مهزوما.. واتصلت بي فتاتي تتعجلني فأبلغتها عجزي وأحللتها من عهدها معي.. فتركتني ساخطة وتزوج أخي سيدة مطلقة ولها بنت ومن أسرة ثرية. وبالغ في الإنفاق على الزواج ليظهر في مستوى لائق بأسرتها، ولم أشك أنا لأحد وواصلت حياتي البسيطة... وبعد عامين تزوج شريكا السكن وغادرا الشقة وبقيت فيها أعاني متاعب الوحدة وحياة الغربة.
وأنجب أخي طفلة وطفلا وسافر عدة سنوات ثم عاد، وبلغت أنا الثانية والثلاثين وثقلت على حياة الوحدة. وشكوت لأمي متاعبي وطالبتها بأن تبحث لي عن فتاة مناسبة ترضي بإمكاناتي المحدودة وشقتي المتواضعة. كنت في حالة يأس من كل شيء فأردت أن أتزوج من أي إنسانة تقبل في وفي حدود مدخراتي الصغيرة وشجع أخي هذا الاتجاه وطالبني بان أتزوج فتاة من أسرة بسيطة لكي تقنع بالحياة معي، لأن زوجته الثرية قد استنزفت ماله بأنفاقها وإسرافها مع حرصها الشديد على ألا تنفق قرشا من مالها بحجة أن ابنتها أحق به!
وتزوجت بلا حب من فتاة من معارف الأسرة، وبدأت حياتي معها راضيا بنصيبي من الدنيا وعرفت الاستقرار لأول مرة بعد 14 عاما من الوحدة والاغتراب.
وبدأ أخي يزورني في شقتي المتواضعة كثيرا ويمضي معي الأمسيات ويرحب بدعوتي له للعشاء، وبدأ يصارحني بمتاعبه مع زوجته وأنانيتها وكبريائها وثوراتها العصبية المستمرة. وقال لي ذات مرة انه لا يحس بالراحة الحقيقية إلا في بيتي البسيط هذا، وأنه كان يتمنى لو تزوج من أول فتاة أحبها وعاش معها حياة سعيدة بسيطة كحياتي.. ووجدت الدموع تنهمر من عيني وهو يرقبني بدهشة!.
فشقيقي يشكو لي من زوجته الثرية التي لم يسعد معها والتي حرمني بسببها من الارتباط بمن أحببتها، وحكم على بأن أتزوج ممن لم أحبها.. ولم أستطع أن أحبها لجفاء طبعها وجمودها وفتورها، وإن كنت أتحمل حياتي معها راضيا.
وبدلا من أن أنقم عليه وجدت نفسي تفيض عطفا وإشفاقا عليه، وهو الذي لم يشعرني يوما بأي عطف على، وأصبحت أكثر من السؤال عنه ومن دعوته لزيارتي. وأزوره للاطمئنان عليه وأتحمل كبرياء زوجته وأنفتها، من أجله، بل ولا أشكو ذلك لأحد من ذلك لأحد حتى لزوجتي. وسافرت في مهمة عمل إلى الخارج فحرصت على أن أعود محملا بالهدايا له ولزوجته ولابنتها بالرغم من أنه قضى في الخارج 4 سنوات ولم يفكر في إهدائي شيئا.

ولم انقطع عن زيارته حتى بعد أن أهانت زوجته زوجتي ذات مرة بلا سبب، وخاصمت كل منهما الأخرى للأبد. ثم جاءتني فرصة للعمل في الخارج فشجعني أخي على قبولها وسافرت لمدة 3 أعوام عدت بعدها وقد جمعت مدخرات بسيطة، لكن الله بارك فيها فزادت ونمت، فقد عرض على أبناء خالي أن أشتري بيتهم المتهدم بعد هجروه لأنهم في حاجة الى ثمنه للزواج، فاشتريته رغبة في مساعدتهم وبأعلى سعر قدره أصحاب الخبرة، فلم تمض سنوات حتى تضاعفت قيمته وجاءني من اشتراه بعشرة أمثال سعره.. واستقرت أحوالي المادية والحمد الله وكبر أبنائي وترقيت في عملي، أن وإن كانت زوجتي قد بقيت على فتور مشاعرها وجمودها وخصامها لي بسبب وبغير سبب، وانتظارها مني دائما أن أبدأها أنا بالصلح بحجة أنني الرجل.. وأن الرجل هو الذي لابد أن يبدأ. ثم فوجئت ذات يوم بفتاتي الأولى تزورني في مكتبي وقد ازدادت جمالا على جمالها القديم، وشكت لي من أن زوجها قد هاجر منذ 6 سنوات إلى أمريكا ويرفض اصطحابها معه.... ولا يزورها إلا لمدة 3 أسابيع كل سنة، وأنها تتحمل وحدها مسئولية تربية ولدها وطفلتها، فتدفق الينبوع القديم في داخلي لكني أوقفته عند حده، ولم أستجب لها حين دعتني بعد ذلك الى إحياء حبنا القديم وقلت لنفسي إن زمن المغامرات قد انقضى، وما أنا بقادر على أن أتخلى عن التزاماتي تجاه أولادي وأتزوجها، ولا أنا أستطيع أن أتقبل الخيانة.. أو أحرض زوجة عليها مهما كنت راغبا فيها، فصمدت لمشاعري القديمة ورفضت مجاراتها في رغبتها أن تحصل على الطلاق للهجر وتتزوجني مع بقائي مع زوجتي.. واقنعتها بالرضا بحياتها من أجل أولادها. وتحملت أنا هذه العاصفة الداخلية وحدي، ولم أصارح أحدا بها حتى الآن فانعكست على سلوكي واكتئابي.

ثم زرت أخي ذات يوم بغير موعد سابق ففوجئت بأصوات عالية صادرة من شقته فدخلت منزعجا، فإذا بزوجته في إحدى ثوراتها تنهال على أخي بكلمات قارصة مهينة أمامي. وعز على أن أرى مثلي الأعلى يتعرض للإهانة فهتفت بها أن تحافظ على كرامته أمام أخيه الأصغر فاذا بها تواصل انفجاراتها لاعنة الأكبر والأصغر على السواء فصفعها أخي.. وازدادت هي هياجا وكانت فضيحة رقدت بعدها يومين مريضا بسبب انفعالي، وغبت عن العمل وامتنعت بعدها عن زيارته في بيته ولم أبح لزوجتي بما حدث وكتمته في صدري.

ويبدو يا سيدي أن المصائب لا تأتي فرادى كما يقول المثل العربي. فبعدها بأيام افتعلت زوجتي أزمة جديدة بلا أي سبب وهجرت البيت الى بيت أبيها.. فتحملت وحدي رعاية الولدين لمدة أسبوعين حتى طاوعتني نفسي على الذهاب اليها وأعدتها.. فعادت، وعدت وأنا أحس أننا نتقدم معا في طريق مسدود! ورغم ذلك لا أشكو منها ولم أشك منها أبدا حتى لأحد من أهلي أو أصدقائي. وبعد هذه الأزمة بأيام أصبت بإغماء في العمل واستدعوا لي الطبيب فاكتشف إصابتي بمرض السكر.. ولم انزعج لذلك كثيرا لأني مؤمن

بالله وبدأت العلاج والالتزام بنظام غذائي معين. وبعد عدة أسابيع لاحظت عدم قدرتي على تحمل أي جهد، فعدت للطبيب الذي أجرى لي فحوصا عديدة وانتهى الى أنه قد طاف بي طائف آخر من مرض جديد يتطلب نظاما غذائيا أكثر قسوة ويحرمني من معظم أنواع الأطعمة ومن أشياء أخرى كثيرة، فتقبلت قضائي أيضاً صابرا وراضيا، ولم أصارح أحداً بمرضي الجديد. وأصبح طعامي الآن أقل رفاهية حتى من طعامي أيام التقشف والحرمان.. فكأني بالحرمان بدأت.. وإلى الحرمان الأشد أعود، مع الحرص الشديد على عدم إجهاد نفسي رعاية للمرض الحديث الذي أرجو ألا تشير اليه. والحمد الله من قبل ومن بعد.

وأنا الآن يا سيدي لا أشكو لك مرضي ولا حرماني ولا افتقادي للدفء العاطفي في حياتي الزوجية، لكني أشكو لك شيئا آخر هو أني قد أصبحت كثير البكاء، رغم أني بلغت الخامسة والأربعين من العمر وزوج وأب ورئيس عمل لا افتقد الحزم وحسن الإدارة في عملي

فإذا ما زارني أخي الأكبر ذات مساء ولاحظت عليه سهومه واكتئابه وشكا لي من حياته، سالت دموعي لفترة طويلة حتى أصبح هو يتجنب أن يحدثني عن متاعبه.

وإذا زارتني شقيقتاي أو زرتهما قابلتهما بالدموع تسح مني كأني طفل غرير، وإذا شكت لي إحداهما من زوجها جاوبتها دموعي قبل أن يجيبها عقلي وحكمتي، وإذا علمت أن أمي مريضة بكيت طويلا أمام ولدي الصغيرين.

وإذا شاهدت موقفا في تمثيلية تليفزيونية يقسو فيه أخ على أخيه أو يتخاصمان ثم يصطلحان أبكي بغزارة، حتى أصبحت أتجنب رؤية معظم التمثيليات. وفي معظم الليالي أجلس وحيدا في شرفتي وأتذكر بعض مشاهد حياتي فأجد الدموع تنساب مني بلا وعي. وزاد من المشكلة أن زوجتي لا تحترم دموعي.. فهي إما أن تسخر مني فأحس بالخجل والضيق.. وإما أن تثور على وتتهمني بأني غير راض عن حياتي معها وأحب غيرها وأريد التخلص منها.. وقد تؤلمني بعبارة أو اخرى من نوع «ما تروح تتجوزها وتريحني»، فأقول لنفسي صامتا أين المفر.. من هذا الكرب في داخلي وحولي؟

إنني أسألك هل بكائي هذا حالة طبيعية أم أنه عرض لمرض نفسي على أن أبدأ بعلاجه.. وهل هو عيب حقا أن يبكي الرجل كما تقول لي زوجتي.. وماذا أفعل لكي أعيش في سلام.. وأنا أحترم الجميع وأحب الجميع وأتحمل حتى الإساءة من أقرب الناس الى بلا شكوى.. ودائما أحرص على مجاملة أهلي وأقاربي وأصدقائي حتى ولو لم يجاملوني! هل عندك تفسير لحالتي هذه؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـب هـذه الرسالـة أقـول:

ليس أقسى على الإنسان من فجيعته في نفسه وفي أحلامه، وأنت يا صديقي قد سلبت منك أحلامك ولم تكافح جديا للدفاع عنها، وأحسست دائما أنك لا تنال من الآخرين بقدر ما تعطيهم.
ولأنك من أصحاب المثل العليا الذين يلتزمون بالسلوك القويم في حياتهم وينفرون من الخطأ والإثم والرذيلة ويتوقون دائما إلى النقاء والبراءة والحق والخير، فأنت لا تستطيع إلا أن تمضي في طريقك كما أنت، ولا تستطيع أن تفكر في سعادتك الخاصة على حساب تعاسة ولديك وزوجتك، ولا تستطيع أن تعامل من قسا عليك بمثل ماكنت تتمنى أن تعامله به.
ومشكلة أمثالك هي أنهم بقدر حرصهم على ألا يجرحوا مشاعر الآخرين، فإنهم يتألمون لأية إساءة تنالهم منهم، ويتوقعون دائما أن يحرص عليهم الآخرون كما يحرصون هم عليهم، لهذا تتأذى نفوسهم من أي لفتة عابرة قد لا تؤذي غيرهم، ويميلون عادة إلى كتمان انفعالاتهم ومشاعرهم كما تفعل أنت، فتتحول آلامهم العابرة إلى ضغوط نفسية تثقل على عقلهم الواعي فيحاول أن يتخلص منها بإسقاطها إلى دائرة اللاوعي.. فتستقر فيه حينا، ثم تعود للظهور في أشكال مختلفة كنوبة بكاء بلا سبب مباشر يستحق البكاء... أو في إحساس بالاكتئاب والضيق بلا سبب مفهوم.. أو في مرض عضوي ليست له أسباب واضحة أو غيرها من الأشكال.
وفي ظني أن استشعارك لقسوة أخيك القديمة عليك ووقوفه في طريق تحقيق حلم زواجك ممن أحببتها، مازال عاملا مؤثرا في شخصيتك وفي علاقتك به حتى الآن. ذلك أنك حين أصبحت قادرا على أن تحمي نفسك من ظلمه لك وعلى معاملته معاملة الند للند، فوجئت بهذا الصرح الكبير في خيالك يتحول إلى شخص لا يستحق إلا رثاءك له. وتحولت رغبتك الداخلية في الانتصاف لنفسك منه إلى إشفاق عليه وإلى ضغط آخر يضاف إلى ضغوطك الأخرى، فكأنما كان عبئا نفسيا عليك في سطوته وبطشه وعبثا مماثلا في ضعفه وتعاسته، فحاول أن تصفح عما فعل بك صفحا حقيقيا كما صفحت دائما عن كل من آذوك.. لأنك في حقيقة الأمر لم تغفر له في أعماقك قسوته الماضية عليك.. ولست ألومك في ذلك، لكني أطالبك فقط بألا تسمح للمرارة منه بأن تعشش داخلك للأبد. ولعل في حالتك هذه ما يدعو الآخرين الى أن يرحموا ضعفاءهم من مثل هذه القسوة التي تحفر آثارها في شخصية الإنسان إلى آخر العمر.
فالقسوة ليست فقط هي القسوة الجسدية وإنما هناك نوع أشد ضراوة هو القسوة العقلية أو الذهنية التي يؤلم فيها الإنسان الآخرين بتصرفاته معهم وبأنانيته بغير أن يمد اليه م يدا بالإيذاء أو يكويهم بالنار. والمحاكم الامريكية على سبيل المثال تعتبر القسوة العقلية مبررا كافيا للطلاق وتحكم به بمقتضاها.. فلماذا نعذب الآخرين وفي أيدينا إذا احتكمنا إلى العدل والضمائر أن ندعهم يعيشون حياتهم سعداء وأنِ نحيا نحن أيضاً إلى جوارهم سعداء؟.

إن نصيحتي الوحيدة لك بعد ذلك هي ألا تكتم مشاعرك داخلك وحدك.
فالنفس إناء إذا ضاق بما فيه انفجر، وأنت اعتدت إن تختزن آلامك وتضيف اليها آلام غيرك، فتعلم أن تشرك الآخرين معك في آلامك وأن تشكو لمن تصطفيهم منهم مما يثقل على صدرك.. بل وتعلم أن تشكو لأخيك أيضاً كما يشكو لك هو، بل ولا مانع من أن تعاتبه عما بدر منه تجاهك في الزمان الأول لتصفو نفسك تماما من المرارة وتخلص مشاعرك له تماما، فأيسر على النفس أن تبدي رأيك فيما لا تقبله من أن تتكتمه ثم تخلو إلى نفسك فتجتره وحيدا وتزداد وطأته عليك.
أما دموعك فلا عيب فيها فهي تنفيس عن كل آلامك ومعاناتك، وهي دموع الصمت التي تعبر عما لا ينطق به لسانك.
وأنت يا صديقي لديك مخزون من الذكريات المؤلمة والإحباطات تساعد حساسيتك المفرطة على استرجاعها في كل حين، فتطلق ينابيع عينيك معبرة عن رثائك لنفسك والآخرين.. فلا تخجل من دموعك فإنما يبكي أصحاب النفوس الشفيفة التي لم تحجرها ضغوط الحياة ومازلت تهفو لعالم لا يتألم فيه الإنسان.. ولا يقسو فيه أحد على أحد.. فابك إذا أردت حتى تشتفى.. وانهر زوجتك إذا سخرت منك، وادع لها الله أن يمنحها بعض رقتك وحساسيتك وشمائلك الطيبة الخيرة، وطمئنها إلى أن مثلك لا يختار سعادته على حساب سعادة غيره، لأن نفسه قد طبعت على التضحية لإسعاد الآخرين. حتى ولو شقي بهم. أما عن مرضك الآخر.. فهو ليس مستعصى الشفاء، وهو في رأيي ليس أخطر أدوائك، فكتمانك لمشاعرك وآلامك دائما قد يعرضك إذا استمر لما هو أقسى منه لا قدر الله.. فانج بنفسك يا سيدي من شبح الاكتئاب وتلفت حولك تجد في ولديك وفي بعض وجوه حياتك الأخرى ما يمسح عنك آلامك وأسعد بما أتيح لك من أسباب، فليس أحق بالسعادة ممن عرف الشقاء.. وليس أحق براحة القلب والنفس ممن لا يتمنى للآخرين إلا كل هناء مثلك..
مع تمنياتي لك بالصحة وسعادة القلب والروح معا بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الـوتـر المـشـدود

ترددت قليلا في نشر هذه الرسالة لأني لا أنشر عادة مثيلاتها من الرسائل.. لكني وجدت فيها بعض ما قد يفيدنا الاطلاع عليه من أحـوال النفس البشرية، فتغلبت على ترددي ورأيت ألا أحبسها في صدري وحدي.

سيـدي.. أريد أن أسألـك سـؤالا يـلـح على..

لماذا لا يقبل الرجل «الشرقي» أن يطلق زوجته وقد عرف وتأكد أن هناك رجلا آخر قد ملك عليها قلبها؟ ولماذا يصر الرجل الشرقي على عدم طلاق زوجته بعد أن طلبت منه ذلك وتوسلت اليه إلى حد أن أخبرته بأن هناك رجلا آخر في قلبها؟ لماذا؟.

إنني بكل أسف هذا الرجل الشرقي.. وهذا السؤال المحرج أوجهه إلى نفسي كل يوم ولا أستطيع الإجابة عنه، لهذا أردت أن أشركك معي فيه. ولنبدأ القصة من البداية.. كلانا أنا وهي من حملة المؤهلات المتوسطة ونعيش في إحدى عواصم الأقاليم وقد تمت خطبتنا عن طريق المعارف، ثم عقدنا القران لتستفيد ببعض المزايا التي تتيحها لنا قسيمة الزواج كقطن التنجيد وحجز الشقة الشعبية وخلافه. وكان علينا أن تنتظر سنوات حتى يتم الحصول على الشقة وتجهيزها للزواج.. وبعد عقد القران بعام تم تعيين زوجتي على الورق في مؤسسة كبيرة بنفس المدينة التي تقيم فيها.. وكنت أنا أعمل في مؤسسة أخرى. وبعد عدة شهور من تعيينها حدث الحدث الذي كنت أظن أنه لا يحدث إلا في الأفلام فقط، إذ من بين خمسمائة آنسة وسيدة يعملن تحت رئاسة مدير شاب وسيم تعلم في الخارج ويشهد له الجميع بالاستقامة والأمانة وطهارة اليد وتتمناه أية امرأة.. من بين كل هؤلاء السيدات والآنسات وقع هذا المدير في غرام السيدة التي حملت اسمي بعد عقد قراني بها، ولم يرد ولم يتمنى غيرها، وبادلته هي حباً بحب وجنون، حتى أصبحا حديث المؤسسة كلها. ثم بلغتني الأخبار وتمزقت بالإحساس بالعار والحنق والغيظ.. وبعد تردد قصير واجهتها بما سمعت فلم تنكر، وإنما طلبت مني الطلاق في هدوء، لأن قلبها ليس معي ولن يكون لي أبداً، ولأنها كما قالت لن تحب أحدا إلا هذا المدير حتى اللحظة الأخيرة في عمرها.. وصعقت واستعديت عليها أهلها وحاصرتها بهم، وتعجلت إتمام الزواج لكي أضعها في موقف لا تستطيع فيه أن تتزوج من مديرها.. وتم الزواج فعلا ومر على زواجنا الآن ست سنوات أنجبنا خلالها طفلين. وطوال هذه السنوات لم أكسب قلبها أبدا حتى هذه اللحظة، وطوال هذه السنوات كان لي جسمها فقط أما قلبها فلم يكن لي ولن يكون لأني أعرف عن يقين أنهما مازالا على عهدهما من الحب العفيف، ولا أستطيع أن أدينهما بأي خطأ في حقي أو في حق الدين أو المجتمع.. والكارثة أنها رغم الطفلين ورغم كل هذه السنوات مازالت تأمل في أن أطلقها، ومازال مديرها ينتظرها ولم يتزوج حتى الآن. وأنا أحس بها تتعذب

وتكتم وتنام وتعطيني من نفسها في حسرة وألم، ثم أجدها تبكي وحدها بالساعات، وأسمعها تنتحب حتى وهي تصلي، فأحس أحيانا بأني أريد أن أسرحها بإحسان، خاصة وقد أخبرتني بكل شيء قبل الزفاف.. وفي أحيان أخرى أحس بأني أريد أن أقتلها هي ومديرها الولهان، ثم أفكر في أطفالي فأطرد هذه الفكرة عن خاطري.. وبين هذا الإحساس وذاك مضت حياتي معها ومازالت حتى الآن.. إنني لا أحبها جدا أو للدرجة التي تجعلني أتحمل هذا العذاب، لكني أتمسك بها إغاظة لها ولمديرها الذي أعجب من أمره، وأريد أن أدفع نصف عمري لو أعرف، منه فقط ما هو الشيء المميز والفريد الذي وجده فيها ولم يجده في غيرها ويجعله يتمسك بها إلى هذا الحد! أنني أكاد أجن أو أرتكب حماقة أندم عليها، فقد كنت أظن أن كليهما سينسى هذا الحب بعد الزواج أو بمجرد إنجابها وانشغالها بالأطفال وبشئون الحياة. لكني اكتشفت أني كنت واهما فحرمانهما من بعضهما قد زادهما جنونا وتعلقا، وهي تعرف أني أعرف أنها مازالت تتمنى أن أطلقها لكي تتزوج منه، ولم تكف طوال السنوات الماضية عن مطالبتي بطلاقها.. إلا حين هددتها بأني سأقتل مديرها إذا لم تكف عن طلب الطلاق.. فصدقتني.. وكفت فعلا، لكنها راحت تذبل وتذوي منذ أدركت أنى لن أعطيها حريتها أبدا وتستسلم لنوبات طويلة من البكاء خفية عني.. وتحاول ألا تظهر أمامي شيئا من ذلك لكني أعرف.. وأعرف أن قلبها لم يكن لي ولن يكون.. وأفهم كل شيء فماذا أفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إنك لم تغظها وحدها وإنما اغظتني أنا أيضاً برسالتك هذه وبمنطقك العجيب فيها؟

فلقد تعاملت يا سيدي مع مشكلتك منذ البداية بمنطق الرجل الذي يقول عنه الانجليز في أمثالهم أنه أراد يوما أن يغيظ زوجته فقطع أذنيه لكي تعايرها الزوجات بأن زوجها بلا أذنين!! فأذى نفسه أشد الأذى ولم يغظ في النهاية إلا نفسه!

والحق أنك قد تفوقت على هذا الرجل في عناده، فلم تدمر نفسك معنويا وإنسانيا فقط، وإنما دمرت معك هذه السيدة التي مهما كان خطؤها أو خطيئتها قبل الزفاف، فلقد اعترفت لك بها منذ البداية، وطالبتك بتسريحها بإحسان وأكدت لك أنها لن تكون لك أبدا لأن قلبها رهينة عند غيرك إلى آخر نفس في صدرها، ورغم بشاعة تصرفك حين حاصرتها بالأهل لكي تجبرها على إتمام الزواج، فإنك لم تكتف بذلك وإنما ارتكبت جريمة أشد نكراً هي إنجابك لطفلين من أم خبرت بنفسك حقيقة مشاعرها تجاهك، وتأكدت من أنها لن تكون لك ذات يوم.. فكيف رضيت لنفسك هذا الهوان؟

لقد أخطأت زوجتك بارتباطها عاطفيا بغيرك وهي مرتبطة معك بعهد الوفاء، وأجرمت في حق نفسها حين ضعفت عندما حاصرتها لإتمام الزواج، ولم تصمد للعاصفة وتتمسك بالانفصال مهما كانت العواقب إبراء لذمتها من الارتباط بك وقلبها لغيرك. وأجرمت معك بإنجابها هذين الطفلين وهي على يقين من أمر نفسها، ومازالت تتعلق بالأمل حتى اليوم في غيرك.. أخطأت زوجتك لا شك في كل ذلك لكن في أي دين أو عرف أو منطق يكون عقاب خائنة العهد هو تهديدها بالأهل لإتمام الزفاف وتوريطها فيه '؟ أهكذا يتصرف الرجال شرقيين كانوا أم غربيين؟ لا يا سيدي لا تظلم الدماء الشرقية بهذا الافتراء.. فلقد استمع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى شكوى زوجة من أنها لا تحب زوجها ولا تطيق رؤياه وتخشى على نفسها من الفتنة، فأمرها الرسول بأن ترد عليه ما أخذت منه، وأمر زوجها بأن يطلقها ويتزوج غيرها رعاية لحقه وكرامته وحفاظا عليها من الزلل.
هذه هي الشرقية الحقيقية المستهدية بقيم الدين والعرف والرجولة والفروسية، وليست ما فعلت.. فإمساك الزوجة الكارهة على غير إرادتها أو تركها معلقة لسنوات طويلة في نزاعات المحاكم لمجرد حرمانها من الزواج بآخر، ليس سوى حضٍّ لها على الخطيئة والانحراف، وهي مازالت تحمل اسم الزوج الذي يمسكها أو يراوغ لتركها معلقة.. ثم يسمي البعض هذا التصرف انتقاما! فأي انتقام هذا؟ إنه انتقام قاطع أذنيه وليس انتقام الرجال فعقاب خائنة العهد الحقيقي هو إخراجها من حياة من لم تحفظ عهده، ومغالبة النفس للتخلص من أية مشاعر تجاهها، ثم التطلع لحياة جديدة مع غيرها بعد أن تبرأ النفس من جراحها.. ويتكفل الزمن بمداواتها.
أما ما غير ذلك فليس انتقاما إلا من النفس.. ولا عقابا إلا لها..
فأي عقاب للنفس أقسى من أن يرضى لها المرء بمعايشة هذا الجحيم وتجرُّعه يوما بعد يوم.. وفي مقدوره أن يعفي نفسه منه لو تعالى على آلامه وقرر مواجهة نفسه بدلا من مراوغتها، وسلم بأن ما جرى له محنة شخصية قد يصادفها أي إنسان سيئ الحظ في حياته، وأنها لا تنال من احترامه عند الآخرين إلا إذا تمسك بمن لا تريد العيش معه وتستميت للانفصال عنه.
وأما ماعدا ذلك فحكم جرت به المقادير.. وليس علينا سوى التعامل معه بما يحفظ علينا كرامتنا وإنسانيتنا.. وفى أعيننا نحن أولا.. قبل أعين الآخرين.
إنني أتردد ألف مرة قبل أن أشير على أحد بطلاق زوجته إذا كان له منها أبناء صغار.. وكان هناك بصيص من أمل في الإصلاح.. لكني في حالتك الفريدة هذه لا أرى لك رأيا غيره وإن كان الثمن باهظا بكل أسف، وسوف يدفعه طفلاك. لكن ربما يخفف من وطأته أنهما إن لم تفعل فسيرضعان من أمهما عدم احترامك، وسيشبان في بيت قوائمه آيلة للسقوط في أية لحظة.. وسيواجهان نفس المصير اليوم أو غدا.. والله الأمر من قبل ومن بعد!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الـفـراش الخالي

أنـا أم أخطأت واريـدك أن تـنشـر رسـالـتي لكي تتعظ بها كل أم.. فلقد كنت زوجة لرجل ممتاز لا يحرمني من شيء، وأما لولدين وبنتين، فدخل بيننا «شخص» ففقدت زوجي وتم الطلاق بعد أيام عصيبة دفعت ثمنها غاليا من صحتي ونفسي وأعصابي، ومع ذلك فليست هذه المشكلة الأساسية، لكن المشكلة هي ابنتي وكبرى أولادي، فبسبب الآلام النفسية الرهيبة التي عانيتها من زوجي في الأيام الأخيرة قبل الطلاق، عكست كل ذلك على ابنتي الكبرى وأسأت معاملتها إلى درجة لا أتخيلها.. فإذا سألتني ولماذا ابنتي هذه بالذات، فسأقول لك لأنها كانت صديقة أبيها وكاتمة سره. وبعد الطلاق وجدت نفسي بغير أن أحس أريد الانتقام من أبيها فيها.. فأصبحت أسيء معاملتها وأتعمد إيذاءها بشتى الطرق.. فوضعت مسؤولية كل الأعمال المنزلية عليها دون إخوتها. وأصبحت أشتري لهم الملابس الجديدة ولا أشتري لها شيئا.. وحرضت إخوتها على أن يعاملوها كأجيرة تعمل في البيت وليست كأختهم الكبرى التي ينبغي أن يحترموها حتى اعتادوا نفسيا على أن يعاملوها كخادمة، وأن يسبوها إذا لم تحضر لهم الطعام، فإذا شكت لي فلا أنصرها ولا أنهر إخوتها.. وإلى جانب ذلك كنت أتعمد مضايقتها، فاذا رأيتها واقفة أمام المرأة كأي فتاة في سنها، أطريت جمال أختها وبالغت في ذلك، إلى حد أن أقول لها إن الله قد وضع الجمال كله في أختها وحرمها منه.. حتى كفت عن الوقوف أمام المرآة وعن الاهتمام بنفسها وتحطمت نفسيا تماما. ومع ذلك.. فقد كان كبرياؤها يمنعها من البكاء فلا تبكي، وإنما تنظر صامتة الضحك عن ومكتئبة ولا تجيب، ومع تكرار إيذائي لها كفت تماما والابتسامة، فلم أرها ضاحكة مرة واحدة طوال العامين الأخيرين. وليتني اكتفيت بكل ذلك وهو كثير لكني لم أكتف للأسف.. فقد كانت لها صديقات فرويت لهن أكاذيب عنها وحرفت بعض الموضوعات عنها فتركنها، إلى أن وقعت الواقعة منذ حوالي شهرين حين ضربتها وضربها أخوها أمام الجيران، فلم تبك أيضاً ولم تدمع. لكن حزن الدنيا كله كان في عينيها. ثم انتهت الزوبعة ودخلت غرفتها.. ودخل إخوتها أسرتهم ودخلت سريري وضميري يؤرقني لأول مرة منذ 3 سنوات بسبب سوء معاملتي لها، فاستيقظ في قلبي العطف عليها وأنا استعيد صورتها وهي تتلقى الضرب ولا تدافع عن نفسها ولا تبكي رغم تألمها الشديد.. ولعنت نفسي ولعنت الشيطان الذي أعماني عن أنها كانت دائما أكثر أبنائي حنانا بي وبإخوتها، ودائما تخاف على وتخدمني بإخلاص حين أمرض.. ولا تخص نفسها بشيء دون أن تعطيني وتعطي إخوتها منه. وأدركت. مدى غفلتي وحمقي حين أردت أن آخذها بذنب أبيها ولا ذنب لها فيما جرى أو حدث.. فعزمت على أن أصالحها وأسترضيها وأعيد لها احترامها بين إخوتها.. ولم أهدأ إلا حين استقر رأيي على لك، فاستغفرت الله ونمت. وفي الصباح نهضت من نومي

ودخلت الغرفة التي تنام فيها مع أختها لأصالحها فوجدت فراشها خاليا، وبحثت عنها هنا وهناك فلم أجدها، فعرفت أن ما لم أحسب له حسابا أبدا قد حدث وأنها غادرت البيت إلى غير رجعة.
إنني أكتب لك الآن وقد مر شهران على غيابها عنا، لم نكف خلالهما أنا واخوتها عن البحث عنها بلا جدوى، وأنا نادمة وإخوتها نادمون ويقاطعونني.. فإذا تحدثوا معي قالوا لي إن الله لن يغفر لي ما فعلته بها. وأنا أكاد أجن وصورة وجهها الحزين الذي لا يبكي ولا يضحك أبدا تتراءى أمام عيني كل لحظة وفراشها الخالي يذكرني بكل ما فعلت وما أجرمت في حقها، وقد انتابتني أمراض الدنيا كلها منذ خروجها.
لقد كانت تقرأ لك وهي تتحمل ايذاءنا لها وتحترم آراءك وتتصبر على حالها بما تقرؤه من مآسي في بريدك، فهل تكتب اليها كلمة ترجوها فيها أن تعود إلى أسرتها النادمة على ما فعلت بها والحزينة لفراقها.. إنني أرجوك أن تفعل رحمة بأم نادمة تتعذب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

هذا هو حالنا في معظم الأحيان نحن البشر.. نقسو على من يحبنا ويترفق بنا ويؤثرنا بما في يده، حتى إذا فاض إناء الصبر به وفارقنا، عرفنا عندها فقط كم كان رحيما بنا وكم هو عزيز علينا.
لقد كانت فتيات كثيرات يكتبن الى يشكون من تصرفات شبيهة بما كنت تفعلين بابنتك الكبرى.. فكنت أتشكك في صدق شكواهن، وأرجع معظمها إلى الإفراط في الحساسية من جانبهن، وأرفض أن أصدق بسهولة أن أما سوية يمكن أن تتعمد إيذاء مشاعر ابنتها وتحقيرها بين إخوتها.. وإفقادها ثقتها بنفسها إلى هذا الحد المزرى.. لكن رسالتك أضافت إلى خبرتي بالحياة الجديد.. وما أكثر ما نتعلم وما نعرف كل يوم من خبايا جديدة للنفس البشرية.
يا سيدتي إن الإنسان قد يخطئ وكثيرا ما يفعل، لكنه رغم ذلك قد لا يكون مذنبا إذا أخطأ بغير عمد لما فعل، أما من يخطئ عمدا وعن وعي تام بما يفعل فهو المذنب حقا.. وهو من، لا يطهره من إثمه إلا الندم الصادق والاستغفار وطلب العفو والسماح ممن أخطأ في حقهم. والكارثة أن بعض الآباء والأمهات يتصورون أن الله يحاسب الأبناء على عقوق الأبوين ويعجل لهم بالعقاب عنه في الدنيا مع ما يدخره لهم من عقاب في الآخرة، لكنه لا يحاسب الآباء والأمهات عما يفعلون بأبنائهم ولو أجرموا في حقهم، مع أن الله جل شأنه يحاسب الآباء والأمهات أيضاً عن إيذائهم لأبنائهم والقسوة عليهم والتفرقة بينهم، كما يحاسب الأبناء الضالين على عقوقهم. ولعل عقاب

الأبوين أشد لأنه لا عذر لهم من طيش أو رعونة، فلعلك قد عرفت ذلك يا سيدتي واستغفرت ربك عنه طويلا.
أما ابنتك صاحبة الوجه الحزين الذي لا يعرف الضحك واستعذبت ماء بكائها طويلا لكنها ضئت عليك بأن تشهدي دموعها فقد كانت تعي تماما أنك تنتقمين من أبيها في شخصها، فآثرت أن تحجبها عنك وتحرمك منها وقلبها يتمزق ألما.
على أية حال فإني أستجيب لرجائك.. وأخاطب ابنتك الطريدة لا المهاجرة من بيتك.. لأنها طريدة رحمتك وعطفك وحنانك وعدلك بين أبنائك.. وأقول لها إننا لا نملك رغم كل شيء أن تعامل أبوينا بمبدأ العين بالعين والسن بالسن، لأننا مأمورون بأن تصاحبهم، في الدنيا معروفا ولو آذونا وتعمدوا إيذاءنا، وحسابهم عنا مع خالقهم وليس معنا، وأمك قد ندمت على ما بدر منها.. وأكاد أجزم لك بذلك من إحساسي بكلماتها.. والإنسان بلا أهل كالسفينة التي تتقاذفها الأمواج في بحر هائج بلا مرفأ تأوي اليه، وهم أعزاء لدينا وإن جاروا علينا وباعدونا بغير ذنب جنيناه.. فما بالك بحقهم علينا بعد أن عضهم الندم بأنيابه على ما فعلوا بنا؟
عودي الى أمك يا آنستي وإلى مرفئك.. واقبليني إذا شئت حكما بينك وبينها، وشاهدا على حسن معاملتها لك في قادم الأيام وليعف الله عن خطايانا أجمعين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

موج البحـر

أعـرف أنني مـن نوعيـة السيـدات التـي لا تحـبهـا.. لكني مع ذلك أريد أن أتحدث اليك بالذات وأن استشيرك في أمري.
أنا سيدة في الخامسة والثلاثين من عمري من أسرة متوسطة، جميلة وبيضاء وعيناي واسعتان وملونتان. أما عن طباعي – وأنا أحاول أن أكون صادقة معك فهي عدم الرضا بما في يدي والعصبية الشديدة.. وفي سن الثامنة عشرة تزوجت وأنا طالبة من طبيب، ومنذ بداية زواجنا اكتشفت اختلافنا كلية في الطباع فأصبحنا نتشاجر في كل صغيرة وكبيرة. وربما كان ذلك بسبب صغر سني وقلة خبرتي. لكني مع ذلك أتممت دراستي الجامعية وأنا زوجة بفضل إصرار أبي رحمه الله على أن أتم تعليمي الجامعي كإخوتي. وأنجبت طفلة وحيدة هي نور عيني وحبة قلبي.. لكن المشاكل استمرت بيني وبين زوجي بسبب طباعه السيئة، من غلظة القلب التي لا علاج لها، إلى البخل الفظيع الذي جعله طوال حياتنا الزوجية لا يقدم لي هدية واحدة ولو ورقة، فضلا عن قذارة متناهية فقد كان لا يستحم في السنة كلها إلا 3 أو 4 مرات رغم أنه طبيب، إلى جانب عدم تفاهمنا في أي شيء، فهو من النوع الذي لا يعرف كيف يعبر عن مشاعره تجاه أي شخص ولو كانت زوجته أو ابنته، وأنا رومانسية أحب الكلمة الحلوة والخيال والأحلام، ولا أحب أن أحيا في فراغ عاطفي.. فأنا من مواليد برج الحوت كثيري الأحلام والذي يوصف مواليده بأنهم مثل موج البحر يرتفع ثم يهبط دون سبب واضح.
وقد استمرت خلافاتنا اليومية، ولم أقصر في محاولة تغييره بالخصام أحيانا وبالتوجيه في أحيان أخرى. ومع ذلك فقد تم بيننا الطلاق مرتين. وعدت اليه في كل مرة بعد وعود وعهود من أجل ابنتنا واستمر الحال على ما هو عليه.
وذات يوم بعد تخرجي قرأت إعلانا في جريدة الأهرام عن شركة خاصة تطلب موظفين، وشاءت المصادفة ان يكون مقرها قريبا من سكني، فأغراني ذلك بالذهاب اليها لأني قدرت أني أستطيع أن أعمل بها وأشغل وقت فراغي بغير أن يؤثر عملي على رعايتي لبيتي وأسرتي.. وذهبت إلى هذه الشركة وليتني ما ذهبت.. إذ أنني ما أن دخلت على مديرها حتى وأحسست، به وأحس بي من أول لحظة! فدعاني للجلوس وتبادلنا الحديث، واكتشفت بعد قليل انه شقيق إحدى «صديقات زمان» وعملت على الفور بهذه الشركة.. وأصبحت أراه كل يوم، وعرفت أنه متزوج وعند بنتان، لكنه قال لي أنه على خلاف مع، زوجته، وأصبحنا نجلس معا كل يوم ساعات طويلة أحس خلالها بأننا متفاهمان، حتى أن كل كلمة نريد أن نقولها ينطق بها كل منا في نفس اللحظة. وبعد فترة قال لي انه لا يتصورني إلا زوجة له يفخر بها ويقدمها للناس بكل اعتزاز.. وسبحت في سماء الخيال مع وعوده لي بالاستقرار والراحة والأمان والسعادة. وقال لي أن زمام الموقف في يده، وأنه يستطيع

أن ينفصل عن زوجته في أية لحظة.. لكن من واجبي أن أبدأ أنا بالانفصال عن زوجي.. واقتنعت بذلك، وتهيأت للمعركة الفاصلة، وشحذت كل أسلحتي لأحصل على الطلاق وحصلت عليه فعلا بعد أن تنازلت لزوجي السابق عن كل حقوقي.
وبعد الفترة المقررة حملت حقيبة ملابسي واحتياجاتي الشخصية وانتقلت إلى شقة صغيرة من غرفة وصالة كنا قد أعددناها للزواج وتزوجت في السر وبدون علم أهلي، بعد أن تركت ابنتي الوحيدة مع أمي. ووعدني زوجي بأن يسعى بعد وقت قصير لدى أهلي ليصفحوا على ويأتوا لزيارتي. وفي قمة حبنا صدقت ما أردت أن أصدقه، وتحملت فراق ابنتي التي لا يعدل ظفرها عندي كل كنوز الدنيا. وآلمني أنها رفضت أن تزورني في بيتي، ولم تدخله ولم تحب زوجي، وكان رد فعلها الغريب وهي في الحادية عشرة الآن أنها أصبحت تتعاطف مع أبيها الذي لم تكن تشعر بحنانه من قبل وكرهت زوجي وأصبحت تقول انه هو الذي دمر بيتنا وتسبب في حيرتها في حياتها حيث لم تعد تجد راحتها هنا أو هناك.
أما زوجي فقد علمت زوجته بزواجنا السري بعد فترة قصيرة، وبدلا من أن ينفذ من وعوده لي بالانفصال عنها، أصبح كل همه أن يسترضيها ويسترضي ابنتيه، لأن زوجته كما يقول عشرة عمر تخطىء معه في شيء، لكنه «قدرنا»، وعلى أن أتحمله! وبدأ يراوغ في طلاقها كما كان يعدني قبل الزواج مما جعلني أخشى أن أرزق من بأطفال، فلجأت إلى منع الحمل دون علمه رغم انه يلح في أن يكون لنا طفل ليربطنا ببعضنا أكثر وأكثر.
أعرف أن رأيك فيّ سيئ لأني لم أتحمل ظروفي ولم أحافظ على الأول وابنتي.. ولأني «خرابة بيوت»، أخذت زوجي الثاني من زوجته وأولاده.. لكن ماذا أفعل فيما لا أملك أمره وهو قلبي. وماذا أفعل الآن وأنا احترق من حياة زوجي المزدوجة ومن تأكدي أنه «بوجهين»، معي بكلام ومع الأخرى بكلام آخر، ومن إحساسي بأني زوجة لرجل متزوج ولست محور حياته كما كنت أتمنى.. لقد فكرت جديا في الانتحار.. أما الانفصال فلم أفكر فيه لأني لا أقدر عليه.. فبماذا تنصحني يا سيدي وسوف التزم بنصيحتك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ليس بمثل هذه الخفة يا سيدتي تؤخذ أمور الحياة. إذ لو استسلم كل إنسان لأهوائه وفعل ما تميل اليه نفسه بغير اعتبار للقيم والأعراف والدين والالتزامات العائلية ثم قال كما تقولين «وما حيلتي فيمالا أملك وهو قلبي»، لتحولت الدنيا الى حانة يرقص الناس فيها عرايا من كل فضيلة، ذلك أنه ليس هناك إنسان بلا أهواء، لكننا رغم ذلك فرق بين الناس بقدر تحكمهم في أهوائهم أو انقيادهم لها.. فنفرق بين الفضلاء وغيرهم بأن هؤلاء يتحكمون في

أهوائهم ولا يستسلمون لها، ولو كان في ذلك التضحية بسعادتهم الشخصية، وبأن أولئك يتركون قياد أنفسهم لأهوائها ولو كان في ذلك تعاسة الآخرين وتدميرهم والاضرار بهم.
وهوى النفس يا سيدتي إذا لم يتجاوز حنايا القلب قد يقبل فيه الاحتجاج بما لا يملكه المرء من قلبه أما إذا تجاوزها إلى الفعل والتصرف والإثم، فلا يقبل فيه عذر ولا احتجاج بهذه الحجة.
والحق أني لا أنشر مثيلات رسالتك هذه ولا أهتم بالرد عليها إيثاراً للاهتمام بأمور الحياة الجادة، وتجنباً للأثر السلبي الذي قد يحدثه نشرها حين يحد منها بعض من تراودهم نفوسهم – بالأقدام على نفس الفعل – التشجيع النفسي على ارتكابه بحجة أنه ليس وحده الذي اختار سعادته على حساب الاعتبارات الأخرى، وإنما هناك آخرون واجهوا نفس ظروفه وتصرفوا كما يود هو أن يفعل، والإنسان يرضيه دائماً أن يكتشف أنه ليس الخاطئ الوحيد.. ومع ذلك فقد تجاوزت هذا الاعتبار الهام هذه المرة لأن في قصتك ما قد تستفيد به أخريات يواجهن نفس هذا الاختبار ما يفوق أثرها السلبي بكثير خاصة في التحول الهام الذي حدث في مشاعر ابنتك الوحيدة تجاه أبيها.. وضدك.. وفي انكشاف الوعود والعهود عن وضع نصف زوجة تعيش في شقة صغيرة من غرفة وصالة وتعاني من وضع الزوجة السرية رغم علم زوجته بزواجكما، ورغم علم الجميع من جانبك على الأقل.
فإذا كان في رسالتك بعد ذلك ما يستحق الاشارة اليه.. فهو أنك كنت بحق صادقة فيما رويت عن نفسك بلا تجمل أو تزييف، فأبرز عيوبك كما تقولين هو عدم الرضا بما في يديك والعصبية الشديدة وهما في تقديري أهم أسباب تعثر زواجك الأول.. وليس أي شيء آخر وأنت يا سيدتي تصفين نفسك بأنك كموج البحر الذي يرتفع إلى أعلى وينخفض دون سبب واضح، وأن كنت لا أومن بحديث الأبراج ولا أرى فيه معياراً سليماً لتفسير الخصائص النفسية للشخصية التي يكتسبها المرء من ظروف نشأته والبيئة المحيطة به وليس من موعد ولادته، ومع ذلك فأنت كما وصفت نفسك تقودك أهواؤك إلى أعلى وإلى أسفل بغير مقاومة منك أو محاولة للتحكم فيها، ولذلك كله فها أنت تحترفين الآن لا لأن ابنتك الوحيدة قد كرهت زوجك وانحازت لأبيها ضدك وتحولت بمشاعرها عنك.. ولا لأن هذا التحول سوف يتصاعد مع تقدمها في السن حين يتعمق إحساسها بأنك لم تحاولي مجرد محاولة التضحية بهوى نفسك من أجل سعادتها واستقرارها النفسي والمعيشي، لكنك تحترقين من أجل شيء مختلف تماما هو أن زوجك قد «خان عهوده»، بأن يطلق زوجته ويمزق ابنتيه نفسياً وهما في سن الشباب، لكي تصبحي أنت محور حياته وبؤرة قلبه الوحيدة! يا إلهي.. يا سيدتي لقد عرفته وأنت زوجة لآخر وهو زوج لأخرى وأب وقد تزوجت بمن تحبين الآن.. وفات أوان اللوم والعتاب بعد أن صححت وضعك، حتى ولو كان لهذا التصحيح ضحايا أبرياء، إذن ألا يكفيك ذلك حتى

تصري على أن تزيدي عدد الضحايا ثلاثة آخرين هم زوجته وأبنتاه! وكيف تهنئين بحياتك ودعائم عشك السعيد ترتفع فوق كل هذه الأشلاء؟! أن الإنسان قد يقتل أحياناً بغير سيف، ولقد قتلت اثنين حتى الآن وفي ذلك ما فوق الكفاية، فحاولي أن تتعلمي الرضا بما بين يديك وأن تكفي عن التطلع لما في أيدي الغير.. وارضي بما اخترته لنفسك ولا تكوني كالنار التي تحرق الآخرين ثم لا تجد ما تحرقه سوى نفسها.. واشغلي نفسك قليلاً بابنتك قبل أن تفقدي مشاعرها إلى غير رجعة. افعلى ذلك يا سيدتي وكولي صادقة مع نفسك كما كنت صادقة في رسالتك معي التي بلغت فيها قمة الصدق حين قلت إنك من نوعية السيدات التي لا أحبها.. وشكراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بـلا انـفـعـال!

قـرأت رسـالة (موج البحر)..
للسيدة التي روت لك أنها كانت زوجة لطبيب أنجبت منه طفلة ولم تصبر على مشاكلها معه، وعملت في إحدى الشركات فوقعت في هوى مديرها واتفقا على الزواج وهي زوجة وأم وهو زوج وأب.. فتخلصت من زوجها بالطلاق، وتزوجت مديرها على وعد منه بأن يطلق زوجته ويجعل منها زوجته الوحيدة التي يفخر بها، فإذا به يضعف بعد زواجه معها ويرفض طلاق زوجته الأولى. ويصر على بقاء كاتبة الرسالة نصف زوجة رغم علانية زواجها.
ولقد قرأت هذه الرسالة وأنا أقفز بين سطورها لأصل إلى رأيك.. وأعرف هل ستقسو عليها أم ستترفق بها خاصة أنها قد اعترفت لك من البداية بأنها تعرف أنها ليست من نوعية السيدات التي تحبها، لأنها لم تضحي من أجل ابنتها، ولم تتحمل الحياة مع زوجها الأول، فإذا بك تنهال عليها بمطارق من حديد لأنها تعتبر مشكلتها الأساسية الآن أن زوجها لم يف بوعده لها بطلاق زوجته الأولى رفيقة كفاحه، كأنها كما قلت لها لم يكفها أن ترفع دعائم عشها السعيد فوق أشلاء زوجها الأول وابنتها، وإنما تريد أن تضيف اليه ما ثلاثة ضحايا جدداً، هم زوجته وابنتاه الشابتان. ولم أستغرب تشددك في الرد عليها من متابعتي لآرائك.. لكني سألت نفسي ماذا ستصنع معي لو جئت اليك لأستشيرك في أمري، لهذا فقد قررت أن أكتب لك قصتي تجنبا لحرج مواجهتك في زيارة. وكل ما أرجوه منك أن تضبط أعصابك وأنت تقرؤها إلى النهاية. وأن تفكر فيها بروية ثم تعطيني رأيك العادل فيها بغير انفعال أو غضب!
فأنا يا سيدي سيدة شابة في الثامنة والعشرين من عمري، ظلمني شكلي اللافت للنظر منذ صباي، فكثر حولي الراغبون في زواجي انبهارا به. وأعطاني ذلك الثقة في نفسي ولكن بلا غرور. وقبل أن أكمل سن العشرين أحبني شاب من أسرة كبيرة وأحببته.. وتزوجنا على عجل.. وتم الزفاف في حفل فاخر بفندق كبير. وبدأت حياتي الزوجية معه سعيدة. ثم بدأت المشاكل الصغيرة بيننا وكان معظمها بسبب الغيرة والعصبية الشديدة منه. ثم أنجبت منه طفلا وبعد ميلاده بعدة شهور تطورت المشاكل بيننا، فطلقني وغادر شقة الزوجية وتركها لي، وحرص على أن يدفع لي ما يضمن لي ولابنه الحياة الكريمة. ثم تدخل بيننا شقيقه الأصغر فأعادني زوجي إلى عصمته من جديد واستمرت الحياة بيننا بين شد وجذب ولحظات سعادة ولحظات خلاف وخصام، إلى أن أنجبت منه طفلي الثاني ثم تصاعدت المشاكل بيننا، فطلقني مرة أخرى، وتدخل بيننا شقيقه الأصغر مرة أخرى للصلح بيننا وهو متزوج من سيدة شابة وجميلة وعنده ثلاثة أطفال، وكان أكثر أفراد الأسرة اهتماما بحل مشاكلنا التي كثرت حتى ضاقِ بها باقي الأشقاء والأقارب.. وكانت لزوجي

شروط للعودة.. وكانت لي أنا أيضاً شروط، فتكرر سعي شقيقه بيننا لمحاولة تقريب وجهات النظر.. الى أن وصلنا إلى نقطة تمسك فيها كل منا بوجهة نظره ورفض التنازل عنها، فغاب الأمل في التفاهم وبدأنا الحديث عن ترتيبات حياتي كمطلقة ونفقات الطفلين إلى آخره، فأصبحت أتصل بشقيقه كثيرا.. وأصبح هو يتصل فيّ مرارا لنفس الغرض. وشيئا فشيئا بدأنا نتحدث في أشياء جانبية أخرى إلى جانب مشكلتي الأساسية، ثم بدأت أحس بالعرفان له لاهتمامه بأمري، فإذا بنا – وأرجو ألا يصعد الدم إلى رأسك - نتفق على الزواج ونتزوج في نفس اليوم على شرط وحيد من جانبه، هو أن يبقى زواجنا سريا حتى نتفادى ما يمثله هذا الزواج الفريد من حرج للجميع، خاصة لزوجي مع شقيقه وزوجته وأسرته كلها. وقبلت كل ذلك وحرصت على سرية زواجنا، ولم يلحظ أحد في أسرة زوجي أي تغير في علاقتنا اللهم إلا مطلقي الذي ربما لاحظ توقف مساعي شقيقه الحميدة للصلح بيننا. وربما فسره بأنه يئس من نجاح سعيه فتوقف.. ثم حدث ما يستحيل معه استمرار تكتم الزواج إذ حملت وظهر حملي واضحا مع اقتراب موعد ولادتي، فانفجر البركان داخل محيط أسرته، وعلمت به زوجته وشقيقاته وأشقاؤه، وأصبح زواجي هو سر العائلة الذي يخجلون منه ويتعجبون له، وواجه أكبر الأشقاء وهو بمنزلة الأب لإخوته الأمر يحزم بالغ فأصر على أن يطلقني زوجي رعاية لخاطر زوجته التي لم تثر له أية مشكلة من قبل، ولخاطر شقيقه الذي لا شك يجرحه هذا الزواج، ولم يستطع زوجي الصمود لموجه الاستنكار التي سادت أسرته.. ولا للتمزق النفسي الذي عاناه تجاه شقيقه، خاصة أنهما كانا صديقين أكثر منهما شقيقين، فاستجاب لضغط الأسرة وطلقني قبل الولادة بأسابيع. وتكفل بنفقات الولادة وبالمسؤولية المادية عني.. ودخلت المستشفى لأضع مولودي وغادرته بعد أيام وقد أصبحت مطلقة لثلاثة مرات خلال 5 أو 6 سنوات، وأما لثلاثة أطفال صغار.. وانطويت على نفسي وقررت أن أواجه حياتي بشجاعة بعد أن حدث ما حدث، وأن أرعى أطفالي الصغار.. ومضت شهور لا أرى فيها أحدا من أسرة زوجي الأول والثاني.. ولا أعرف عنهما إلا ما يصلني من خلال الصديقات من أنباء.. ومن أخبار الصديقات عرفت أن العاصفة ظلت هائجة داخل الأسرة عدة شهور، ثم بدأت تهدأ شيئا فشيئا. لكن الشرخ بين الشقيقين ظل قائما، رغم أن زوجي الأول لم يعاتب شقيقه فيما فعل، لكن الآخر كما علمت كان يذوب خجلا كلما رأى شقيقه الأكبر، ويحرص على ألا تلتقي عيناه بعينيه إذا وجدا في مكان واحد. أما زوجة مطلقي الثاني فقد صدمت صدمة هائلة في زوجها، ثم هدأت بعد حين خاصة بعد أن طلقني زوجها.. وتعاملت مع الأمر بحكمة. لكن كل حواسها تنبهت له بعد ذلك، فوضعته تحت رقابتها المستمرة ولم تعد تسمح له بأن يذهب الى زيارة أو دعوة أو عشاء بغيرها.. كما أصبحت تتأكد من وجوده في عمله كل ساعة، وأحكمت الحصار حوله تماما. لكن كل شيء يبدأ قويا في البدايةِ ثم يسترخي

بعد حين. وهكذا فبعد عدة شهور وجدت نفسي أتصل به في شأن من شئون ابنه.. وهو يتصل في ليطمئن على طفله ثم تكرر الاتصال والاطمئنان ثم.. تزوجنا من جديد زواجا سريا مرة أخرى مع تأكيدات أكثر تشددا بالحفاظ على سرية الزواج وعدم السعي لتسريب نبأه بأية حيلة من الحيل، حتى لا يواجه الدنيا بأسرها مرة أخرى، وحتى لا ينهدم بيته الآخر ويتمزق أطفاله فيضطر لطلاق من جديد. وقبلت شروطه وحافظت على عهدي له. لكن الشهور مضت وطالت وأنا في انتظار الوقت الذي يصبح من حقي فيه أن أعلن للناس أن هذا الرجل زوجي.. وأنت قد قسوت على كاتبة رسالة موج البحر، لأنها تطالب زوجها بأن يطلق زوجته ويمزق ابنتيه نفسيا، لكني لا أطالب بمثل ذلك ولا أريد لزوجي أن يهدم أسرته الأخرى. لكني فقط أريده أن يعلن زواجي وأن يصمد للعاصفة الهوجاء، لأن كل عاصفة مهما طالت لها نهاية فبماذا تشير على؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يا إلهي.. كلما ظننت أنه لم يعد هناك من كثرة ما شهدت وقرأت من عجائب الدهر.. ما قد يستثير دهشتي وعجبي، فاكتشفت من أن الليالي ما زلن حقا يلدن كل عجيب!

تطلبين مشورتي يا سيدتي وسوف أشير عليك وبلا انفعال - استجابة لطلبك – بالصمت بعد أن اخترت لنفسك هذا الزواج المهرج الغريب.

لقد كانت الحياة عريضة أمامك.. وأنت شابة جميلة تهافت عليك راغبو الزواج منذ صباك.. فهل ضاقت بك الحيل حتى لا تجدي من تتزوجينه سوى شقيق زوجك المتزوج وله ثلاثة أطفال والساعي بينكما بالصلح.. فتحدثي بينهما شرخا لا يلتهم، وتفجري زلزالا أركان أسرة مترابطة ومتماسكة، ثم تنجبي منه أيضاً لكي تحولي الضعف البشري العابر الذي كان من الممكن الشفاء منه والاعتذار عنه إلى مشكلة عائلية تمتد آثارها للأجيال التالية وتذكر بها كل حين.

لماذا اخترت لنفسك هذا المصير.. وبأي عذر تستطيعين الاعتذار عنه.. وكيف تفسرينه لأطفالك حين يكبرون ويدركون أنهم إخوة وأبناء عم في نفس الوقت، وأن كلا من الأب والعم حي يرزق وقد تناوبا الزواج من أمهم الجبارة.

فإذا تجاوزت هذه التساؤلات الحائرة لأشير عليك بما تفعلين، فإني أقول لك باختصار لأن الموضوع كله يثير تقززي، إنك لو انصفت لطويت هذه الصفحة الشائكة كلها من حياتك، ولتركت زوجك الثاني لزوجته وأطفاله، ولأنهيت الزواج السري بلا خسائر عائلية له ولك أكثر من ذلك، ولحافظت على الشعرة الأخيرة بينك وبين هذه الأسرة التي يحمل أطفالك اسمها ولتركتها لحالها، وانكفأت على أطفالك الثلاثة ترعين شئونهم بمعونة أسرة أبويهم.. ثم

لتزوجت – إن أردت – من شخص ثالث بعيد تماما عن دائرة هذه الأسرة وعن ذكرياتها المحرجة، ولعشت معه حياة عادية هادئة بلا مآسي إغريقية ولا ألغاز يصعب حلها.. وليس ذلك بمستعص عليك لو أردت أن تدعي حقا هذه الأسرة وشأنها، فأنت فيما يبدو من السيدات اللاتي لا يعجزن عن إيجاد الزوج المناسب في أي مرحلة من العمر. وهذا في رأيي هو أنسب حل لك، لأن زوجك الأول لن يعود اليك بعد زواجك من.. شقيقه، وزوجك الثاني لن يستطيع أن يواجه الدنيا طويلا بزواجه المحرج منك وسوف يتخلص من ضعفه معك إن آجلا أو عاجلا، ويعود لحياته العائلية المحترمة التي لا يخجل منها ولا يطأطئ رأسه بسببها أمام أحد.. أما زواجك الحالي سواء أكان رسميا أم عرفيا، وأغلب ظني انه عرف فليس سوى قنبلة موقوتة سوف تنفجر في موعدها فيكون في انفجارها النهاية لكل ما تحاولين الآن أن تطيلي من عمره بوسائل صناعية.. فلماذا لا تنسحبين من هذه القصة كلها، وتتطلعين إلى حياة عادية هادئة مع زوج ملائم، وتسدلين ستارا كثيفا على هذه الصفحة المحرجة.. إنك لو فعلت ذلك تنصفين نفسك ووالدي أطفالك والأسرة التي انتسبت اليه ا، وتضمنين لأطفالك كل حقوقهم بلا مشاكل ولا عراقيل.

أما إذا اخترت أن تتم المأساة فصولها فليس أمامك إلا الصمت والرضا بهذا الوضع السري الذي لا يختلف كثيرا عن وضع الخليلة بكل أسف. وكفاك سعيا وراء المتاعب.. فقد طلقت 3 مرات ولم يتجاوز عمرك بعد الثامنة والعشرين.. فهل تريدين ضرب الرقم القياسي في عدد مرات الزواج والطلاق قبل أن تتمي الأربعين؟

فكري في كل ذلك يا سيدتي.. وشكرا لك أن أعفيتني من زيارتك لي!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الشجـرة الـعـاريـة

أكتب اليك لأستـشـيرك فـي أمــري..
وأطلب عونك في حل مشكلتي.. فلقد بدأت قصتي وأنا طالبة بالمدرسة الثانوية وأقيم في ضاحية حلوان، وأبي وأمي يعملان بالخارج، ونحن الأبناء الخمسة نقيم وحدنا في شقة الأسرة الواسعة بالضاحية. ورغم أن بعض أفراد أسرة أبي الكبيرة المعروفة وبعض أقارب أمي كانوا يزوروننا من حين لآخر ويهتمون بأمرنا، فقد افتقدنا الإشراف الفعلي علينا من أبوينا اللذين طالت غيبتهما في الخارج.
وحين كنت في الثامنة عشرة من عمري تعرفت بصديقة لي تسكن بمنطقة مساكن حلوان، وبدأت أتردد عليها وأركب سيارة ميكروباص تعمل بين حلوان والمساكن. وتكررت زياراتي لها واستخدامي لسيارة الميكروباص، فتعرفت بسائقها الشاب الوسيم وعرفت منه أنه يملك سيارة ميكروباص أخرى، ويحمل دبلوم المدرسة الصناعية، وأنه زميل لشقيق صديقتي، فتفتح أمامنا مجال الحديث، ووجدت نفسي منجذبة اليه ومرتبطة معه بعد قليل بعلاقة عاطفية حارة، ولم يلبث أن فاتحني في أمر التقدم لخطبتي وتردده في ذلك لاختلاف المستوى الاجتماعي والمادي بين أسرتي وأسرته. لكني شجعته على التمسك بحلمنا وأكدت له أني لن أقبل زوجا غيره. وتسرب نبأ علاقتي بهذا الشاب إلى أشقائي وعرف به أبي منهم، فثار على ثورة عارمة ولم يقبل أي تفاهم بشأنه. وزادتني معارضة أبي ورفض كل أسرتي لهذا الشاب تمسكا به وعنادا، وأحس فتاي بما أعانيه من أجله فاصطحب مدرسا من معارف أبي وجاء اليه يستشفع به في قبول خطبته لي، فلم يعطه أبي أي بارقة أمل. وعاد اليه مرة أخرى ومرات يناشده قبول خطبته وعدم رفضه، فضاق أبي بإلحاحه وأفهمه بوضوح قاطع أنه من رابع المستحيلات أن يقبل به زوجا لابنته وصهرا له.
وأحس أبي بعدها بالخطر فأنهى إعارته هو وأمي وعادا للإقامة معنا بصفة دائمة في مصر، وعاد إلى وظيفته الإشرافية الكبيرة.. وبعد أسابيع عرض على خطيبا شابا مرموقا وينتظره مستقبل كبير ويعمل تحت رئاسته ومن أسرة لائقة. وفكرت كيف أتخلص من الورطة.. فهداني تفكيري القاصر إلى أن أتظاهر بقبول الخطبة ومسايرة الأسرة فيها لبعض الوقت، ثم انتظر اللحظة المناسبة لفسخها بعد أن أكون قد انتهيت من دراستي الثانوية وأصبحت أكثر قدرة على التصرف! وهكذا أعلنت موافقتي على العريس الملائم وتمت قراءة الفاتحة، وسعد بذلك أبي وأمي وإخوتي. وبعد فترة قصيرة بدأت الأسرتان تتحدثان تحديد موعد قريب لإعلان الخطبة وتقديم الشبكة، ووافقت أيضاً على ذلك، واشترى خطيبي الشبكة ونالت إعجاب أسرتي وتحدد الخطبة، وقبل موعدها بأيام فوجئت بأن أبي قد قرر أن يحولها

إلى يوم قران، ولم أستطع إعلان رفضي بعد أن قبلت المبدأ من الأصل وفزعت إلى فتاي أبلغه بالكارثة، فطلب مني أن أترك بيت الاسرة وأذهب اليه لنتزوج ونضع أسرتي أمام الأمر الواقع.. فرفضت خوفا من العواقب.. وانشغلت الأسرة في الإعداد للقران وقام أبي بحجز قاعة كبيرة في أحد النوادي وطبع بطاقات الدعوة ووزعها على أصدقائه وأقاربه العديدين ورؤسائه. واستعدت الأسرة كلها لليوم الموعود، وكلما إقترب موعده ازداد إلحاح فتاي على أن أستجيب لطلبه رغم أن أسرته أيضاً رفضت زواجي به مالم يوافق أبي. واشتدت حيرتي بين الطرفين، فحسمت أمري قبل موعد القران بيومين، وحملت حقيبة ملابسي الصغيرة وتسللت من البيت في هدوء الى حيث كان فتاي ينتظرني بسيارته، فاصطحبني الى بيت أبيه الموظف الصغير الذي قارب سن المعاش. وكان شرطي الوحيد هو أن يتم زواجنا في نفس الليلة، وكان ذلك أيضاً هو شرط أسرته التي قبلت على مضض زواجنا بهذه الطريقة. وذهبنا الى بيت أبيه الذي لم يخف ضيقه مما فعلنا.
وتم إحضار المأذون على عجل ولم يجد مانعا من عقد قراني لبلوغي سن الحادية والعشرين فقام بعقد القران، وفي اليوم التالي اصطحبني زوجي إلى إحدى مدن الأقاليم لنعيش في بيت العائلة إلى أن يخلي لنا أبوه مسكنه في حلوان. وأمضينا أسبوعا هناك ثم عدنا إلى القاهرة وأقمنا في الشقة التي تركها لنا أبوه بعد أن سوى معاشه وعاد إلى مدينته الأصلية بالريف. وبدأت حياتي الزوجية متطلعة الى السعادة التي حلمت بها.
أما في بيت أبي فلقد زلزلت الكارثة أركانه، ووجد أبي نفسه في موقف لا يحسد عليه مع الجميع، ولم تخفف رسالتي التي تركتها في بيت خالتي له شعرة واحدة من غضبه الجنوني مما فعلته فأعلن لأمي وإخوتي أن ابنته الكبرى قد (ماتت) بالنسبة للجميع منذ اليوم، وإنه لا يريد أن يسمع شيئا عنها، ثم نهض لمواجهة الموقف فاعتذر للخطيب الشاب الذي صدم فيما حدث صدمة شديدة، خاصة وأنه لم يفرض نفسه على أحد، واعتذر للمدعوين بتأجيل القران لأسباب طارئة وألغي حجز القاعة واحتجب في بيته يجتر آلامه وأحزانه. ولم أشعر أنا بهول ما فعلت إلا حين وجدتني منبوذة من كل من عرفوني في حياتي السابقة، فلقد قاطعني أبي وأمي وإخوتي وخالاتي وأعمامي وجميع أقاربي. وقاطعتني كل صديقات الدراسة والصبا ومنعتهن أسرهن من الاتصال بي، فأصبحت وحيدة تماما كالشجرة الجرداء وسط رمال الصحراء. ومع ذلك فلقد حاولت أن أتحمل نتائج اختياري، وداعبني الأمل في أن يداوي الزمن جراح أبي وأسرتي وأن يفتحوا لي بعد قليل أبواب المغفرة. وشغلت بعد ذلك بحياتي الجديدة وبدراستي في الجامعة ومضى عامي الأول في الزواج في سعادة تامة وحملت وأنجبت طفلة جميلة. ثم بدأت رياح المتاعب تهب على عشي الصغير الذي تحملت من أجله مقاطعة أسرتي والجميع لي، فلقد تدهورت أحوال زوجي المادية بعد قليل، وباع سيارة

الميكروباص التي يملكها وعمل لفترة قصيرة بإحدى الشركات. ثم تركها وسافر إلى إحدى الدول العربية فأمضى فيها ثمانية شهور وعاد منها دون أي تحسن في أوضاعه المادية، فشارك أخاه في محل تجاري صغير، وتعسرت أحواله بشدة. وعرفت الوجه الآخر للحياة القاسية ماديا ومعنويا.. ولم يؤلمني ذلك بقدر ما آلمني ما آل اليه حالي مع زوجي الذي هجرت أسرتي واغضبت أبي من أجله فقد ذابت كلمات الحب الرقيقة في الهواء وحلت مكانها الكلمات الفظة القاسية وعرفت الشجار والإهانة والضرب في كل يوم بعد أصبح يتهمني بالاستعلاء عليه بأسرتي الغنية المعروفة ويتهمني بأني أتعالى على أسرته البسيطة.
وأصبح شديد الحساسية لكل كلمة تصدر عني ويفسرها على هواه.. وتطورت الأمور بيننا إلى الاعتداء على بالضرب المبرح في الأحيان.. وإلى إهانة بعض أفراد أسرته لي وطردهم لي في إحدى المرات من البيت مع أطفالي.. ووجدت نفسي وحيدة تماما لا أجد من أشكو اليه وينصرني، وبعد سنوات من القطيعة.. طرقت باب صديقتي التي تعرفت بزوجي خلال ترددي عليها، فلم تغلق باب صداقتها في وجهي، وقبلت أمها السماح لها بمصادقتي فأصبحت أشكو لها ولأمها مما أعاني، وأبيت عندهما كلما طردني زوجي في منتصف الليل.. ونصحتني أم صديقتي بأن أخاطب قلب أبي ليعفو عني ويسمح لأمي وإخوتي بالاتصال بي، فكتبت اليه ثلاثة خطابات فلم يرد على. وعرفت فيما بعد فيما بعد أنه مزقها قبل أن يقرأها. وطلبت من زوجي الطلاق فرفض، ووجدت نفسي أتساءل وحتى لو قبل فإلى أين أذهب وقد أنجبت طفلا عمره الآن خمسة شهور وابنتي لم تتعد الثالثة وأبواب أسرتي مغلقة في وجهي.... الى اكتب اليك لكي تشير على بما أفعل ولتناشد أبي أن يعفو عن فعلتي فماذا أفعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من لم يضع أحدا في اعتباره لا يلومن إلا نفسه إذا أسقطه الآخرون من اعتبارهم.. وأنت يا سيدتي قد أسقطت الجميع من اعتبارك وأجرمت في حق نفسك أولا وفي حق أبيك وأمك وأسرتك بفرارك المشين قبل موعد عقد قرانك بيومين، وبعد أن دعا أبوك أقاربه ومعارفه ورؤساءه لحضور عقد القران السعيد، واستعد لأن يزهو بابنته كما يتمنى كل أب لنفسه.. فإذا بك تغرسين هذا الخنجر الدامي في كبده وتتركينه ينزف دما من قلبه وكرامته كأب ورب أسرة أمام الجميع.
وأجرمت في حق أسرتك حين ارتضيت لنفسك محاولة خداعهم بقبول خطبة ترفضينها في أعماقك وتنوين التخلص منها في أقرب فرصة، مع ما في ذلك من خداع والتواء لا يليقان بابنة مع أقرب الناس اليه ا. لذلك لم يكن غريبا أن

انقلب مكرك عليك لأن المكر السيء يحيق دائما بأهله، فوجدت نفسك فجأة أمام ماكنت تخشينه وتصرفت برعونة لا ينقصها الجبن إزاءه، إذ بدلا من أن تواجهي الموقف بشجاعة وتعلني أهلك بنواياك الحقيقية وتتحملي العواقب مهما كانت قاسية، آثرت الفرار الخسيس من المعركة ملقية بسمعة أبيك وأسرتك كلها إلى الجحيم. ومن عجب أنك لم تكوني في حاجة إلى شيء من ذلك منذ البداية، فقد كنت تستطيعين التمسك بفتاك رغم معارضة أهلك له وأن تصري على رفض قبول خطبة أي شاب غيره، وتواصلي الكفاح مع أسرتك لنيل رضائهم وموافقتهم عليه مهما طال الزمن، ولم تكن لتتأخر عليك هذه الموافقة طويلا وقد علمتنا تجارب الحياة أن الأهل لابد أن تلين قناتهم في النهاية إذا ما استقر في يقينهم أن ابنتهم لن تقبل لها زوجا إلا من ارتضته لنفسها، فيسلمون غالبا بحقها في اختياره حتى ولو لم يرضوا عنه.
لكنك يا سيدتي لم تفعلي شيئا من كل ذلك، واستسلمت لأهوائك وتهورك وتخبطك كأنك سفينة بلا شراع، فحطمت كل الجسور بينك وبين الجميع، ووجدت نفسك بعد سنوات قليلة كما تقولين كالشجرة الجرداء العارية وسط رمال الصحراء، تهب عليها الريح فلا تجد من تأوي اليه ولا من تبثه همومها، فأدركت هنا فقط أهمية أن يكون للإنسان أهل يحتمي بهم من هجير الحياة، وتصورت أنك تستطيعين أن تداوي جراح أبيك بمجرد أن تكتبي اليه بضعة خطابات وربما اعتبرته قاسياً لأنه نبذها ولم يعن بقراءتها، ولم يفتح لك أبواب الرحمة مع أولى طرقاتك عليها. وليست بمثل هذه البساطة تؤخذ الأمور، فالأكباد المقروحة تتطلب علاجا طويلا، وكبد أبيك مقروحة وجراحها غائرة.. فاذهبي اليه مرتدية بردة الندم الصادق على ما ارتكبت في حقه.. وتحملي مرارة إنكاره لك في البداية بل وطرده لك مرة أو أكثر.. واذرفي دموع التوبة الخاشعة على يديه مرة ومرات، إلى أن يرق قلبه لك.. وسوف يرق في النهاية لأنه أب ولأنك ابنته مهما كان جرمك في حقه.. والتذلل لأبيك لنيل عفوه ليس ماسا بكرامتك، فبقدر حجم الجريمة يكون عمق الاستغفار والرجاء والاستعطاف.. ولست في كل ذلك بأكرم على نفسك من هنري الرابع إمبراطور ألمانيا في القرن الحادي عشر الذي غضب عليه البابا جريجورى السابع فسعى اليه الامبراطور من ألمانيا إلى بلدة كانوسا الصغيرة بإيطاليا خاشعا تائبا نادما على ما فرط منه في حقه. ومكث أمام أبواب القصر ثلاثة أيام حافي القدمين تحت الصقيع واضعا على كتفيه بردة الندم المنسوجة من شعر الماعز الخفيف، حتى كاد يتجمد شدة البرد، إلى أن عفا عنه البابا وأذن له بالدخول، فصارت مثلا في التاريخ على معنى التذلل والاستعطاف للشخص الذي عصى الإنسان أمره من قبل، فيقولون عنه إذا فعل ذلك أنه «ذهب إلى كانوسا»، وحق أبيك عليك يا سيدتي لا يقل عن ذلك شأنا فاذهبي إلى «كانوسا»، أنت أيضاً خاشعة تائبة لتشتري غفران أبيك

وصفو حياتك ومغفرة ربك على ما فعلت.. ولن تهنأ لك حياة مع زوجك إلا بذلك.
أما عن حياتك الزوجية فلا خيار لك فيها إلا أن تتواءمي مع ظروفها، وأن تغيري من نفسك بما يحفظ لها دعائمها، ويعين السفينة على أن تظل طافية فوق الماء، حتى لا يصبح اختيارك الذي باعدت أهلك بسببه واختصمت الدنيا كلها من أجله عبثا بلا طائل ورحلة جنونية الى غير ما هدف.
إنك تقولين إن زوجك قد أصبح شديد الحساسية تجاه تصرفاتك، وأنه يفسر كلماتك على غير ما تقصدين وقد يكون السبب في ذلك هو استشعارك أنت للفارق الاجتماعي والثقافي بينك وبينه، وبين أسرتك وأسرته، فتجنبي يا سيدتي أن تشعريه باستعلائك الطبقي عليه أو على أسرته لكيلا تفتحي على نفسك أبواب الجحيم.. وتجنبي إشعاره بأنك أميرة تنازلت عن عرشها من أجله فوجدت نفسها بين قوم لا يرقون إلى مستواها!.
فلكل إنسان حساسياته وجوانب نقصه التي إذا لمسها أحد أو عزف على أوتارها أخرج منه أسوأ طباعه وتوارى طائر الحب وراء قبح الكلمات وبشاعة الإيذاء.. ورغم رثائي لك فإني استشعر في كلماتك أنك تلومين الجميع وتعفين نفسك من أي لوم أو مسؤولية عن تصرفات الآخرين. ولا يمكن أن يكون ذلك صحيحا على إطلاقه.. فليس بين البشر معصومون من الخطأ سوى الأنبياء، فحاولي أن تتفادي أي تصرف يشعره بالمن عليه بما فعلت، أو بالفوارق الاجتماعية بينكما، أو بالندم على اختيارك له، إذ لا عائد لذلك كله إلا تكدير صفو حياتك بمن ارتبطت به وأنجبت منه طفلين لا دخل لهما فيما جرى.. فقودي سفينة حياتك معه بحكمة وصبر، ودافعي عن اختيارك الذي واجهت الحياة به. وليس ذلك بالأمر الصعب فحبه لك مازال قائما بدليل تمسكه بك ورفضه طلاقك. وإن كنت انتظر منه كرجل أن يكون أكثر نبلا وشهامة ورفقا بك وأنت الوحيدة بلا سند غيره في الحياة، وحبك أيضاً له مازال كامنا في أعماقك بدليل تحملك لعناء الحياة معه رغم شكواك من قسوتها.
ولقد نشرت رسالتك يا سيدتي رغم ضيقي بها لأنها تؤكد لي صدق ما أنصح به من يواجهن نفس الاختيار الذي واجهته أنت، بين الخروج عن طاعة الأهل أو التنازل عن أحلامهن بألا يفقدن الأمل أبدا في نيل رضاء الأهل على من اخترن لرحلة الحياة، وأن يتمسكن بالإصرار على نيل موافقتهم مهما طال الزمن، وألا يخرجن على طاعتهم إلا إذا فقدن كل بارقة أمل وكان موقف الأهل شديد التعسف ولا سند له من شرع أو دين، وهي دائما حالات شديدة الندرة ولا يقاس عليها.. ولعلك قد استوعبت الآن درس التجربة المريرة، ولعل غيرك يستوعبها ويستفيد بها بغير حاجة لأن يدفع نفس الثمن لكي يتعلم الحكمة بعد فوات الأوان وبغير حاجة أن (يستبين الرشد إلا في ضحى الغد) كما تفعل غالبا في بعض أمور حياتنا.. بكل أسف!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الشهادة

لظـروف عائليـة قاهـرة، اتجهت للتعليم الفـني.. فحصلت على دبلوم التجارة منذ 18 عاما والتحقت بوظيفة في إحدى الوزارات لأعول نفسي وإخوتي الخمسة حتى تخرجوا جميعا.. فاستأنفت دراستي من جديد، وحصلت على الثانوية العامة والتحقت بالجامعة والتهمت الكتب التهاما، فتخرجت في إحدى الكليات النظرية بتقدير جيد جدا. والتحقت بالدراسات العليا للحصول على الماجستير. وطوال سنوات الجامعة لم التفت لأي فتاة من زميلاتي، لأن شاغلي الوحيد كان النجاح والتفوق في الدراسة وفي العمل.. ثم انتبهت اليها فجأة وخفق قلبي بشدة حين رأيتها لأول مرة، وتعرفت عليها وتبادلنا الحديث فأحسست في كلماتها إعجابا بي وبتفوقي، فارتحت اليها ووجدت نفسي أحكي لها كل شيء عن حياتي، فإذا بها تصارحني بأنها أحبتني منذ اللحظة التي رأتني فيها بالجامعة. وأحسست بصدقها وأعربت لها عن رغبتي في التقدم لأسرتها. وجاءتني بعد أيام لتبلغني بأن أباها يرحب باستقبالي وذهبت اليه.. وعرفت من حديثه أن له قصة كفاح مماثلة لقصتي، فارتحت إلى ذلك لأنه سيكون أكثر الناس تقديرا لكفاحي.. لكني فوجئت به يغالى في مطالبه التي أعجز معها عن تلبيتها، فاعتذرت له بخجل، وانصرفت أسفا على ضياع الحب الذي جاء بعد كل هذا الكفاح. ومرت أيام كئيبة ثم فوجئت ذات يوم بفتاتي تزورني في بيت أسرتي وتؤكد لي تمسكها بي وتقسم بين يدي أنها لن تكون لغيري.. فدبت الحياة في روحي من جديد.. وقررت أن أغالب ظروفي وأتحدى المستحيل لكي ألبي مطالب أبيها، فأجلت الدراسات العليا وجمعت بين ثلاثة أعمال متناقضة لكي أجمع أكبر قدر ممكن من المال لأحقق به أحلامي.. فكنت أعمل في الوظيفة الحكومية من السابعة صباحا إلى الواحدة ظهرا، ثم أعمل مدرسا بمدرسة خاصة من الثانية حتى السابعة مساء، ثم أعمل عملا ثالثا من الثامنة مساء حتى منتصف الليل، ثم أدخل فراشي في الواحدة صباحا فأنام بلا حراك من شدة الإجهاد حتى السادسة صباحا، وهكذا كل يوم لمدة عامين كاملين حتى جمعت المبلغ وتمت الخطبة بالشكل الذي يرضي صهري.

وفي اليوم التالي للخطبة كنت قائما أصلي.. فقرأت قوله تعالى: «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ»، فركعت وفي القيام من الركوع دعوت ربي أن يعطيني لأرضى وأرضي من حولي. وقبل ربي دعوة عبده الصابر، فلم تمض أسابيع حتى كنت قد حصلت أنا وخطيبتي على عقد عمل كمدرسين في إحدى الدول. ووافق أبوها أن نعقد قراننا لنسافر اليها كزوجين.. وتزوجنا وسافرنا وعشنا أجمل أيام حياتنا.. وحملت زوجتي في طفلي الأول، واستدعيت أمها لترعاها ورحبت بها كثيرا، لأني كنت أحبها. وأنجبنا طفلا جميلا، ثم بدأت المشاكل تعرف طريقها إلينا عندما بدأت حماتي تتدخل في حياتنا وتحرض

زوجتي على وعلى عدم المبيت معي في غرفة واحدة. وتحملت كل ذلك إلى أن عدنا في الإجازة الصيفية. وكنت قد اشتريت شقة تمليك مناسبة واستبدلتها بأحسن منها حين توافرت لي الإمكانات.. وانتهت الإجازة فرفضت أن نصحب الأم معنا بعد أن عانيت من تدخلها في حياتنا الكثير. وسافرت وحدي وتركت زوجتي في القاهرة لتضع طفلها الثاني، فإذا بزوجتي تعود الى بغير طفلي الأول بحجة أنها لا تستطيع رعاية الطفلين معا. ولأن الطفل الأول متعلق بأمها، وذلك رغم إرادتي، ومضت الأيام رغم ذلك، وألحت حماتي على زوجتي لكي تستقيل من عملها قبل أن ننهي مدة العقد ونعود معا، فاستقالت وعدنا لمصر، فرفض صهري أن يؤثث الشقة مع أنه قبض المهر الذي حدده كاملا. وحين ناقشته في ذلك عيرني بكفاحي وبترددي عليه طالبا يد ابنته. وأكد لي أن المهر حق للزوجة بغير أثاث، وتعقدت الأمور بيننا، فمنعني من رؤية زوجتي وأبنائي.. وحاولت أن أوسط أحدا بيني وبينهم فرفض الجميع. فاستجبت لنصيحة أحد أقاربه وأرسلت إلى زوجتي انذارا - مجرد انذار - بالدخول في طاعتي – ففوجئت بثلاثة انذارات عن ثلاث دعاوى قضائية ضدي مازالت منظورة بالمحاكم منذ عام 1987 حتى الآن. وخلال هذه الفترة الطويلة لم أر أبنائي ولم يسمحوا لي بمقابلة زوجتي، وفعلت المستحيل لأرى أبنائي أو ألتقي بزوجتي لأذكرها بأيامنا الجميلة وحبنا القديم الذي كدت أهلك وأنا أعمل 15 ساعة كل يوم لأتوجه بالزواج فحالوا بيني وبينها. وحصلت على حكم برؤية أولادي، وتوجهت إلى بيت صهري لأراهم لأول مرة بعد عامين، ويجيء الطفلان واتقدم اليه ما بلهفة الأب المحروم لأحتضنهما فيفزعان مني ويصرخان في وجهي ويفران خائفين مني إلى أمهما المختفية وراء باب مغلق عزوفا عن أن تراني.. وأحس بصدمة العمر كله وبوخزة ألم شديدة في صدري.. وأصيح من ألمي في وجه صهري: حسبي الله ونعم الوكيل فيك. حسبي الله ونعم الوكيل فيك.. وهنا فقط تخرج زوجتي من مكمنها غاضبة لتقول لي: كيف تجرؤ على سب أبي وأفهمها بهدوء أن ما قلت ليس سبا وأنه ورد عن السيدة عائشة أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمّه شيء أمسك بلحيته وقال حسبي الله ونعم الوكيل.. وانتهى اللقاء بغير طائل، وانتهت إجازتي وسافرت حزينا إلى مقر عملي واصطحبت معي أمي وشقيقتي لتؤنسا وحدتي وتخففا عني سوء حالتي النفسية. وتمضي الأيام ولا جديد فيها سوى الحزن على ما كان والأمل في إصلاح الأحوال.. إن زوجتي وأمها من عشاق بابك وقد كان المفضل لدينا منذ أعوام خلت، وما زلنا نحرص على متابعته، فقل لها يا سيدي قبل أن يفصل القضاء في دعوى التطليق إنني مازلت أحبها بكل ذرة في كياني، وأني أحب أبنائي بكل خلجة في عروق ولا أريد لهم أن يعانوا تبعات هذا التفريق. ومن أجل ذلك تركت لمحامي تفويضا بالتصالح متى حسنت نياتهم.. لقد مضى عامان على فراقي لزوجتي وأبنائي. ولو كان الأمر أمر زواج لمجرد الزواج لتزوجت غيرها منذ

الشهور الأولى، فالفرص كثيرة والإمكانات قائمة. وأنت قد قلت ذات مرة في أحد ردودك أن الإنسان تاريخ وليس موقفا عابرا يحكم به على جوهره الأصيل.. فلتسأل نفسها هل أسأت معاملتها يوما في غربتنا.. ولتقف مع نفسها موقف الصراحة ومراجعة النفس والاعتراف بالحق.. ولتعد معززة مكرمة إلى بيتها ونطوي صفحة الإساءة فهي ليست لأمثالنا.. ثم فلتكن أنت وقراؤك في النهاية شهود صدق وحق للزمان، أدعوهم للشهادة على أني لم أقصر في حق أولادي إذا ما سألوني يوما عن المسؤول عن تمزق شملهم بيننا، فعسى أن تؤدوا الشهادة وعسى أن يفهموا وأن يعذروا -.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إنني لو استعرت بلاغة الشعراء ونسجت أرق الكلمات مخاطباً زوجتك، فلا يجوز لكلماتي أن تؤثر في قلبها كما ينبغي أن تفعل كلماتك الدامية هذه في قلبها وعقلها على السواء، إذ ماذا يمكن أن يمس القلب أكثر من هذا التضرع الذي تتوجه به، والذي قد ينكره عليك آخرون وماذا يمكن أن يثير التأمل الحزين أكثر من هذا الحرص الحكيم على مستقبل طفلين لا ذنب لهما في نوازع النفس البشرية عند الأبوين ولا في خلافاتهما.. أو أكثر من هذا التحسب الحكيم من أن يجيء يوم – وسوف يجيء بالضرورة – يلوم فيه الأبناء أبويهما أن مزقوهم بينهم ولم يوفروا لهم حياة طبيعية آمنة كحياة الآخرين من أمثالهم. لقد قلت من قبل أن أي مبررات يقدمها الأبوان لأبنائهم عن هدمهم لأسرهم، هي لغة غير مفهومة عند الأبناء الذين لا يتصورون سببا في الحياة لحرمانهم من حياتهم الطبيعية بين الأبوين، لأنهم لا يفهمون اعتبارات السعادة الخاصة أو افتقاد الحب التي يبرر بها البعض تشريدهم.
ولا شيء يثير ضيقي بالحياة أكثر من أن يتواجه شركاء الحياة أمام القضاء لإقرار العدل بينهما. ولعلى قد ترددت في نشر رسالتك لهذا السبب بالذات، لأني أؤمن بأن القضاء إنما قد جعل للفصل بين الغرباء وليس بين من تحابوا ذات يوم وتساكنوا وتشاركوا الحياة وتمازج عرقهم ودمهم في سابق الأيام، فإذا تحامق طرف وأصر على عناده فالأكرم للطرف الآخر أن يتنازل عن بعض حقه عن أن ينازع شريك حياته أمام الغرباء، فإن فسدت الحياة وعز إصلاح ما فسد، فتسريح بإحسان أكرم كثيرا من الوقوف في ساحات المحاكم. ولا شك أنك تسرعت بالبدء في المنازعة بالطريق القانوني، فكان الرد بثلاث قضايا ومنازعات مؤسفة، رأيت حذفها من رسالتك احتراما للقيم الأسرية السامية. لكني لن أطيل الحديث في هذه النقطة لأننا في مجال التوفيق ولسنا في مجال الحساب. وكلمتي لزوجتك هي أن تقرأ رسالتك مرات ومرات.. وأن تتذكر أن حساب الأبناء يوم الحساب لا يقتصر على الآباء

وحدهم وإنما يمتد إلى الأمهات، ولعله في بعض الأحيان يكون أشد قسوة معهن لأنهم ينتظرون منهن دائما التضحية من أجلهم بأكثر مما ينتظرونها من الآباء بحكم طبيعة الأم المعطاءة والمضحية.. فلتفكري طويلا يا سيدتي في معنى أن يقبل رجل على نفسه أن يوجه لزوجته هذا النداء المؤلم على الملأ، وأن يطلب شهادتهم يوم يكون الحساب.. ولتحاولي أن تتفهمي مغزاه وتعرفي أننا في النهاية ومهما بلغ شأننا أعزاء فقط على من يرغبون فينا بصدق.. ولكننا لا نساوي الكثير عند غيرهم.. فلنحرص إذن على من أحبونا ورغبوا فينا ولو نالنا منهم بعض الضرر، فالحياة لا تخلو من معاناة، لكن معاناتنا مع من يتمسك بنا - أهون كثيرا من معاناتنا مع من لا يعنيه قربنا أو إبتعادنا عنه. فليكن الصفح الجميل من الطرفين معا ولتتوقفا معا عن التنازع أمام القضاء.

ولتعودا معا إلى روح الدين الذي نظم لنا حتى طريقة تناول الخلافات الزوجية، فأوصى بحكم من أهله وحكم من أهلها إن عجزنا نحن عن حل مشاكلنا بأنفسنا والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الـسـهـم الأخـيـر!

أنا صاحـب الرسالـة التي تفضلـت بنشـرهـا.. واخترت لها عنوان «الشهادة»، والتي رويت لك فيها قصتي مع زوجتي ابنة الطبيب المشهور التي أحببتها وتزوجتها واصطحبتها معي إلى مقر إقامتي في البلد العربي الذي أعمل به، وأنجبنا طفلين جميلين ثم أفسد بيننا المفسدون سامحهم الله فعادت إلى مصر ورفضت العودة وتصاعدت المشاكل حتى وصلت الى ساحة القضاء ثم كتبت لك إنني أشهد الله وأشهد قراءك على من يتحمل وزر تشريد طفلين بريئين بين أبوين منفصلين، ولغير أسباب تستحق، بعد أن يئست من محاولة استعادة زوجتي وأسرتي الصغيرة. وقد نشرت الرسالة وكان أملي أن تقرأها زوجتي وأبوها وأمها وأن يستشعروا مسؤوليتهم أمام الله عن سعادة هذين الطفلين، فيجنحوا إلى التوفيق بدلا من الاستمرار في الخصومة والادعاء على أمام المحاكم بما لم أفعل والاستعانة بشاهدي زور لإثباته.

وأرسلت لهم صفحة بريد الجمعة التي نشرت فيها الرسالة، وتأكدت من وصولها اليه م. وانتظرت في غربتي ووحدتي أن تتحرك القلوب، واستجبت لنصيحتك السديدة بأن أتغاضى عن كل ما فعلوا لي، وأن أعرض عليهم الصلح والصفح الجميل رعاية لطفلي إذا قبلوا ذلك فعرضت عليهم الصلح وإسقاط كل القضايا فأبوا ورفضوا.. فلم يكن أمامي مفر سوى مواصلة التقاضي خاصة أن موقفي كان قويا لكني بدأت أحس بالضيق والاكتئاب.. وساءلت نفسي: إلام يستمر هذا الصراع.. ثم نهضت ذات صباح وقد قررت أن أطلب من المحامي الذي يتولى قضيتي أن يبلغ القاضي أنني استشهد بزوجتي نفسها وأرضي شهادتها وأحتكم إلى ضميرها وهي طرف الخصومة لتشهد إن كنت حقا قد أسأت معاملتها كما يدعي علي من حرضها على طلب الطلاق، وعن رغبتها الحقيقية في طلب الطلاق.. وأنني بذلك أرتضيها خصما وحكما، وأبلغت المحامي كل ذلك فثار وقال ان في ذلك قضاء محتما على، لأن موقفنا في القضية قوي واستشهادي بزوجتي سوف ينسف كل شيء.

فأصررت على ذلك مؤكدا له أنه خير لي أن أخسر القضايا المنظورة بيننا على أن نتصارع أنا وزوجتي وأم أطفالي في ساحات المحاكم. ولم يجد المحامي أزاء إصراري بدا من التلبية. وعرض الأمر على القاضي فوافق، وأرسل في استدعاء زوجتي واستبشرت خيرا لأني على ثقة بأن زوجتي التي أعرفها جيدا لن تنطق بغير الحق ولو كان فيه هلاكها.

وبعد أيام اتصل في المحامي هاتفيا في مقر عملي هنا.. وأبلغني خبرا نزل على رأسي كالصاعقة، وهو أن زوجتي قد حضرت أمام القاضي فإذا بها تؤكد له سامحها الله ما جاء على لسان شاهدي الزور.. وإذا بها تبدي رغبتها في الطلاق فيحكم لها القاضي في الجلسة نفسها ـ وكانت جلسة استئناف بالطلاق البائن. ونظرا لجمالها وحسبها فقد حكم لها بنفقة متعة قدرها خمسة

وعشرون ألف جنيه عدا مؤخر الصداق وعدا نفقة شهرية قدرها خمسمائة وخمسون جنيها.. هل تصدق ذلك يا سيدي لقد أوشكت على الانهيار مرة أخرى وأنا أرى السهم الأخير الذي رميته ثقة مني في أن زوجتي لن تنطق بغير الحق قد ارتد إلى صدري، وكان فيه القضاء على. لكني استعدت ثقتي بالله عز وجل سريعا واسترجعت سيرة أشرف المرسلين عليه الصلاة والسلام الذي آذاه قومه ودعوت في صلاتي بدعائه «اللهم أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، وفوضت أمري إلى الله سبحانه وتعالى».. وأملت أن يكون ذلك هو النهاية الأخيرة لتلك الزيجة التي منيت بالفشل الذريع وهي تحبو أولى خطواتها في الحياة.. لا تحزن من أجلي يا صديقي الذي لم أقابله.. فان الله لن يضيع أجر الصابرين المحتسبين.. لكني أصارحك بأنني قد أصبحت أخشى الارتباط مرة أخرى وأتوجس منه. لكن ما حيلتي وهو أمر حتمي لمن أراد أن يحصن نفسه ويستعفف ويحيا حياة طبيعية.

إن مشكلتي هي أنني قد تغربت منذ تخرجي من الجامعة منذ ثماني سنوات. ومعظم أقاربي من صعيد مصر قد شغلت عنهم بكفاحي وعملي ودراستي بالقاهرة ثم باغترابي، وحين عدت لمصر في الإجازة الماضية، وجدت أن من تصلح من بين أقاربي للزواج قد تزوجت وأنجبت.. أما زميلات الدراسة فقد قطعت زوجتي – السابقة – كل علاقتنا بهن بمجرد التخرج بحجة غيرتها العمياء كما كانت تقول دائما. والإجازة التي أقضيها في مصر شهران كل سنة لا تسمح لي بدراسة شريكة الحياة المقبلة دراسة متأنية، ولم يعد لي من شعاع أمل إلا في أن ارتبط بإنسانة تنسيني مرارة الذكريات، وقد أحسست بتعاطفك الصادق معي في ردك على رسالتي الأولى.. إنني أعرف أن هذا ليس من عملك ولا من وظيفتك، لكني أثق بانك لن تحجب على مساعدتك، ويبقى الله ولك بعد ذلك وعد وعهد أن أكون عند حسن ظن ربي والسلام عليكم ورحمة الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أما رجاؤك لي بألا أحزن لما أصابك فلم أستطع - مع الأسف – الاستجابة له.. فلقد وجمت حين قرأت رسالتك وتمثلتك في غربتك تحن إلى طفليك الصغيرين وتترقب قرب عودة الوئام والسلام إلى عشك الصغير وتتعلق بالأمل والرجاء بعد أن قدمت مبادرتك النبيلة تلك، فإذا بك تتلقى هذا السهم الغادر على غير توقع ولا انتظار إن أقسى الضربات هي ما ينالنا ممن كنا ننتظر منهم الوفاء، فكيف لا أكتب لزوج وأب سلم لزوجته سلاحه دليلا على صدق رغبته في الوئام، فإذا بها تتناوله من يده وتصوبه اليه ثم تضربه في مقتل وبلا رحمة. إنني لا أريد أن أجدد أحزانك باستعادة ما جرى، وقد أعانك

الله على التجلد أمامها واجتيازها. ولعلها المرة الأولى التي يهون على فيها قارىء مما أصابه بدلا من أن أهونه أنا عليه، وأطالبه بالصبر والاحتساب.. وأنت قد احتسبت بغير حاجة إلى نصيحة وتطلعت ببصرك وبصيرتك إلى الغد الأفضل، «وطبت نفسا إذا حكم القضاء» كما كان يطالب بذلك الإمام الشافعي المهمومين. ولم يبق سوى أن أقول لك أن أخلاق البشر الحقيقية هي أ أخلاقهم التي تتبدى عند الخلاف والنزاع والخصام، وليست تلك التي تتعامل معها في أيام الصفاء والوئام.. لهذا قيل إن أشرف الناس مع الجميع هم أشرفهم مع خصومهم.. وأنت كنت خصما شريفا وكريما مع خصومك، فكيف بك مع غيرهم؟ إنني أرجوك ألا تندم على ما قدمت فما عاقبة من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، كما قال – صادقا - الفاروق عمر.. وإنه لشرف لي يا صديقي أن أبذل كل جهدي لتلبية رغبتك النبيلة وأرجو أن يوفقني الله في تحقيقها على خير وجه مستطاع، كما أرجو لك أن يكون ما جرى هو خاتمة الآلام والأحزان في حياتك، وأن يكون دورك قد حان لنيل كل ما تستحقه من سعادة وتكريم وهناء بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لـهـيـب الـجـحـيـم!

أنـا مهنـدس فـي الأربعيـن مـن عمــري تزوجت منذ 15 عاما.. ومضت حياتي عادية، ثم حصلت على عقد عمل بإحدى الجامعات العربية.. وكان العقد يتضمن سكنا عائليا لي وتذاكر سفر لزوجتي وأبنائي.. فطلبت من زوجتي أن تستعد للسفر ليجتمع شملنا معا.. وبدأت أترقب موعد سفرها في لهفة.. فإذا بأمها تقنع صهري بعدم سفر زوجتي معي وبأن أسافر وحدي.. فحاولت إقناعه باصطحاب زوجتي.. فلم يوافق، وتدخل وسطاء كثيرون فلم يستجب لرجائهم.. وأمام هذا الإصرار والجبروت – وخاصة أن زوجتي قد وافقت أهلها على رأيهم – اضطررت للسفر وحيدا.. وعشت أيامي الأولى هناك حزينا مكتئبا لحرماني من زوجتي وأولادي.. وكنت في ذلك الحين قد أنجبت ولدا عمره 3 سنوات وولدا عمره سنة وتحملت وحدتي شهورا وأسابيع.

ثم عدت في إجازة نصف العام الدراسي على نفقتي الخاصة لأرى أولادي ولأعيش مع زوجتي عشرة أيام حتى لا أفتن في ديني وأنا في غربتي.. ومضت شهور العام الدراسي بخيرها وشرها.. ثم عدت في الإجازة الصيفية وأمضيت شهورها مع أسرتي الصغيرة. وخلال إجازة الصيف حاولت أن أكرر محاولة اصطحاب زوجتي وأولادي معي فلم أنجح في زحزحة صهري عن رأيه.. فسلمت أمري لله ونظمت أموري على أن أعود كل سنة مرتين، منهما مرة على نفقتي الخاصة.. ومضت حياتي هكذا لمدة 9 سنوات كاملة 9 سنوات يا سيدي. لا أرى خلالها زوجتي وأولادي الذين أصبحوا أربعة إلا في إجازة نصف العام الدراسي مرة وفي إجازة الصيف مرة أخرى.. وفي كل سنة أعود إلى أسرتي يحدوني الأمل في أن يتغير موقف أسرة زوجتي مني بلا فائدة، إلى أن شقت على وحدتي وبعدي عن أولادي فقدمت استقالتي وعدت الى مدينتي الصغيرة وإلى عملي. وبعد عام من عودتي توفي صهري ففوجئت بزوجتي تنصرف عني تماما من ناحية المأكل والمشرب والملبس.. وحين سألتها، تغيرها تجاهي أجابتني بأنه تقصيري في حق أبيها خلال مرضه وتعجبت.. أي تقصير ارتكبته في حق أبيها في مرضه.. لقد كنت أزوره 3 مرات يوميا في المستشفى وأصطحب اليه الأطباء وأحمل عينات التحاليل إلى المعامل.. وتركت زوجتي تقيم معه طوال مرضه إلى أن وافته المنية.. فأي تقصير ارتكبته في حقه ولم تقتنع زوجتي. وتمادت في الابتعاد عني.. وبدأت تثير لي المشاكل في عملي.. ثم فوجئت بها تطلب الطلاق مني بعد 15 عاما من الزواج، وبعد أن وصل أكبر أولادي إلى الصف الثاني الثانوي، وتصدمني بأنها تكرهني.. وتكرهني منذ أيام الخطبة، وأنها لا تعرف لماذا سكتت كل هذه السنوات الطوال؟ ووقفت ذاهلا أمامها أتساءل أين كانت هذه الكراهية كل هذه السنين.. وماذا لا يعجبها في وأنا والحمد لله اتمتع بكل مقومات الرجولة والوجاهة وميسور ماديا وأملك فيلا في مدينتي الصغيرة

وعندي سيارة مرسيدس، وفوق كل ذلك حريص على أسرتي.. لقد رفضت طلاقها تمسكا بأولادي الذين أحبهم أكثر من أي شيء آخر في الحياة، وأشفق عليهم من أن يعانوا ما عانيته أنا في طفولتي حين تزوج أبي زوجة أخرى على أمي.. فلم نطق الحياة مع زوجة أبي.. وتركنا البيت لنعيش مع أمي في بيت أبيها حتى توفى، فعدنا الى بيت أبي بقوة القانون. ورفضت أن أكرر مأساتي معهم..... لكنها راحت تطالبني بالطلاق كل يوم.. ثم قالت لي مرة أنها فكرت في أن تدس لي السم في الطعام ذات يوم، لكنها تراجعت خوفا من حبل المشنقة.. فهل تتصور ذلك يا سيدي.. لقد خافت من حبل المشنقة ولم تخف من ربها ولا من عذاب الضمير ولا على مستقبل الأبناء الذين سيصبحون يتامى.. فأصبحت أخاف من أي طعام أو شراب يقدم لي وحدي. ومازلت أرفض طلاقها ليس من أجلها، ولكن من أجل أطفالي الذين أحبهم ويحبونني لأني عطوف معهم في حين تقسو هي عليهم.
لكنها مازالت متمسكة بالطلاق وتقول لي أنها لن تتزوج، وإنما ستتفرغ لتربية الأولاد. وتطلب مني مغادرة البيت لأن أمها تكرهني وهي بالتالي كما تقول تكرهني، والأدهى من ذلك أنها منذ وفاة أبيها قد هجرت غرفة نومي وثبيت وحدها.. فإذا ذهبت اليها خلسة في الليل بعد مبيت الأبناء وأمها، صرخت بأعلى صوتها فيفزع الأولاد من نومهم وتفزع أمها من النوم وتأتي الأم الى صائحة: ابتعد عنها ولا تكن كالبهائم.. أقتل هذه الرغبة فيك مادامت تكرهك! فماذا أفعل يا سيدي في هذا العذاب؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إنني أطالب الزوجات والأزواج دائما بأن يتحملوا أقدارهم حرصا على صالح الأبناء وحماية لهم من التمزق بين الأبوين عند انفصالهما، حتى لو جاء ذلك على حساب سعادتهم الشخصية لكني في حالتك هذه.. ولو صح كل ما رويته لي في رسالتك.. وما أظنك إلا صادقا فيها، فإني أقول لك وضميري مستريح: طلقها يا صديقي وبأسرع ما تستطيع وطأ قلبك إن كان مازال يحمل لها أي خفقة حب، ولا تتعلل بالأبناء لقبول هذا الذل وهذه المهانة التي لا تليق بالرجال، والتي تؤثر سلبا على معنويات الأبناء وأخلاقياتهم، ربما بأكثر مما يؤثر فيهم انفصال الأبوين في بعض الأحيان.. فالحق أني أحس أن رغبتك فيها لا تقل عن حرصك على أبنائك وأن علاقتك بها قد اتخذت شكلا مهينا منذ البداية، فلم تكن معها حازما بالقدر الكافي حين كان الحزم مطلوبا وضروريا لصالحها ولصالح أبنائك أيضاً، وإلا فكيف قبلت أن تعيش وحيدا 9 سنوات ولك سكن عائلي في غربتك لأن صهرك لا يوافق على أن تصطحبك زوجتك اليه ا؟ وأي أب يستطيع أن يمنع ابنته من اللحاق بزوجها وضم أولاده اليه إذا أرادت هي ذلك أو إذا تمسك الزوج بحقه فيه. وأنت.. انت المسؤول. عنها مادامت

في عصمتك لا أبوها.. إنها هي يا صديقي - وليس صهرك – التي حرمتك من الاستقرار العائلي لمدة 9سنوات، وحكمت عليك بالوحدة 9 سنوات كاملة من زهرة العمر.. وعلاقتك بها منذ البداية علاقة إذعان. تملي فيها إرادتها عليك وتستجيب أنت لها مهما كانت رغبتها مخالفة للشرع والعدل وحقوق الزوج.. بل وحقوق الأبناء أيضاً الذين حرمتهم بأنانيتها من صحبة أبيهم ورعايته وإشرافه 9 سنوات فأي هوان هذا؟ إن الحرص على الأبناء مسؤولية مشتركة بين الأبوين وليست مسؤولية طرف واحد.. وحرص طرف واحد عليهم إن لم يقابله حرص مماثل له من الطرف الآخر لا يعني إلا استسلام الطرف الأول لكل يمليه عليه هذا الطرف.

وهو على أية حال لا يبرر قبول المهانة الى هذا الحد.. ولا الرضا بمعاناة لهيب الجحيم كل يوم إلى حد بت تخشى فيه على نفسك كل لحظة من أي طعام أو شراب يقدم لك على حدة.. فتحتاج إلى أن يأكله غيرك أولا لتطمئن إلى سلامته.. فأي شيء في الحياة يبرر للإنسان أن يكابد جحيم الخوف كل يوم هكذا إلى جانب عذابك الآخر معها.. وهو لا يقل عنه إيلاما، بل وفضلا عن مهانة مطالبتها لك بالطلاق ومغادرة البيت كل لحظة.

استجب لرغبتها يا سيدي بلا تردد.. وليرع الله أولادك كما رعاك صغيرا، وكما يرعى كثيرين اختارت لهم الأمهات أو الآباء هذا المصير وضمهم اليك إذا أردت.. وتزوج من أخرى عسى أن يبدلك الله بهذه الكارهة من هي أفضل منها، ومن ترى فيك أملها وفخرها..

ومن تعوضك عما عانيته من آلام.. وكثيرات هن من لم تخل قلوبهن من الرحمة بالصغار.. لو أحسنت الاختيار وكن في ظروف مماثلة لظروفك.. أما الأبناء فلا لوم عليك في اضطرارك لقبول هذا الوضع لهم... فلقد أردت لهم ألا يكرروا مأساتك، لكن قصرت الإرادة عن تحقيق الأماني، ولسوف تعوضهم برعايتك وحنانك عما شاءت لهم إرادة الأم من مصير، ولسوف تدفع هي ثمن إهانتها وظلمها لك ولهم غاليا من مستقبل أيامها لأن ظلمنا للآخرين ديون تستأديها الحياة منا في أوقاتها.. فضلا عما نؤديه مضاعفا عنها يوم يكون الحساب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وخـــــز الـشـوك

أكتـب اليك وأنـا أواجه اختيارا صعبـا..
أحتاج معه إلى من يشير على بالرأي فيه.. فأنا يا سيدي شاب في الأربعين من عمري نشأت في أسرة عادية، وكان أبي موظفا حكوميا مكافحا ونقيم في حي الحلمية الجديدة، ثم التحقت بكلية الحقوق وخلال سنوات دراستي الجامعية كانت هناك في الحي فتاة جميلة مزهوة بنفسها تدرس بكلية التربية الرياضية، وكان معظم شباب الحي يعجبون بها ويرون فيها فتاة أحلامهم.. وكانت هي تتيه فخارا بذلك، ثم شاءت الظروف أن أتعرف عليها في بيتنا حين أصبحت صديقة لأختي وجاءت لزيارتها. وفي هذا اليوم تحدثت اليها لأول مرة فأعجبت بها وتمنيتها لنفسي، لكني لم أجسر على إعلان أمنيتي لكثرة المعجبين حولها. وتكررت الزيارات فوجدتها ذات يوم تفاتحني بأنها تجدني شابا مختلفا عن الذين يلاحقونها بالتنهدات ومحاولات التعرض لها.. وأنها تأمل أن تتزوج ذات يوم من شاب مهذب مثلي.. فانهارت مقاومتي واعترفت لها بأني أحبها، فسعدت بذلك وشجعتني، وأصبحنا نتلاقى من حين لآخر.. وقدمتني لزميلاتها بالكلية على أني خطيبها، وفاتحت أبي وأمي برغبتي في خطبتها فوافقا، بشرط أن أؤجل أي خطوات للزواج إلى ما بعد زواج شقيقتي الكبرى.. واصطحبت أسرتي ذات يوم إلى بيت أبيها الموظف الصغير بأحد الأندية الرياضية وقرأنا الفاتحة.. وتفرغت لامتحان الليسانس وكل أملي أن أحصل على تقدير عال يرشحني للعمل في القضاء لأن خطيبتي كانت تتمنى أن تتزوج من وكيل نيابة له هيبته!
وكافحت لتحقيق أمنيتها وحصلت على تقدير جيد.. لكن القدر لم يشأ لي أن أعمل بالقضاء، وعينت بوظيفة قانونية في إحدى الوزارات، وصدمت حبيبتي في ذلك، لكنها لم تتمسك طويلا بهذا الأمل، وبدأت أدخر معظم راتبي لتوفير متطلبات الزواج.. ورحت أعمل أعمالا إضافية لأكسب أكبر قدر ممكن من النقود، حتى أصبحت أعمل طوال ساعات اليوم. وكلما توفر لي مبلغ أعطيته لأبي ليكون جزءاً من المهر، وفي قمة انشغالي بذلك لاحظت على خطيبتي فتورا في علاقتها بي.. فسألتها عن سره فلم تفدني بشيء. وفسرته لنفسي بكثرة انشغالي عنها...
وقررت أن أكثر من فترات خروجنا معا.. فاعتذرت عن العمل الإضافي ذات يوم ودعوتها للخروج فوافقت بعد إلحاح مني، وكنا تذهب في نزهاتنا معا إلى كازينو صغير على النيل أمام مستشفى القصر العيني، ونجلس أمام مائدة تطل على فرع النهر، فاصطحبتها اليه. وجلسنا في نفس المكان وأنا أحس بأن ظلا ثقيلا يخيم على المكان وأحاول أن أطرد هواجسي.. فرحت أتحدث عما جمعت من المهر وعن خطوات الزواج المقبلة، فسألتني متى تستطيع أن تدبر المهر والشقة! فأجبتها أنني أستطيع أن أدفع المهر وأن نعقد قراننا

بعد شهرين أو ثلاثة.. وإنني أستطيع أن أجمع مبلغ خلو الرجل في فترة عامين أو ثلاثة فنتزوج على الفور، ففوجئت بها تقول لي أن الطريق طويل والعمر يجري.. ثم تختم هذه المقدمة الفلسفية بأنه من الأفضل لكل منا أن يبحث عن حياته في طريق آخر. وصدمت وحاولت أن أثنيها عن أفكارها هذه.. وترافعت مرافعة طويلة عن حبنا وشبابنا وحقنا في الحب والزواج، فلم تتحرك عن موقفها، وأصرت على أن نفترق على باب الكازينو، وأن يذهب كل منا إلى طريق مختلف وصافحتني بيد باردة وأعطتني ظهرها ومشت مبتعدة عني إلى الكوبري الصغير بجوار الكازينو، وأنا أرقبها وهي تبتعد وإحساس مؤلم بالقهر والعجز يملأ كياني، ثم انصرفت بعدها حزينا وعدت لبيتي، فأبلغت أسرتي بأن خطيبتي قد فسخت الخطبة لأني فقير ولا أستطيع تدبير متطلبات الزواج بالسرعة الكافية. وثارت أمي وبكت شقيقتي الكبرى من أجلي وحزن أبي وإخوتي الصغار وتحملت أقداري صابرا... وبعد أسابيع سمعت من أصدقائي في الحي أن فتاتي خطبت لشاب يأتي إلى بيتها في سيارة شيفروليه كبيرة، وأنها تخرج، سعيدة ومزهوة كعادتها. واكتشفت أن أسرتي تعرف الخبر وقد حجبته على حرصا على مشاعري.. وبعد أيام كنت واقفا على محطة الأتوبيس للذهاب الى عملي.. فاذا بخطيبتي السابقة تمر أمامي في سيارة خطيبها الجديد وهما يضحكان في سعادة.. والتقت عيوننا في لحظة خاطفة فإذا بها تنظر الى بثبات ثم تتحدث مع خطيبها فيلتفت وينظر الى من الخلف بعد أن غادرتني السيارة وفي عينيه نظرة تشفٍ غريبة تألمت لها وحدست أنها ربما قالت له أني خطيبها السابق أو أحد الذين تمنوا خطبتها، وجاء الأتوبيس فركبته. وشاء حظي أن يتكرر نفس المشهد في شارع محمد على المزدحم بالمرور وأن يمر الأتوبيس إلى جوار السيارة الفارهة فيراني الخطيب السعيد معلقا في سلم الأتوبيس وينظر الى نفس النظرة الغريبة.. بينما راحت فتاتي تتأملني بإمعان كأنما تقول لنفسها إنها لو ارتبطت بي لكان مصيرها التشعلق معي بالأتوبيس كما أفعل الآن. وأحسست بغصة جديدة في حلقي وتمنيت لهما السعادة.

ثم توالت الأنباء بعد ذلك فعرفت أنهما تزوجا وأقاما حفلا سعيدا في فندق كبير، وأنها انتقلت بعد تخرجها من الكلية إلى مدينة زوجها الساحلية، وتزوجت فيها، وعينت مدرسة بمدرسة ثانوية للبنات وانقطعت عني أخبارها 5 سنوات شفيت خلالها من حبها ومن آلامه النفسية. ثم رأيتها فجأة في شرفة بيتها القديم خيالا أو كالخيال وقد اختفى رونقها.. ولاحظت أنها مريضة.. فاذا بحبها القديم يتحرك في قلبي ووجدت نفسي أتلهف على معرفة أخبارها.. فسألت عنها شقيقتي وعرفت أنها عادت الى بيتها غضبى من زوجها منذ فترة. وأنها ذاقت معه الأمرين من أول أيام زواجهما بعد أن اكتشفت أنه مدمن للخمر، وأنه يشرب كل يوم حتى يفقد وعيه. ثم يضربها أو يطردها في الليل. وعرفت أنه عولج مرات من إدمان الخمر، لكنه ينتكس في كل مرة، وأن أهله قد

نفضوا يدهم منه وأبعدوه عن عملهم التجاري، ويخصصون لها مبلغا كل شهر يسلمونه لها لكي تنفق منه على طفليها وعلى نفسها. ويرفضون إعطاءه قرشا واحدا فيعتدي عليها ليأخذ منها النقود وتألمت لما سمعت، وعشت أياما وأنا حزين من أجلها. وتعمدت أن أمر أمام بيتها أكثر من مرة لأراها.. ثم استقر رأيي على قرار استجمعت إرادتي على أن أنفذه، فأسررت به إلى شقيقتي ورجوتها أن تنفذه بلا معارضة، وكلفتها بأن تذهب اليها وتبلغها باستعدادي للزواج منها ورعاية طفليها إذا رأت أن تطلق من زوجها الآن.. وذهبت شقيقتي اليها وفاتحتها فلم تجبها بلا أو بنعم. وأبدت رغبتها في أن تلقاني وتسمع مني ذ ذلك شخصيا وطلبت أن يكون اللقاء في مكان عملي لكيلا تجلس معي في مكان عام.

وجاءتني في العمل وروت لي ما تعانيه من زوجها.. ثم سألتني: أمازلت تحبني؟ فأجبتها بالإيجاب.. فسكتت ساهمة ثم ودعتني وانصرفت، وانتظرت قرارها على أحر من الجمر، وأرسلت اليها شقيقتي مرة أخرى، فعادت تقول لي أنها فكرت طويلا في الأمر وأنها ترى أن حملها ثقيل، وأني لن أستطيع تحمله.. لهذا فهي تعتذر وتشكرني.. وصدمت صدمتي الثانية فيها، وعادت بعدها بأيام إلى زوجها وعدت أنا إلى حياتي ويئست منها مرة أخرى.. فتزوجت من فتاة طيبة رشحتها لي أسرتي.. ووجدتها هادئة ومهذبة ومتطلعة للسعادة فرضيت بها ورضيت لي، وتزوجنا وأنجبنا طفلين وعشت معها حياة هادئة ليس فيها حرقة الحب.. ولا عذاب ولا معاناة ورضيت بذلك.. ورضيت على زوجتي وأدبها وحسن معاشرتها لي، وشغلت بطفلي وبمتاعبهما اللذيذة، وتحسنت أحوالي المالية بعض الشيء.. ثم فوجئت ذات يوم بجرس تليفون الترنك الطويل في مكتبي وبصوت فتاتي القديمة تقول لي أنها تحتاج إلى مشورتي القانونية في بعض أمورها، وأنها ستزورني في عملي بعد يومين، وانتظرتها باهتمام لا أنكره.. ثم جاءت فإذا بها ترتدي السواد وقد ازدادت نحولا وتجعدت بشرتها وظهرت بعض الشعيرات البيضاء في شعرها، وإن كان جمالها القديم مازال متوهجا.. وأبلغتني أن زوجها قد مات في حادث سيارة وهو مخمور.. وأنها تواجه بعض المتاعب القضائية بسبب التركة، وتحتاج إلى مساعدتي وطلبت مني أن أتولى أمورها مع المحامي الذي يباشرها.. وأبديت استعدادي وقدمت لها النصيحة المخلصة وسافرت. وبعد أيام طلبت مني أن أسافر اليها في مدينتها لإنهاء بعض الأمور فسافرت.. وعدت في نفس اليوم. وباشرت معها كل مشاكلها حتى انتهى معظمها وظفرت بنصيبها كاملا من التركة، فقامت بنقل أطفالها الذين أصبحوا ثلاثة الى مدارس القاهرة وعادت للإقامة في بيتهم القديم.. وطلبت مني البحث لها عن شقة مناسبة وأديت المهمة بأمانة وأشرفت على انتقالها للشقة الجديدة.

وتكرر اللقاء بيننا لمثل هذه الشئون إلى أن قالت لي فجأة: أمازلت تحبني؟.. فأطرقت برأسي ولم أجب.. فقالت في ارتياح: أنت مازلت تحبني.. أعرف

ذلك تماما.. فماذا تنتظر؟
وفهمت أنها تطالبني بأن أتزوجها.. وأعترف لك بأني اهتززت لهذه الفكرة رغم أنها لم تخطر لي، ووجدت نفسي أفكر فيها طويلا.. ولاحظت زوجتي انشغال فكرى وسهومي.. وحاولت أن تعرف ما يشغلني فلم أستطع البوح لها به.. وكان أكثر ما يشغلني هو أني لاحظت على فتاتي القديمة أنها قد أصبحت شديدة العصبية ودائمة التوتر بطريقة مرضية. وسألتها عن سر ذلك فصارحتني بأنها لا تنام بغير الأقراص المهدئة، وأنها تتناولها بانتظام. والتمست لها العذر فيما لقيته من عذاب مع زوجها. وبدأت أسأل نفسي لماذا لا أتزوجها فأحقق حلمي القديم، ويكون لي حق دخول مسكنها بلا حرج فأعوضها عن معاناتها.. وأعوض نفسي عن آلامي القديمة وأواصل حياتي الزوجية كما كانت.. وذات يوم سوف تعرف زوجتي.. وربما تلتمس لي العذر وتصفح على ونستمر في حياتنا الهادئة كالماء الفاتر.. واسترحت إلى هذا الخاطر أو قل إني سوغته لنفسي لأنه أرضائي، وطرحت الفكرة عليها فإذا بها تفاجئني بثورة عصبية شديدة وتطلب مني أن أطلق زوجتي قبل كل شيء.. وحاولت مناقشتها فإذا بها تسد كل أبواب المناقشة بعصبية شديدة.. وتقول لي أنها لم تتزوج من قبل وأن زوجها كانت يبيت بالأيام بعيدا عن بيته. وأنها لا تريد زوجا لنصف الوقت.. وإنما تريد زوجا كاملا.. ثم تصرخ بهستيرية وها قد جاءتك الفرصة التي تنتظرها منذ 15 عاما فماذا تنتظر.. وماذا تمثل زوجتك في حياتك؟.. فلفت نظرها إلى أطفالي الذين أصبحوا ثلاثة صاحت بعصبية أشد: وهل مات أبوهم كما مات أبو أطفالي؟.. سترعاهم وسيتربون كما سيتربى أطفالي بعد موت أبيهم؟.. ووجدت أنه لا فائدة من المناقشة فتوقفت وانصرفت.. وراجعت نفسي في تفكيري وقررت أن أصرف النظر عن الموضوع كله.. لكنها لم ترحمني يا سيدي فكلما بدا لها أني أتماثل للشفاء تقفز إلى حياتي مرة أخرى وتسألني ماذا تنتظر؟ ستضيع حياتك مرة أخرى وحياتي.. فأعود للتفكير في أمرها ثم أنظر إلى زوجتي الراضية بحياتها.. والمستسلمة لأقدارها.. والطيبة دائما والتي لا أعاني معها أية انفعالات حادة لا بالحب ولا بالغضب أو بالكراهية فألوم نفسي على انقيادي لأفكاري...
ثم بلغت المشكلة ذروتها حين فوجئت برجل طويل عريض فخم يدخل الى مكتبي ويقدم نفسه لي كرجل أعمال ويقول لي أنه يريد أن يتقدم لخطبة فلانة هانم.. وأنه تحدث اليها فطلبت منه أن يلتقي في قبل أن تبدي رأيها لأني «ابن خالتها»، وأتولى شئونها وتحترم رأيي.. وسوف تسترشد برأيي الحكيم في قرارها.. وانتهى اللقاء العصيب وأدركت أنها شوكة جديدة منها لكي أحزم أمري وأتصرف معها. فماذا أفعل يا سيدي.. هل أستجيب لشرطها القاسي وأحقق معها حلمي القديم.. أم أواصل حياتي كما هي بلا مشاكل.. بماذا تشير على؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـب هـذه الرسالـة أقـول:

أشير عليك يا صديقي بالرأي الوحيد الجائز في مثل ظروفك فأقول لك بلا تردد.. لا تبحث عن المتاعب وارض بحياتك المستقرة الهادئة التي قد تراها أحيانا خالية حقا من حدة العواطف.. لكنها بالتأكيد خالية أيضاً من حدة العواصف والبراكين التي ستقيم عشك في مهبها وتحت فوهتها إذا استسلمت لرغبة فتاتك المدمرة... وهدمت أسرتك وشردت أبناءك من أجلها.. فمعها قد تنعم ببعض العواطف اللاذعة التي تفتقدها في حياتك الهادئة، لكن المؤكد أيضاً أن براكينها المتقلبة سوف تصب عليك من حممها من حين إلى آخر ما ينسيك كل ما لقيته معها من فترات النعيم العابرة.

فهذا هو الحال مع طبيعة فتاتك البركانية التي لن تسمح لك أبدا بأن تحيا معها في هدوء وإنما ستكون حياتك معها دائما كحياة بعض من ابتلوا بمثيلاتها.. فترات قصيرة لاذعة المتعة وفترات طويلة لاذعة الشقاء والتعاسة ولا وسط بين الاثنين.. ولا هدوء ولا أمن ولا سلام، وإنما تقلبات متوالية بين السعادة والشقاء تتعاقب عليك كما يتعاقب الليل والنهار.

كل ذلك ولم أتحدث بعد عن زوجتك التي رضيت بك ورضيت بها وعاشرتك فأحسنت عشرتك وربطت بينك وبينها الأيام وذكريات الحياة المشتركة.. بل ولم أتحدث بعد عن أبنائك الذين تطالبك فتاتك بقسوة لا إنسانية بأن تدمر حياتهم بحجة أنهم ليسوا أفضل من أبنائها الذين رحل عن الدنيا أبوهم.. كأنك أنت المسؤول عن ذلك أو كأن أطفالك المسئولون عن رحيل زوجها.

إنني أقول لك إن مجرد زواجك منها حتى لو رضيت هي بالإبقاء على زوجتك وأولادك ظلم لهم جميعا لا يستحقونه منك.. ولا ترضى به طبيعة إنسان عادل شهم مثلك.. وما أظنك تقبل لهم أن يدفعوا هم ثمن طموح فتاتك وأنانيتها التي دفعتها للتخلي عن أحلامكما وأنتما في سن الشباب.

أما تفكيرك في الاستجابة لطلبها والتضحية بزوجتك وأطفالك إرضاء لها، فهو ليس ظلما لهم فقط.. وإنما هو جريمة أربأ بك أن تأثم بمجرد التفكير فيها.. كما أنه دليل جديد على أن فتاتك مازالت كعهدها شديدة الأنانية.. وشديدة الذاتية.. وشديدة الخيلاء رغم ما توالى عليها من خطوب لقد رفضتك وأنت شاب في سن.. الأحلام.. بسبب تطلعها إلى حياة أفضل.. ورفضتك وأنت تعرض عليها بشهامة أن تخلصها من معاناتها مع زوجها رغم ما في ذلك من تضحية من جانبك، وتمسكت بمعاناتها ربما أملا في ألا تخرج من عناء حياتها بلا عائد مادي يعوضها عنه.. أو ربما حرصا على صالح أبنائها وطلبا لحقوقهم ولا بأس في ذلك، ولكن لماذا إذن تنكر عليك حقك في أن ترجح مصلحة أبنائك وزوجتك ولماذا تطالبك بهذه التضحية القاسية كأنك أنت من صنع مأساتها وليست هي.. بل ولماذا تعود لاقتحام حياتك مرة أخرى من الأصل..

وقد شق كل منكما حياته في طريق آخر كما طلبت هي منك في لقاء الكازينو المأساوي وكما فعلت حين كانت تمر بك في سيارة خطيبها الفارهة وأنت متعلق بسيارة الأتوبيس وتنظر اليك بثبات!
يا صديقي لا تلق بنفسك في الجحيم.. واطو هذه الصفحة بأكملها من حياتك.. وانظر الى زوجتك بعين مختلفة.. وسوف تكتشف أن الأيام قد نسجت بينكما خيوطا حريرية متشابكة قد تبدو لك واهنة لكنها في الواقع كثيفة وقوية وناعمة وفى منتهى الصلابة.. وقد اكتسبت قوتها من نسيج السنين والألفة والعشرة الطيبة وعشرات الأشياء الصغيرة التي قد لا تبدو واضحة للعين المجردة.
فكل ما يدور في خاطرك الآن هو من تأثير عودة الأخرى الى مجالك من جديد.. وإصرارها على أن تخزك بوخزات الشوك كل حين، لكي يظل اللهيب داخلك مستعرا.. فاحتم بعشك وسعادتك وزوجتك الطيبة وأبنائك من هذا الوخز المستمر.. ودعها لحياتها كما تركتك لحياتك من قبل.. ولتتزوج هي ممن تشاء وخطابها كثيرون.. أو فلتتفرغ لرعاية أطفالها كما تفعل كثيرات.. فلقد فات الأوان لإصلاح الأخطاء.. واستقر النهر في مجراه وأصبح من المستحيل أن يغيره بغير كوارث عديدة أنت في غنى عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الانتـقـام

أرجو أن أستنيـر برأيـك فـي مشكلتـي. فلقد نشأت في أسرة مرموقة اجتماعيا وأمضيت سنوات طفولتي وصباي سعيدة بين أبوين متحابين وإخوة متعاطفين.. وواصلت دراستي بتفوق إلى أن التحقت بكلية عملية.. وهناك رآني مدرس بالكلية وتقدم لخطبتي.. ومضت أيام التعارف الأولى بسلام، رغم أني لاحظت عليه أنه كتوم يخفي أتفه الأمور ويراها ميزة من مميزاته.. ثم تمت الخطبة والزواج وعشت معه بكل الإخلاص والتفاني.. ورزقنا الله ببنتين وولد، ثم مضت السنوات وتوفي أبي، وكان زوجي يقدره ويعمل له ألف حساب، فبدأت ألاحظ على زوجي علامات مريبة أسأله عنها فيراوغ ويستخدم ذكاءه في إقناعي بأن ما أتصوره مجرد أوهام.. ثم بدأت أسفاره تكثر وبدأت الأعذار تتوالى للتأخر في السفر أسبوعا بعد أسبوع.. وواجهته أكثر من مرة بظنوني، فكان ينكرها ويتهمني بسوء الظن فأسكت وأنا أحترق.. إلى أن جاء يوم ترك فيه البيت ليصلي مرتديا الشبشب الجلدي، لأن المسجد قريب فمضت ساعة وإذا بسيدة تتصل بنا تليفونيا وتقول لنا أنه عندها في البيت.. وأنه مريض وتدعونا للحضور لاصطحابه إلى المستشفى.. وأسرعنا إلى العنوان الذي أعطته لنا.. وكان قريبا من بيتنا، ونقلناه للمستشفى وهو في حالة غيبوبة ويعاني من نزيف في المخ.. واكتشفنا أن السيدة التي اتصلت بنا هي زوجته عرفيا.. وأن زوجي أدى الصلاة ثم قاد سيارته بالشبشب إلى مسكنها القريب.. ورغم الكارثة التي كنا فيها فلقد تمنيت أن يفيق من غيبوبته ولو للحظة واحدة لأسأله كيف سمح له ضميره بأن يفعل في هذا.. وكيف استطاع أن يعيش معي تحت سقف واحد وهو يخدعني.. ولماذا لم يتحمل من أجل أولاده الذين يحبهم ولا يطيق أن يمسهم شيء.. ولكنه لم يفق.. وانتقل إلى رحمة الله.. ولست أدري هل كنت حزينة عليه أم على نفسي، وقد تفضلت «الأخرى» بالحضور للعزاء.. ومن حقها أن تفعل.. فلقد عاشت في الظل وآن لها أن تشهر زواجها ولو بعد فوات الأوان.. ولن تجد فرصة أفضل من هذا التجمع مع الأهل والأقارب والمعارف في أيام العزاء.. وفي وسط هذا الإحساس المتناقض الذي يتفاعل داخلي وأنا جالسة وسط المعزيات، قررت أن أتزوج! وبأسرع ما يمكن! وعلى أن تكون العصمة بيدي!

وتقدم لي أرمل من الأصدقاء توسمت فيه الطيبة والتدين ووافق على شرطي.. واستخرت الله وقبلت الخطبة، فإذا بأولادي الذين كبروا وأصبحوا في الجامعة وتزوجت منهم ابنتي منذ عامين، يرفضون زواجي ويثورون ثورة عارمة.. لماذا هل أنا مطالبة بالوفاء لذكرى من خدعني ولم يحترم وجودي وأنا حية أرزق الى جواره؟

ثم رفض أبناء «الآخر»، للأسف زواجه مني، وثاروا وهددوه بقتلي إن فعل رغم أنهم كلهم متزوجون ويعملون خارج مصر فهل هذا عدل؟ وهل من حق أحد أن يطالبني بالوفاء لمن لم يكن وفياً لي؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ربما لا يكون من حق أحد أن يطالبك بالوفاء لمن لم يكن وفيا لك.. لكن من حق أبنائك بكل تأكيد أن يطالبوك بمراعاة الاعتبارات الاجتماعية والعائلية العديدة التي تفرض عليك أن تتريثي لفترة معتدلة قبل التفكير في الزواج بعد أبيهم، فليس هكذا تتصرف من تحرص على مشاعر أبنائها الكبار وعلى الشكل الاجتماعي والعائلي العام للأسرة.. وليس هكذا تفعل أشد الزوجات ضيقا بعشرة أزواجهن الراحلين.

إن من حقك الزواج بعد رحيل زوجك سواء كان وفيا لك أم لم يكن.. ورأبي دائما هو أن المرأة إذا آنست في نفسها الرغبة في الزواج بعد رحيل زوجها، ولم يتعارض ذلك مع واجباتها والتزاماتها تجاه أبنائها.. فإن الزواج يكون دائما أكرم لها وأصون لحرماتها.

لكن ذلك لا يعطيك أبدا الحق في أن «تُصفي»، علي زواجك هذا الشكل الانتقامي الذي يسيء إلى ذكرى زوجك وإلى كرامة أبنائك واليك أنت قبل الجميع.. ولا تفسير لهذه الرغبة المتعجلة عندي سوى أنه يخيل الى أنه لم تربطك بزوجك الراحل علاقة حب من جانبك طوال رحلة زواجكما، لأن من أحبت زوجها ذات يوم وحتى ولو اكتشفت غدره فيما بعد، لا يكون كل ما تتمناه وهو بين الحياة والموت أن يفيق من غيبوبته لحظة لكي تحاسبه حساب الملكين عن زواجه سرا بأخرى. وإنما يكون دعاؤها وأمنيتها في هذه اللحظات العصبية بأن يحفظه الله وأن يعيده سالماً الى بيته وأبنائه وليكن بعد ذلك ما يكون، كذلك فإن من أحبت زوجها ذات يوم لا تقرر أن تتزوج بعده وهي جالسة تتلقى العزاء فيه.. ولا تسارع إلى بحث الارتباط بآخر ولما تمض شهور على رحيل زوجها الذي عاشرته رحلة العمر.

تسألين عن العدل.. أقول لك أنه من العدل أيضا ألا يغفل الإنسان كل الاعتبارات التي تتعلق بالآخرين حين يفكر في أمر يخصه.. وأنه من العدل أيضاً ألا يكون مشغولا سوى بنفسه فقط! وينسى كل شي آخر! هذا هو العدل إن أردته حقا وصدقا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الحـلـم الـغـامـض

أرجو أن تقـرأ رسالتـي هـذه وأن تهتم بالرد عليها لأني أكتبها اليك بدموعي، فأنا يا سيدي سيدة في السابعة والثلاثين من عمري. وقد بدأت قصتي منذ سنوات طويلة حين كنت طالبة بالمعهد العالي للتمريض، وأحببت مهندسا شابا يكبرني بخمسة عشر عاما.. وارتبطت به نهائيا، وقررت ألا أكون لغيره. لكن لأن حبيبي من هؤلاء الأشخاص العقلاء جدا جدا الذين يفكرون في كل قرار ألف مرة قبل اتخاذه، فقد تأخر قرار زواجنا عشر سنوات كاملة. وتمت الخطبة وكنت قد تخرجت وسافرت وحيدة للعمل بإحدى الدول العربية 4 سنوات اشتريت خلالها كل ما ترغب فيه فتاة للزواج، وعدت لمن اختاره قلبي، ففاجأني بأنه قد أجرى بعض التحليلات وتبين له أنه لا ينجب ودارت بي الدنيا حين علمت بذلك لأني منذ صغري شديدة التعلق بالأطفال وشديدة اللهفة عليهم. وبعد تفكير طويل ومعاناة استسلمت لإرادة الله وتزوجنا وعشنا في سعادة بالغة، ووجدت في حياتي معه كل ما تمنيته في زوجي، فهو متدين وعاقل ومهذب، وطوال هذه السنين كان الأمل في إنجاب طفل يراودني من حين إلى آخر كحلم غامض لا أعرف تفاصيله ولا كيف يمكن أن يتحقق.

وقادني هذا الأمل الغامض الى دفع زوجي لمواصلة إجراء التحليلات له ولي أيضاً، على أمل أن يأذن الله بالشفاء ونتوج سعادتنا بطفل جميل.. وفى سبيل هذا الحلم سافرنا إلى أمريكا حيث يقيم أخي، وعرضنا نفسينا على أكبر الأطباء وأجرينا عشرات الفحوص والتحليلات.. فإذا بالأطباء هناك يفاجئونني بحقيقة مذهلة هي أني لا يمكن أن أنجب – أنا وليس هو كما كان الحال في البداية – وبأني أعاني مما يطلق عليه سن اليأس المبكر الذي يأتي لمن كانت في مثل حالتي النادرة في سن الثلاثين من عمرها.. ويعني ذلك استحالة الإنجاب إلا بمعجزة من الله سبحانه وتعالى.. فقررت أن أتحمل قدري وأن أشغل نفسي عن التفكير في الأطفال بالمشاركة في النشاطات الاجتماعية، فذهبت إلى أكثر من جمعية خيرية وتبرعت بنقود وملابس للأطفال اليتامى.. لكن كل ذلك لم يشبع حنيني إلى أن يكون لي طفل صغير يناديني «ماما «

أما زوجي الحبيب فلأن أباه قد توفي وهو مازال طالبا بالجامعة وترك له 6 أشقاء كان أكبرهم وقتها في الخامسة عشرة من عمره وأصغرهم جنينا في بطن أمه، فلقد مارس إحساس الأبوة معهم حتى شبع منه وزهد فيه فعرف مشاكل المدارس والمصاريف وكل شيء.. وكان الأب والأخ الأكبر لأخوته حتى تعلموا وتخرجوا جميعا. وأصبح أصغرهم – الذي لم يعرف له منذ ولادته أبا سوى شقيقه الأكبر ونشأ يناديه «بابا» - مهندسا زراعيا، لهذا فقد أحس زوجي بعد تخرج أصغر إخوته أنه قد أدى رسالته في رعاية إخوته وآن له أن

يهدأ ويستريح.. واتجه إلى الله وأدى فريضة الحج، ومن رحمة ربي أنه لا يفكر في الأطفال.. بل ويخيل الى أنه يحمد الله في أعماقه على أنه لم ينجب.
لكن الحلم الغامض لم يفارقني أبدا يا سيدي فظل يراودني من حين إلى آخر. وبعد بحث جاد علمت أن هناك أماكن للقطاء واليتامى. وأني أستطيع أن أتبنى طفلا منهم.. فتعلق أملي في إشباع أمومتي بحضانة طفل من هؤلاء الأطفال. ولأني أعرف أن التبني حرام، فقد ذهبت إلى إحدي دور هؤلاء اللقطاء وقابلت المسؤولين فيها، وعرفت منهم أني أستطيع أن أحتضن طفلا على أن يظل محتفظا باسمه المستعار الممنوح له في الدار.. ثم اصطحبني المسؤول بعد الحديث لرؤيتهم فوقفت مذهولة وأنا أرى حولي كل هذه البراعم الجميلة وكل هذه البراءة التي لا تعرف من أين جاءت ولا إلى أين ستذهب.. فانفجر في داخلي ينبوع عذب من الحب والحنان واللهفة على هؤلاء الأطفال وخرجت وأنا لا أرى الطريق.. وكدت اصطدم بسيارتي أكثر من مرة.. لأني لا أرى الطريق من وراء غلالة الدموع التي تغطي عيني وتنهمر بغزارة على فستاني.. ودخلت بيتي وأنا لا أتخيل لنفسي حياة بغير طفل من هؤلاء الأطفال.. وأتخيل ما سوف يحدثه من تغييرات في بيتنا الصامت والحياة التي سوف تدب فيه. والعناء اللذيذ الذي سوف أتحمله سعيدة في إعداد طعامه ونظافته وملابسه وألعابه وكيف سأربيه.. وكيف سأعلمه دينه وآداب - التعامل وكيف سأشكو من متاعبه لصديقاتي وقلبي يزغرد سرا فرحا بها.. فإذا بزوجي العاقل الذي يحكم العقل في كل شيء يرفض الفكرة من أساسها. ويبرر الرفض بأن التبني حرام، مع أني سألتزم بما يقضى به ديني في ذلك، وبأنه بعد أعوام قليلة سوف يصل إلى سن الستين وسيحتاج إلى كل رعايتي وحبي وحناني، وأن هذا الطفل سوف يأخذني منه مع أني والله العظيم سيدة بيت ممتازة وأستطيع أن أجمع بين رعاية طفل ورعاية زوجي بغير أن أقصر في حق شريك حياتي.. أما آخر مبرراته فهو أن هذا الطفل سوف يتعقد حين يكبر ويخرج إلى الحياة ويعرف أنه ليس ابننا.
إنني أعمل براتب كبير ولي سيارة وشقة بها كل ما يحتاج اليه الأطفال.. واسألك هل يتعقد الطفل إذا نشأ في أحضان أسرة وبين أبوين بديلين يحبانه ويرعيان مصالحه. أم إذا ترك لمصيره ونشأ في ملجأ للأيتام.. وأي مستقبل أفضل ينتظره.. في أحضاننا.. أم في هذا الملجأ؟.. إنني لا أجادل في تحريم التبني.. لكن أسأل ماهي حكمته.. وأنا أعرف أن الدين لا يحرم عملا سيكون من شأنه أن يحقق خيرا لطفل محروم وينقذه من مصير أسود في المستقبل.
إنني الآن يا سيدي أحيا بلا أمل ولا هدف.. وأرضى بحكم ربي وبحرماني من الإنجاب.. لكني أتعذب وأنا أرى هؤلاء الأطفال الصغار الأبرياء.. وأعرف أني أستطيع أن أرعى أحدهم أو إحداهن.. ثم لا أفعل لأن زوجي لا يريد.. أو لأن هناك شبهة في تحريم ذلك.. اليس من حقي أن أعطي ما بداخلي لرضيع لا

ذنب له في وجوده في ملجأ للأيتام واللقطاء.. أو ليس اسم زوجي واسمي أفضل له من الاسم المستعار الممنوح له في دار الأيتام؟ -

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

رعاية طفل محروم مع عدم ادعائه أي عدم نسبته إلينا في الأوراق الرسمية حتى ولو كان لقيطا، أمر يدعو اليه الدين ويشجع عليه، أما حكمة تحريم إدعائه فهي معروفة، ولا مجال هنا لاسترجاعها كاملة، لكن أبسط أسبابها أن ادعاء غير أبناء الظهور والبطون يجعل منهم محارم لمن ليسوا محارم لهم في الحقيقة، وحلائل لمن يمكن أن يكونوا محارم لهم في الحقيقة.. مما يحل حراما ويحرم حلالا. فينسبه لك مثلا يصبح مخرما لك ولشقيقاتك ولشقيقات زوجك، في حين أنه في الحقيقة ليس محرما لكن جميعا، وأنتن جميعا تحللن له في أي مرحلة من العمر. وفي نفس الوقت فإن إدعائه لك يجعله حلالا لمن يمكن أن تكون أخته أو خالته أو عمته اعتمادا على نسبته إليكما وهو في الواقع محرم عليهن جميعا وهكذا.. فضلا عن أنه يؤدي إلى اختلاط الأنساب وحرمان من لهم حقوق شرعية في الميراث مما يوغر صدورهم عليه ويحفزهم ضده.. إلخ. وتجنبا لكل هذه المحاذير فلقد أمرنا الله بأن ندعوهم لآبائهم.. فإن لم نعلمهم فأولياؤنا وربائبنا وأبناؤنا بالتربية والرعاية والفضل.. ولا أطيل في هذه النقطة لأنها معلومة ومعروفة.. ويبقى بعد ذلك أن أقول لك أن من حقك أن تشبعي أمومتك في رعاية طفل محروم بغير نسبته لك ولزوجك، ومن واجب زوجك العاقل المنصف ألا يتجاهل احتياجك الإنساني هذا.. ولعل الأنسب لك هو أن تحتضني طفلة صغيرة تبعث في حياتكما أنغاما سعيدة جميلة، وتجعل لحياتكما قيمة وهدفا ومعنى.. ولا شك أن زوجك لن يعارض طويلا في أن يحقق لك هذه الرغبة الإنسانية خاصة إذا حاول أن يكون بعيد النظر وهو العاقل الأريب دائما..

فيرى ماذا يمكن أن تصنعه هذه الطفلة في حياتكما بعد رحلة السنين، وحين تخلدان إلي وحدتكما وتحتاجان إلى من لا تشغله عنكما مشاغل الحياة.. وإلى من يهتم بأمركما وتهتمان بأمره.. ومن يجدد اهتمامكما بالحياة والمستقبل.. فالإنسان يا سيدتي يحتاج دائما إلى من يعتمدون عليه في حياتهم تماما كما يحتاجون هم اليه.. وكلما اتسعت دائرة من يتطلعون إلينا أحسسنا بأن حياتنا لها قيمة ومعنى، وبأننا نعيش لأكثر من طعامنا وشرابنا.. فلماذا يريد زوجك ألا يكون لحياته معنى سوى عنده وعندك فقط ولماذا يريد أن يحكم على نفسه بالحبس الانفرادي في شيخوخته، وفي مقدوره أن ينجو منه بإرادته الخيرة.. إن الشجرة المثمرة لا تشكو الوحدة أبدا لأن هناك من ينتظرون ثمارها ويستظلون بظلها.. أما الشجرة الجرداء فمن ذا الذي يستظل بظلها.. وهي لا ظل لها أصلا! وأصحاب القلوب الحكيمة ممن حرموا من الإنجاب يعوضون ما

حرموا منه برعاية أبناء إخوتهم وأقاربهم.. وأبناء الضعفاء من حولهم.. ويهتمون بتوسيع دائرة ظلهم على من حولهم.. فإن لم يكتفوا بذلك فعلوا ما تفكرين فيه وتحملوا مسؤولية رعاية طفل أو أطفال محرومين.. فأفادوا هؤلاء المحرومين وأفادوا أنفسهم وأفادوا الحياة.. وهناك من يفضلون التكفل برعاية طفل مع بقائه في قرية الأطفال أو الملجأ والاهتمام بأمره وزيارته في مواعيد دورية وممارسة مسؤولية الأبوة معه في اتخاذ القرارات التي تحدد مستقبله في الدراسة والعمل، باعتباره راعية والمسؤول عنه، ولا جدال في أن ما ينتظر طفلاً ينشأ في رعاية أبوين بديلين مثلكما أفضل بكثير مما ينتظره إذا شب في ملجأ للأيتام، ولا محل للجدال في هذه النقطة.. ولا شك في أن ابنة بديلة لكما سوف تلبي لكما معا احتياجات إنسانية عميقة في الحاضر والمستقبل.. وسوف تتواصلان مع الحياة فيها وفي أبنائها حين تزوجانها بإذن الله وتسعدان معا بأحفادكما منها.

فكيف إذن يرضى لك زوجك المحب المتدين بأن تتلهفي شوقا إلى طفل محروم وفي استطاعته واستطاعتك تحقيق هذه الرغبة بغير مخالفة تعاليم ديننا.. إنني لا أتصوره يرفض الفكرة في الحقيقة كما يبدو لك، وإنما أتصوره كعادته في إطالة التفكير ألف مرة في كل الأمور. يقلّب الأمر على جميع جوانبه في داخله قبل أن يعلن قراره بالموافقة.. وكل رجائي له ألا يحتاج إلى 10 سنوات أخرى قبل أن يحزم أمره ويعلن قراره كما فعل من قبل في قرار الزواج.. وشكرا له مقدما!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المشهـد القـديم!

ترددت أكـثـر مـن مـرة فــي الكـتـابـة اليك لكن قراءتي لرسالتيّ «الحجرات الخالية»، و«زهور الحياة»، اللتين تتحدث فيهما سيدتان عن ذكرياتهما مع زوجيهما الراحلين، قد شجعتني على أن أروي لك قصتي، فمنذ سنوات كنت طالبة بكلية الهندسة وكنت كبرى إخوتي ومن أسرة ميسورة الحال.. فأقبلت على دراستي بحماس.. وفي السنة الأخيرة لفت نظري زميل لي شاب أسمر طويل أنيق طيب الخلق عذب الحديث.. لاحظت اهتمامه فيّ وقبيل أدائنا امتحان البكالوريوس فاتحني برغبته في الارتباط بي.. وقال لي أنه من أسرة بسيطة، فوعدته بعرض الأمر على أسرتي، وفاتحت أمي قبل الإمتحان بأيام وعرضت عليها الموضوع بأمانة فعارضت بشدة في ارتباطي به بسبب ظروفه، لكنها وجدتني أميل اليه.. فلم تصمد في معارضتها طويلا وأعلنت موافقتها. وتقدمنا للامتحان معاً سعيدين بما توصلنا اليه، ونجحنا معا وتقدم لأسرتي يخطبني.. واشترطت أمي ألا تطول الخطبة وأن يتم الزواج بغير إبطاء، وكان ذلك صعبا عليه لظروفه.. فساعدتنا أمي على الزواج بمالها. وتزوجنا في شقة صغيرة يمتلكها بحي شعبي.. ومضت أيامنا كلها سعادة وحب وتفاهم.. وعملت أنا وزوجي بكل طاقتنا لبناء حياتنا، وبعد عام من زواجنا رزقنا الله بطفلة جميلة أنستنا كل ما نعانيه من مشقة في كفاحنا بضحكاتها ومداعباتها.. ومضت حياتنا جميلة ناعمة.. وفي كل شهر نضيف إلى عشنا الصغير جهازاً كهربائيا نحتاج اليه، أو قطعة أثاث تنقصنا، وأنا أعمل بجد وزوجي يعمل بكفاح مستميت وليالينا كلها مبهجة وصفاء وسرور مع ابنتنا الصغيرة.. وأثر الكفاح على زوجي سريعا فبدأ لون وجهه في الشحوب، وأشفقت عليه مما يتكبده من عناء لإسعادنا، وطالبته بأن يريح نفسه قليلاً وبألا ينسى أن لجسده عليه حقا.. فكان يعدني بذلك ثم يعود إلى دورة الشقاء مرة أخرى.. ويزداد لونه شحوبا، وخشيت عليه من الإرهاق المستمر، فطالبته بأن يعرض نفسه على الطبيب فوعدني ولم يفعل.. وألححت كثيرا حتى استجاب لإلحاحي الدائم، وذهب إلى الطبيب وغاب عنده ساعتين ثم عاد ساهما واجما.. وسألته عما به فأجابني بأن الطبيب قد طمأنه إلى أن الأمر لا يعدو الإرهاق بسبب كثرة العمل، وأنه في حاجة للراحة لعدة أيام.. واطمأن قلبي لكني لاحظت عليه بعد ذلك أنه أصبح كثير الصمت وضبطته أكثر من مرة ينظر الى نظرات طويلة وعيناه ممتلئتان بالدموع، فإذا سألته عما به تضاحك وحاول أن يضحكني، فبدأ القلق يساورني بشدة لأنه، من ذلك النوع النادر من الناس الذين يشركون الآخرين في أفراحهم ويستأثرون بأحزانهم لأنفسهم.. فكان يشركني معه في أفراحه ويحجب عني دائما آلامه لرقة إحساسه ولرغبته الكامنة في إسعادي.. ثم زاد قلقي عليه حين لاحظت أنه أصبح يتردد بانتظام على الطبيب محاولا إخفاء ذلك عني وصحته تزداد

تدهورا، فقررت أن أعرف حقيقة الأمر. وانتظرت ذات يوم إلى أن خرج الى موعد الطبيب وتتبعته بغير أن يراني لأعرف اسم الطبيب الذي يتردد عليه.. ورأيته يدخل عيادته، فعدت من فوري.. وفي اليوم التالي خرجت من عملي إلى عيادة هذا الطبيب وطلبت مقابلته وقدمت له نفسي ورجوته أن يخبرني بحقيقة مرض زوجي فرفض بإصرار وانصرفت محطمة.. لكني عدت له بعد ذلك أكثر من مرة وألححت عليه باكية أن ينقذني من عذابي وأن يمكنني من مساعدة زوجي الذي يجنبني مشاركته في آلامه، فتردد قليلا ثم صارحني بأنه مريض بمرض يصعب علاجه.. وأن الأمل الوحيد في شفائه هو معجزة إلهية. فكدت أسقط على الأرض وتحاملت على نفسي وعدت إلى بيتي وأنا لا أرى الطريق.. وعشت مع زوجي ألاحظ شروده واستغراقه في التفكير ولا أستطيع أن أحدثه عن مرضه.. وبعد شهور قليلة غاب عني زوجي الحبيب إلى الأبد.. وتركني مع ابنتي وحيدتين في بحر الحياة. وواجهت أقداري وعشت مع ابنتي الوحيدة في بيتنا الصغير الذي رفرفت عليه السعادة 8 سنوات كانت هي أجمل سنوات العمر.. وذكريات زوجي العزيز تعايشني في وحدتي وفي خيالي دائما، ومضت السنوات بخيرها وشرها وكبرت ابنتي والتحقت بكلية العلوم، وانتقلت في دراستها من سنة الى أخرى بنجاح وأنا أرقبها بفخر وأرى فيها صورتي وأنا شابة في مثل سنها وكلي إقبال على الحياة وبراءة في المشاعر، حتى بلغت مرحلة البكالوريوس هذا العام، ثم اقترب الإمتحان وفوجئت بها تعود الى قبل موعده بأيام وتفاتحني بأن أحد زملائها يرغب في الارتباط بها، وأنها تميل اليه وتطلب موافقتي لكي يتقدم لخطبتها بعد نجاحهما معا في البكالوريوس.. فإذا بي أغيب عن الحاضر بغتة وأرى نفسي في مثل موقفها.. وفي نفس الموعد قبل امتحان البكالوريوس بأيام وأنا أحدث أمي بنفس الحديث.. ونفس الكلمات وبنفس الرغبة في الحصول على موافقتها قبل أن تنتهي الدراسة ويفترق الزملاء وتفارق بينهم الحياة، ووجدت نفسي عاجزة عن أن أجيبها برأي وأرجوها إمهالي فترة للتفكير ووجدتني وأنا في الخمسين من عمري أمام نفس القصة ونفس المشهد. وكل ما في أعماقي يطالبني بالرفض خوفا من أن تكون نفس البداية لنفس قصتي فتشرب من نفس الكأس التي شربت منها، وتواجه الحياة وحيدة بعد سنوات معدودة من السعادة ومازلت أفكر.. وأتمنى أن أقوى على الرفض، لكني أخشى أن أعلن رفضي النهائي فأحطم بذلك قلبها وأحرمها من سعادتها ولو لسنوات قليلة من العمر.. إنني حائرة. وتائهة فماذا افعل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ليس في قانون الحياة يا سيدتي ما يفيد أن الحظ ينتقل بعوامل الوراثة من الآباء والأمهات إلى الأبناء، ولو تكررت المصادفة مائة مرة فإنها لا تصنع قانونا

يؤكد توارثه. وحيرتك واضطرابك أمام رغبة ابنتك المشروعة في الارتباط بمن تميل اليه لا يمكن تفسيرهما بهذا الخوف عليها وحده من أن تتكرر نفس القصة، وإنما هو في ظني يختلط عندك بعوامل أخرى متشابكة قد يكون منها أن قصتك مع الزواج قد تشابهت بشكل أو بآخر مع قصة أمك معه لأنك لم تشيري لأي دور لأبيك في زواجك وحياتك، ولو صح ذلك فإنه لا يكفي أيضاً دليلا على صحة مخاوفك أو على معقوليتها.. فنحن نعيش حياتنا ونحن نعرف جيدا أن الله قد يستردها منا في أية لحظة، ولا يمنعنا ذلك من أن نحيا ونعمل ونقبل على الحياة ونحلم بالغد ونطمع دائما في رحمة الله.
وربما يكون من هذه العوامل أيضاً أنك قد أفقت فجأة على الحقيقة التي تهزنا حين نكتشف بغير مقدمات أن دورة الأيام قد دارت، وأن صغارنا قد كبروا وأوشكوا على أن يكرروا قصة الحياة الأبدية فتشابكت عندك مشاعر الخوف من الوحدة الوشيكة مع قرب انفصال ابنتك عنك ومشاركة آخر لك فيها بمشاعر الخوف الإنسانية النبيلة التي لا أشك في صدقها من أن يصادفها سوء الحظ الذي صادفك.
وهذا إحساس إنساني مشروع.. وكلنا نرجو لأبنائنا دائما أن تعفيهم الحياة مما فرضته علينا من ضرائب وآلام.
لكن خوفنا على أبنائنا من حوادث الطريق مثلا، لا يعطينا الحق في أن نسجنهم في البيوت حفاظا عليهم، وليس من حقنا أن نحرمهم من حقهم الطبيعي في أن يشاركوا في مباراة الحياة فيسعدوا أو يشقوا كل كما سطر له في اللوح المحفوظ لمجرد أننا نخشى عليهم معاناة الشقاء.
فتمالكي نفسك يا سيدتي واحتفظي بخوفك النبيل هذا في حدوده الطبيعية مع التسليم دائما بأننا لا نملك لأبنائنا مهما فعلنا سوى الدعاء والأمنيات الطيبة بأن تكون رحلتهم في الحياة أقل مرارة من رحلتنا وأكثر سعادة.
وأنت قد أديت رسالتك على خير ما تستطيع أم مضحية مثلك أن تفعل.. فتفرغت لرعايتها وتنشئتها حتى استوت زهرة جميلة تتطلع تنصيبها العادل من السعادة.. أفإذا اكتمل نموها وتفتحت الوردة التي غرستها ورعيتها وحان قطافها يكون ذلك مبررا للاكتئاب بدلا من الفرح والسعادة؟.
فلماذا وإذا كان المشهد القديم قد تكرر فجأة أمامك، فاستدعَى ذكرياتك الماضية، فلماذا لا تستدعين أيضاً باقي تفاصيله فتستعيد ذاكرتك كذلك أن أمك لم تصمد في معارضتها لرغبتك طويلا، وأنها سلمت برغبتك إكراما لك وساعدتك بمالها على إتمام زواجك ممن - اخترت، وطلبت لك السعادة كما تطلبها كل أم لابنتها فلماذا لا تفعلين مثلها وتطلبين السعادة لابنتك وتعينينها عليها، ثم تتوجهين بعد ذلك بالدعاء إلى الله بأن تكون ملاحتها في بحر الحياة آمنة وهادئة وواعدة بكل خير وسعادة وجمال..
وهل تملكين لها مهما فعلت سوى ذلك؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

بحـر الشقـاء!

أنا فتـاة فـي السادسة والعشريـن مـن عمـري - تنبهت حواسي فوجدت نفسي بنتاً وحيدة لأم تعمل بالتعليم ونعيش معا في شقة واسعة بلا أب ولا أنيس.. وحين بلغت العاشرة من عمري رأيت أبي لأول مرة حين جاء لزيارتي، فأحسست بإحساس غريب تجاهه.. وبأني في حاجة اليه مع أني لم أعرفه من قبل.. ثم اصطحبني معه ليشتري لي بعض الملابس.. فكنت في قمة السعادة. وانتظرت أن يظهر في حياتي مرة أخرى، لكني عرفت أنه قد سافر للعمل في دولة عربية مع زوجته الجديدة وأبنائه الذين لم أرهم.. وأنه قد جاء ليراني قبل السفر. وهكذا اختفى أبي مرة اخرى من حياتي وبعد 4 سنوات جاء ليراني فلم تسمح له أمي برؤيتي.. ولم أعرف بوجوده.. ثم رحل عن الحياة بعدها بستة شهور وبعد وفاة أبي زارنا لأول مرة أخوتي ومعهم أمهم بسبب إجراءات المجلس الحسبي.. واكتشفت أن لي أخوين رقيقين وأختين توءما في غاية اللطف والرقة.. واكتشفت أن أمهم سيدة رزينة لطيفة لا تريد أن تحرم أبناءها من الاقتراب مني. وتعمل على التقريب بيننا.. فأحببتهم جميعا وتمنيت لو عرفتهم أكثر.. وبعد ذلك سافرت زوجة أبي لمواصلة العمل في نفس البلد.. وواصلت أنا دراستي حتى أنهيتها وعملت.. وانقطعت بيننا الصلات تقريبا لمدة حوالي 8 سنوات، وذات يوم كنت في البيت في الصيف الماضي فدق جرس التليفون ومددت يدي إلى السماعة فإذا صوت شاب يقول لي: أنا فلان ثم نطق باسمه الثلاثي.. وكنت أعرف أسماء أخوتي بالطبع فعرفت أنه أكبرهم.. ورحبت به بسعادة فأبلغني بأنهم قادمون لزيارتنا بعد قليل.. وجاءت أرملة أبي وأخوتي واستقبلتهم أمي بحفاوة.. وكنا في أيام العيد، فإذا بأرملة أبي تقول لابنها الأكبر قم فقبل أختك وأعطها عيديتها، فقبلني وقدم لي العيدية.. فسعدت كثيرا بمشاعره ومشاعر إخوتي، لكني رفضت العيدية لسبب بسيط هو أني أكبر منه سناً، وكان يكفيني فقط أن أحس بهذه المشاعر الأخوية. التي حرمت منها طوال حياتي. وبعد ذلك توالت اللقاءات والزيارات بيننا فقد عادوا نهائيا لمصر واستقروا فيها.. وزرت إخوتي في بيتهم وأحببتهم كثيرا وأحبوني وأحببت حياتهم المنفتحة للحياة وللناس بلا تحفظات ولا عقد وتوطدت الصداقة بيني وبين أكبر إخوتي بصفة خاصة، وزاد من عمقها أني اكتشفت أنه يعاني من مرض السكر منذ صغرة وأنه حنون وطيب القلب. ثم أصيب ذات مرة بالغيبوبة وهو في زيارتنا.. فتمزق قلبي من أجله وازدادت محبته عمقا في قلبي.. ثم حدث أن افتتحت شركتنا فرعا لها في الحي الذي يقع فيه بيت إخوتي فطلبت الانتقال اليه لأكون قريبة منهم. وتواصلت اللقاءات بيننا.. وأحسست معهم أني قد وجدت ماكنت محرومة منه طوال حياتي من ألفة وأخوة وحنان واهتمام.. وكان من الممكن أن تزداد سعادتي بذلك لولا أن أمي بدأت فجأة

تضيق بهذه العلاقة الجديدة.. فبدأت تروي لي الكثير عما عانته مع أبيهـم.. وكيف أنها رفضت الزواج بعد طلاقها من أبي لكي تتفرغ لي وترعاني.. ثم تعدت التلميح إلى التصريح وطلبت مني عدم دعوتهم لزيارتنا.. بحجة أنها قد أشاعت عن نفسها عند الجيران أنها أرملة وإنني إبنة وحيدة ولا تستطيع أن تبرر للناس وجود شابين في زيارتنا مرات كثيرة.. أو خروجي معهما في سيارتهما! فقلت لها متعجبة لكنهما أخواي.. فأجابتني بحزم نعم لكن الناس لا يعرفون ذلك.. ومن هنا بدأت متاعبي مع أمي.. لقد بدأت أمي تغار من اقترابي من إخوتي، وتعمدت أن تهينني أمام أكبر أخوتي في منزلنا، وبدأت تعترض على مكالماتي التليفونية الطويلة معه، ثم طلبت منه صراحة ألا يزورنا.. فانصرف مجروحاً وحزيناً.. وحين عاتبتها على ذلك قالت لي أنه يذكرها بأبيه في شكله وحركاته! ثم بدأت ترهقني بمطالبتها لي بعدم استقبال أخي في العمل، وتأثر هو كثيراً بما قالته له أمي، فبدأ يعزف عن الاتصال في ومقابلتي بل قاطعني، مع شدة لهفتي عليه وعلى إخوته.. وأنا الآن في حيرة من أمري لقد سعدت باكتشاف أن لي أسرة واخوة أحبهم ويحبونني ولا أريد أن أفقد هؤلاء الأخوة بعد أن عشت حياتي كلها محرومة من عطف الإخوة وحنانهم، ولا أريد في نفس الوقت أن أعقّ أمي أو أن أبدو أمامها وكأني لا أقدر تضحيتها من أجلي ورعايتها لي طوال رحلة العمر. فماذا أفعل يا سيدي؟
-

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتـبة هـذه الرسالـة أقـول:

سر الشقاء الإنساني بصفة عامة هو أن ما يسعد إنسانا قد يشقي إنسانا آخر في الوقت نفسه وبالدرجة نفسها.. ومن هنا فقد تتلازم السعادة والشقاء في حياة البشر، كما يتلازم الليل والنهار.. ولا شك في أن سعادتك الخاصة في هذا الأمر أن تتوثق علاقتك بإخوتك وأسرتك الجديدة. وهذا مطلب إنساني عادل.. لكن المشكلة هي أن هذا المطلب العادل يُشقِي بالفعل أمك التي كرست حياتها لك وأصبحت أنت محور حياتها طوال سنوات العمر.. ولقد بدأت تعترض على علاقتك بأخوتك حين أسرفت في الاندفاع بمشاعرك نحوهم وأحسست أنه قد أصبح لها في حياتك شركاء جدد.. وأنها تفقدك تدريجيا.. وتنسحب من مركز حياتك ببطء إلى هامشها وهو إحساس مؤلم لأي أم.. لكنه أكثر إيلاما للأم المطلقة التي كرست حياتها لابنتها الوحيدة كأمك.. لذلك فلابد من مراعاة هذا الاعتبار الإنساني الهام في علاقتك بأسرتك الجديدة.. وفي كل الأحوال فإن أمك أحق بك وبمشاعرك وبرعايتك من أي انسان آخر مهما كانت صلة الدم به.. ولست أقصد بذلك أن تقطعي ما بينك وبين إخوتك تماماً وإنما أقصد أن تبذلي غاية جهدك لاسترضائها ولغرس الطمأنينة في قلبها إلى أنها لم تفقدك ولن تفقدك.. ولإشعارها بأنك لا يمكن

أن تستبدلي بها في قلبك إنسانا آخر مهما كان هذا الإنسان.. وبأن علاقتك بها علاقة عضوية حميمة لا تنفصم ولو ظهر في حياتك عشرات الإخوة والأقارب.. فإن نجحت في ذلك وهي مهمة صعبة فعلا، فسوف تهدأ خواطرها ولن تعترض على علاقتك بإخوتك ولن تعرضك لمواقف محرجة معهم.. بل وربما سعت بنفسها إلى تعميق الروابط بينك وبينهم كما فعلت أرملة أبيك الفاضلة.. فاذا استحال عليك كل ذلك ويئست تماما منه.. فلا تترددي في اختيار جانب أمك حتى ولو كنت غير راضية عن ذلك، واكتفي بالاتصال من حين إلى آخر بإخوتك وبزيارتهم في بيتهم في فترات متباعدة إلى أن تهدأ العاصفة.. وتحس أمك أنها تحرمك من حق طبيعي لك وليس من العدل أن تحرمك منه فتبدأ في العدول عن موقفها من هذا الأمر.

والحياة يا آنستي. تحتاج دائما إلى مهارة ربان مدرب على الملاحة الصعبة في البحار الهائجة، لكي يتفادى الإنسان إغضاب الآخرين.. حتى ولو لم يكن فيما يفعله ما يغضب ربه.. فهذه هي الحياة وهذه هي النفس البشرية التي لم يسبر أحد كل أغوارها بعد والتي قد تضيق أحيانا بما تتسع له رحمة ربك.. وليس أمامنا سوى أن نتنازل قليلا عن بعض حقوقنا الإنسانية.. لكي نتجنب إغضاب الأعزاء وإتعاسهم.. فهذا هو الفارق يا آنستي بين من يضحّون من أجل الآخرين ومن لا ينشغلون إلا بذواتهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العيـون الحمـراء

كنت حـتـى السنـة الماضيـة ابنا وحـيـدا لأبي وأمـي.. تجمعنا بأسرة خالي علاقة حميمة بسبب قرابة أبي لأمي.. فاعتدنا منذ طفولتي على قضاء ليلة الخميس ويوم الجمعة معاً في بيتنا أو في بيت خالي نتسامر ونتناول الطعام وتمزح سويا.. وينقضي اليوم في لحظات كنسمة خفيفة تهب على حياتنا مرة كل اسبوع.. فنعود إلى بيتنا أو تعود أسرة خالي إلى بيتها على أمل اللقاء في الأسبوع القادم.. أما في الإجازة الصيفية، فكنا نقضي الإجازة السنوية معا في أحد المصايف.. وعندما كانت ظروف عمل أبي لا تسمح له بالإجازة، كان خالي يصر على اصطحابي معهم الى المصيف لأقضي معهم بضعة أيام من أجمل أيام عمري. ثم لا أطيق البعاد عن أبي وأمي أكثر منها.. ولا يتحملان هما ذلك فأعود اليه ما على جناح الشوق.. وقد زاد من عمق هذه العلاقة حب خالي العميق لأبي، فأبي يا سيدي من هذا النوع من الناس الذي أنعم الله عليه بشباب الجسم ونور الوجه، حتى أن زملائي بالجامعة كثيرا ما اعتقدوا أنه أخي الأكبر، إلى جانب سماحة أخلاقه وعمق إيمانه بالله وترجيبه الدائم بخدمة الناس في عمله خاصة الضعاف منهم.. وقد رأيته يرحب بأقل الناس شأنا أفضل مما يرحب بأعظمهم قدرا، ورغم أن راتبه كراتب أي موظف حكومي، إلا أن صغر حجم أسرتنا قد ساعدنا على أن نحيا حياة كريمة بغير الاحتياج إلى أحد.. ولأني وحيد أبواي فقد انصب علي حنانهما ورعايتهما، فرباني أبي على حرية الرأي والتشاور معه والثقة فلم أهزها يوما واحدا في حياتي والحمد لله.. خاصة أن أبي كان دائم الافتخار فيّ أمام الجميع ابتداء من سائق التاكسي الذي قد تركب معه في الطريق بالصدفة إلى زملائه وأصدقائه.. وكان دائما سندي وعكازي في الحياة.. ودائم الدعاء لي في صلاته التي يحافظ عليها بانتظام.. ويجيبني دائما كلما شكوت له من صعوبة مادة من مواد الدراسة أو من أية مشكلة تواجهني: أد واجبك وقل بعد ذلك يا بركة دعاء الوالدين.. فتطيب نفسي وأستجمع قواي للمذاكرة أو لمواجهة المشكلة التي تصادفني >

وذات يوم في رمضان العام الماضي تناولت مع أبي وأمي طعام الإفطار ثم أدى أبي صلاة المغرب ونهض ليرتدي ملابسه للخروج مع أحد أصدقائه لقضاء خدمة لأحد الأقارب، وجاء الصديق ليصطحبه بسيارته، فغادر البيت معه أنيقا كعادته، فوجدت دافعا يدفعني للخروج إلى الشرفة لأطل عليه وألقي نظرة على بدلته الأنيقة وحذائه اللامع.

ولم يكن ذلك من عادتي فإذا به يفاجئني برفع رأسه لأعلى ويبتسم لي كأنه يعرف أني أرقبه، ثم ركب سيارة صديقه وانطلقا بها، وعدت لمذاكرتي استعدادا للامتحان القريب بعد 15 يوما.. وتأخر أبي في العودة، فطلبت من أمي إعداد طعام السحور لأنام مبكرا وتناولته.. ورحت في نوم عميق، ثم

صحوت مفزوعا على صراخ ظننته حلما فإذا به حقيقة، فنهضت مندفعا لأجد أبي مستلقيا على سريره بوجهه المضيء الهادىء.. وأمي تصرخ وتبكي.. لقد مات أبي يا سيدي.. مات وهو في الرابعة والأربعين من عمره يتفجر شبابا وحيوية، فقد أصيب وهو في بيت من ذهب اليه لقضاء خدمة قريبة بأزمة قلبية لأول مرة في حياته، فأسرعوا بنقله إلى المستشفى أو عيادة أحد الأطباء، فإذا بأبي يصر على أن يعيدوه إلى بينه وإلى زوجته وابنه الوحيد ليرقد بينهما.. فما أن وضعوه في سريره حتى اطمأنت نفسه وأغلق عينيه في هدوء وانتقل إلى جوار الله. واستوعبت الحقيقة القاسية بصعوبة.. فوجدت نفسي أهذي بكلمات غريبة ودموعي تنساب من عيني بلا تحكم فيها.. ومن حولي أصدقاء وأقارب يواسونني ويقولون لي لقد لقي وجه ربه وهو صائم في فجر يوم جمعة.. ووافته الأزمة وهو يسعى في قضاء مصالح الناس.. وغاب عن الحياة في لحظة بلا ألم فأي نعيم ينتظره.. فأحاول أن أتعزى بذلك لكن دموعي لا تتوقف عن الجريان رغما عني.. وفي اليوم التالي شيعناه إلى مثواه.. وعرفت لحظتها قيمة حب الناس فقد سار وراءه جمع غفير عقب صلاة الجمعة، وخرج معه أربعة أشخاص فضلاء من السنيين الذين اعتادوا الاعتكاف في المسجد في أواخر رمضان.. وحملوه بأيديهم ووسدوه الثرى بلا أدنى معرفة بهم.. وعدت إلى بيتي الذي تفتحت عيناي فيه على رعايته وسماحته وحبه لي ولكل الناس ودموعي تسحُّ بلا انقطاع رغم محاولاتي لكبحها.. وكان أول ما فكرت فيه هو أن أعتذر عن عدم دخول الامتحان القريب.. وعزفت أمي عن أن تضغط على لدخوله، لكن خالي أصر على أن أقاوم أحزاني وأحقق حلم أبي وهو يبلل كتفي بدموعه.. فاستجبت لرغبته وهو أبي الثاني الذي لم يبق لي غيره في الحياة.. ودخلت الامتحان معتمدا على ما أتذكره من حضوري للمحاضرات.. وأديته وخرجت وأنا على يقين من رسوبي أو على الأقل نجاحي بمادتين أو مادة.. ومضت أسابيع فإذا بزملائي يندفعون إلى بيتي بفرح ليبلغوني بنجاحي بلا مواد.. فيتحول البيت إلى مناحة جديدة وأمي تحتضنني وتبكي وأنا أبكي بلا انقطاع وبلا إرادة.. منذ وفاة أبي وكل من حولنا ينظرون إلينا ويغالبون دموعهم.. وعرفت لحظتها ما كان يعنيه أبي ببركة دعاء الوالدين.. وبدأت أتماسك لأواجه الحياة.. لكن آثار البكاء اللاإرادي الطويل أثرت على عيني فأصبت بإحتقان شديد فيهما استغرق علاجه فترة.. وخلف لي حساسية مزمنة أدت إلى احمرار دائم بعيني اليسرى حتى الآن.. وتحاملت وبدأت أعود نفسي على مواجهة الحياة بغير أبي.. وكم هي صعبة الحياة بغير سند ولا عكاز.. ألست أنت القائل يا سيدي أن «الأب تاج على رؤوس الأبناء لا يراه إلا من حرموا منه» والقائل إنه «أمام تصاريف القدر لا يملك الإنسان أن يسأل لم؟ أو لماذا أو كيف؟، وإنما عليه أن يتجاوز تلك التساؤلات إلى مواجهة الحياة في ظل ما قضت به المقادير»..

لقد حاولت أن أستفيد بهذه النصيحة وركزت همي في دراستي.. ووجدت في رعاية خالي وعطفه على بعض ما فقدته بغياب سندي الكبير.. لكن مرضه اشتد عليه بعد رحيل أبي، فإذا بي أفقده هو الآخر بعده بخمسة شهور.. فأعيش أياما سوداء لا أعرف فيها سوى الاكتئاب والحزن والبكاء.. رغم نصيحة الأطباء بتجنب كل ذلك حتى لا تزداد حالة عيني سوءا.. وأصبحت معركتي مع الليسانس هي كل حياتي لأحقق أمل أبي وخالي بعد أن غابت الأيام الجميلة إلى الأبد.. وانقطع برنامج الخميس والجمعة بغياب نجميه اللذين كانا يضفيان عليه البهجة والراحة والأمان.. وتخرجت في كليتي منذ شهر وحصلت على شهادتي بتقدير جيد كما كان أبي يأمل ويرجو.. لكن أين هو ليسعد به يا سيدي كما عاش طوال حياته يحلم بذلك.. وأين أبي الآخر الذي كنت أظن أني سأسعده بنجاحي وسيكون سندي وعكازي في الحياة بعد أن ضاع سندي الأول وانكسر عكازي الأساسي.. وما قيمة الأشياء حين تجيء بعد رحيل الأحباء.. وغياب من كانوا سيسعدون ويفخرون بها على العالمين.. وهل تتغير قيمة الأهداف في الحياة بتغير ظروف من يسعى اليه ا. ولماذا لم يعد يهجني شيء.. ولا يعدني شيء بالفرح أو بالسعادة خاصة كلما نظرت إلى المرآة ورأيت عيني اليسرى الحمراء فتذكرني بمن فقدت خلال رحلة الحياة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أصحاب القلوب المؤمنة لا يغالون في الحزن على راحل، لأنهم يعلمون علم اليقين أن كل شيء إلى زوال.. ولا يبالغون في الفرح لشيء لأنهم يعرفون أنه مهما علا قدره من عرض الدنيا الذي لا يدوم لهذا فهم يحزنون باعتدال ويفرحون باعتدال أيضاً. ولا يخرجهم عن طبيعتهم حزن طاغ ولا فرح باهر.

فكن يا صديقي من أصحاب القلوب المؤمنة وطب نفسا إذا حمّ القضاء، وتجلد لمواجهة الحياة التي تتطلب منا كل ما فينا من شجاعة وصبر للصمود لها.. والوفاء الحقيقي لأعزائنا الراحلين هو أن تحقق آمالهم فينا.. وأن نقتفي أثرهم في الحياة وننهج نهجهم ونتحلى بفضائلهم.. فكن مثل أبيك وجها مضيئا في وجوه الآخرين وقلبا محبا لهم.. وضميرا ساعيا في قضاء مصالحهم حين تملك أن تخدم الآخرين وتخفف عنهم.. ومحبا لضعاف الناس ومقبلا عليهم كما كان أبوك يفعل في حياته القصيرة الحافلة بالعطاء للجميع.. ترد لأبيك دينه وتسعد بك روحه الطاهرة في علاها.

أما عن فتورك في استقبال شهادتك التي كنت تحلم بها.. وتساؤلك ما قيمة الأشياء حين تجيء بعد رحيل الأحباء.. فإني أقول لك أن قيمة الأهداف نفسها لا تتغير، لكن سعادتنا وابتهاجنا بتحقيقها هو الذي يتأثر بعض الشيء حين تجيء، وقد رحل عن حياتنا من كان يسعدهم أكثر منا توصلنا اليه ا، ومن كنا نود أن نبهجهم بها لنزداد رضا عما حققناه.. وليس ذلك مقصورا فقط على

افتقاد الأحباء خلال رحلة الحياة، فهو يتكرر أيضاً حين تتحقق الأهداف بعد فوات الأوان.. كأن يجيء النجاح المادي مثلا بعد أن يفقد الإنسان قدرته على الاستمتاع به، أو بعد أن يفقد صحته فلا يعود قادرا على الاستمتاع بشيء مهما كان قدره.. وأنا شخصيا كثيرا ما أحسست بما تحسه أنت الآن حين أحقق هدفا صغيرا من أهداف حياتي، فأتلفت حولي لأبحث عمن كانوا سيسعدون به مثلي وربما أكثر مني فلا أجدهم، فتختلط سعادتي بما نلت بافتقادي لمن تمنيت أن يشاركوني الابتهاج به، ولا بأس في ذلك.. فهكذا الحياة يا صديقي أفراح قد تستدعي بعض ذكرياتنا الحزينة، وأحزان يمازجها الرجاء في رحمة الله.. وما الدنيا في مجموعها سوى تعاقب البهجة والألم.. ولست وحدك في أحزانك فقديما قالت الخنساء في رثاء أخيها:

فلولا كثرة البـاكين حولي

على إخوانهم لقتلتُ نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن

أعـزّي النفس عنه بالتأسي

فليعز كل إنسان نفسه عمن يفتقده بالتأسي عنه.. ولتنظر أنت إلى الأمام بوجه مبتسم مهما كانت مرارة الأحزان.. فغدا يوم جديد.. ولسوف يأتي يوم قريب تصبح فيه أنت عكازا يستند اليه الآخرون وتتحقق كل أحلامك قريبا بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الاتهـام الصامـت

أنا سيدة في الثلاثين مـن عمـري تزوجت منذ سبعة أعوام.. وأنجبت بعد عام من زواجي طفلة جميلة كالملائكة.. وكنت أعمل في مصنع للغزل والنسيج.. فعشنا أنا وزوجي وطفلتي حياة سعيدة يرفرف علينا الحب والوئام والتفاهم، ونجتمع كل ليلة في جلسة عائلية سعيدة فلا يكون بيني وبين زوجي حديث إلا عن طفلتنـا الجميلة.. ماذا فعلت وماذا قالت وماذا أضحكهـا.. وماذا أبكاهـا.. ونروي عنها كلماتها كأنها من جوامع الكلم.. ونستعيد طرائفها ونضحك لها ومعها كثيرا. وبعد أربعة أعوام من زواجي بدأت أشكو أعراض برد سخيف وأسعل بشدة.. وتناولت أدوية البرد والكحة المعروفة فخفت الأعراض قليلا، لكن السعال استمر ولازمني بعد ذلك بصفة شبه دائمة ولم ألتفت اليه طويلا.. وواصلت حياتي بين عملي وبيتي وزوجي وطفلتي ثم جاء عيد ميلاد ابنتي... فرتبت لها حفلا صغيراً لا يضم أحداً سواي وزوجي. وصنعت لها تورتة صغيرة واشتريت لها هدية بسيطة واجتمعنا في المساء حول التورتة.. وأطفأنا مع ابنتي شموع عمرها القليلة.

وقدمت لها هديتها وقبلتها مهنئة بعيد ميلادها ومتمنية لها حياة سعيدة طويلة وبعد يومين من عيد ميلادها، بدأت ابنتي تسعل مثلي فأعطيتها دواء الكحة.. أما أنا فقد اشتدت وطأة السعال على وطالت فتراته وأرهقت صدري.. وذات يوم انتابتني نوبة سعال عنيفة. وفزعت حين رأيت خيطا من الدم يخرج من فمي بعدها، ففزع زوجي معي.. وذهبنا الى الطبيب ففحصني ثم صارحني بأن سعالى ليس مجرد عرض من أعراض البرد، لكنه درن أصاب رئتي فتجلدت.. والتزمت بتعليماته وتناولت العلاج والحقن التي وصفها لي بانتظام.. وبعد شهر بدأت أتماثل للشفاء، وبعد ثلاثة شهور من شفائي كنت مع زوجي وابنتي جالسين أمام التليفزيون فانتابت طفلتي نوبة حادة من السعال.. راحت تكتمها بيدها.. فجذبت يديها لأرى ما بها فإذا بخيط الدم اللعين يسيل على كفها الصغيرة. فأسرعنا نحملها الى الطبيب الذي صدمنا بأنها مريضة أيضاً بالدرن. وأنه قد بلغ منها درجة متأخرة جدا.. وأنها تحتاج إلى دخول المستشفى فأدخلناها المستشفى على الفور.. ورافقتها فيه ليل نهار لا يكاد يغمض لي جفن.. وأنا اتعجب كيف ومتى انتقل اليها المرض.. وكيف أخفت عنا أن سعالها به دم.. وفى حيرتي وعذابي أسائل نفسي هل كانت قبلتي لها يوم عيد ميلادها هي قبلة العدوى التي نقلت اليها هذا الوحش. ومضت الأيام في المستشفى وهي بلا تحسن كبير.. وكنت أرقبها طوال النهار والليل ولا أغف. إلا قبيل الفجر حين يغلبني النوم على أمري.. وبعد أسبوع صحوت من إغفاءة الفجر هذه فوجدتها ساكنة في فراشها.. بلا سعال.. ولا أنين.. فاطمأننت عليها وفكرت في العودة للنوم قبل أن تعاودها نوبة السعال التالية.. لكن هاجسا هجس في صدري أن أضع يدي على جبينها لأتحسس

حرارتها.. فإذا بها باردة كالثلج.. فهززتها، لم تصح.. فصرخت من أعماق.. صرخة جمعت حولي في الغرفة كل من كان قريبا منا.. وجاء الطبيب وفحصها.. ثم طلب خروجي من الغرفة.. لقد رحلت ابنتي في هدوء خلال إغفاءتي القصيرة.. لقد غادر الملاك الصغير بيتنا ودنيانا لقد تركتني للحسرة والمعاناة والإحساس بالذنب هل قتلتها بقبلتي لها يوم عيد ميلادها.. هل قصرت في اكتشاف المرض في الوقت المناسب.. لقد كانت تخفي عنا أن سعالها به دم.. لكن أين ذهـب حرصي.. ولماذا لم أكتشفه أنا إلا يوم التليفزيون؟ لقد رحلت عنا طفلتنا الصغيرة يا سيدي ورحلت معها السعادة والراحة والوئام من عشنا الصغير ولم يقتصر الأمر على آلام الفراق.. فمنذ رحيلها وزوجي صامت حزين.. ينظر الى نظرات طويلة لائمة.. متهمة.. عاتبة.. ومنذ ذلك اليوم الأسود وهو لا يكلمني.. ولا يتبادل معي كلمة واحدة.. ويحملني باتهامه الصامت لي مسؤولية رحيل طفلتنا أو مسؤولية انتقال المرض من صدري إلى صدرها. لكن ماذا كنت أستطيع أن أفعل.. وقد كنت لا أعرف حقيقة مرضي وهل لو عرفته كنت رضيت بأن أقبلها وأنقل اليها هذا الوحش؟

وهل هو خطئي وحدي.. لقد أصبحت أنا وزوجي غريبين لا يعرف كل منهما الآخر ولا نتبادل كلمة واحدة.. وتحولت حياتي إلى جحيم.. فماذا أفعل.. وهل انتهت حياتي معه عند هذا الحد؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هـذ الرسالـة أقـول:

أسوأ ما يفعله المرء بنفسه.. هو أن يضيف الى خسائره القدرية التي لا حيلة له فيها.. خسائر إضافية من صنع يده هو.. ولقد فعلتها ذلك بكل أسف أو فعله زوجك على الأصح بعد محنتكما.. إذ بدلا من أن يحاول أن يخفف عن نفسه ما يعتصره من آلام.. أضاف إلى معاناته معاناة جديدة بمعايشة هذا الإحساس المؤلم.. وبمكابدة جفاف الحياة في عش تحول فيه طائراه الأليفان إلى غريبين لا يعرف كل منهما الآخر.

إننا لسنا في محاكمة جنائية يا سيدتي لكي نسأل وندقق ونحدد من المسؤول عما جرى.. وهل أنت المسؤولة عنه وحدك أم أنتما معاً لأنكما لم تكتشفا حقيقة مرض الملاك الراحل في الوقت المناسب. إذ ماذا يفيد تحديد المسؤوليات وأنتما الخاسران معا.. وكلاكما مفجوع في فقد وحيدته أياً كان المسؤول وأياً كانت المسؤولية. لقد قدر الله وكما شاء فعل يا سيدتي.. وإذا كان زوجك في غمرة آلامه قد نسي بعض حقائق الحياة، فليذكره مذكر بأن عمر الإنسان مسجل عليه وهو جنين في بطن أمه كما جاء في الأحاديث القدسية.. تعددت الأسباب. والموعد المقدور واحد.. وليس هناك وقت يحتاج فيه الزوجان إلى عطف كل منهما على رفيق دربه ومساندته له كهذا الوقت

العصيب الذي تمران به الآن.. فلتنسيا معا حديث المسؤولية.. فلا ذنب لأحدكما فيما جرى.. ولو اكتشفتما معا المرض في بدايته لما تغير القدر المقدور شيئا.. ولما تأخر طرفة عين عن موعده.. فليضمد كل منكما جراح الآخر.. وليزدد اقترابا منه. وتفتحا للحياة من جديد واستشيرا الطبيب في كل خطوات حياتكما المقبلة.. فكم من أزواج وزوجات رُوِّعُوا في بداية حياتهم بفقد الأعزاء.. فتصبروا وتجلدوا.. ولم يتبادلوا الاتهامات.. فأنبت الله في خمائلهم زهورا جديدة مسحت على أحزانهم. وعوضتهم عمن فقدوا خيرا كثيرا، فليفعل كل منكما إذن ما يفعله المتصبرون أمام اختبارات الحياة القاسية ليكون له أجرهم.. ولتقرآ معي هذا الحديث القدسي عسى أن يخفف عنكما بعض أحزانكما.. وعسى أن يلهمكما الصواب والرشاد في محنتكما.

قال الرسول الكريم : (إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضهم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع ـ أي حمد الله على ما كان رغم شقائه به وقال إنا لله وإنا اليه راجعون ـ فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة.. وسموه بيت الحمد).

أجزل الله لكما أجر المتصبرين.. وأعاد السعادة والوئام إلى عشكما والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

العمـر لحظـة!

لـم أكتـب اليك بمشكلتي. لكني وجدت في بريدك مشكلات تتشابه مع مشكلتي، فحاولت أن أستفيد بردودك عليها.. وأريدك أن تعرف نتائج التجربة.. فلقد كتبت اليك زوجة ذات مرة تحكي لك أنها أحبت شاباً وحالت الظروف بينها وبينه، ثم خطبت إلى آخر ولم تكن مقتنعة به ولم تشعر تجاهه بالحب، ومع ذلك فقد مضت في إجراءات الخطبة ثم الزواج بلا تفكير.. ثم شكت لك مما تعانيه من افتقادها لمشاعر الحب تجاهه ومن جفاف حياتها العاطفية معه رغم حبه لها وحسن عشرته. وقد رددت عليها منتقدا تصرف بعض الفتيات اللاتي يتأكدن من فتور مشاعرهن تجاه من خطبن لهم قبل الزواج، ومع ذلك يمضين في الخطبة والزواج كالسائرين نياما إلى مصير محتوم ولا يفكرن في التراجع قبل إتمام الزواج أو في التكيف مع حياتهن بعد الزواج.. وقلت في نهاية تعليقك أن الحب قد يولد في لحظة سحرية تكون فاصلا بين ما قبلها من تعاسة وهواجس وما بعدها من سعادة وصفاء، وأن عليها أن تنظر إلى زوجها بعين جديدة وبقلب راغب في السعادة والحب.. فربما تولد في حياتها هذه اللحظة السحرية وينبض قلبها بالحب له وتتخلص من تعاستها، خاصة وأنها انجبت منه. ثم قرأت أكثر من تعليق على هذه الرسالة لقارئات عديدات وقرأت ردودك عليها وكلها تؤكد إمكانية مجيء هذه اللحظة السحرية في أي مرحلة من العمر.

وكنت أنا خلال هذه الفترة أعيش قصة حب طاهر لم تدنسه حتى لمسة يد واحدة مع زميل لي بالكلية الزواج.. وتعاهدنا على الزواج وبعد تخرجنا واتجاهنا للدراسة العليا تقدم لخطبتي.. لكن بعض المشاكل حدثت بين أسرتي وأسرته بسبب غطرسة أبيه الذي كان عائدا لتوه من البلاد العربية وحوّله المال الذي جمعه هناك إلى تاجر يبيع ويشتري في بنات الناس.. فصمم على مطالب مغالى فيها وأقسم أنه لن يتنازل عنها.. وساءت الأمور بينه وبين أبي فاضطررت أنا وزميلي إلى أن نفترق والحزن يدمي قلبينا.. وقررنا ألا نلتقي مرة أخرى إلا إذا تحسنت الأمور واستطاع كل منا أن يؤثر في أبيه ليغير من موقفه.. ورضينا بهذا الفراق راغمين لكيلا نتجول بحبنا في الشوارع والكازينوهات، وطوينا قلبينا على أحزانهما وانشغلت بعملي ودراستي العليا ونجحت فيها وانشغل هو بعمله، ولم نلتق طوال هذه الفترة سوى مرة واحدة لنعرف ما إذا كان أحد الأبوين قد تنازل عن موقفه أم لا.. فلما وجدنا الموقف على ما هو عليه عدنا إلى افتراقنا.. كما كنا نتقصى أخبارنا عن طريق الأصدقاء. عن بعد وخلال هذه الفترة تقدم لي أكثر من خطيب ووجد أبي أحدهم مناسبا لي رغم أنه ليس ميسورا، لكنه على خلق ودين فقبلت الخطبة إرضاء لأبي وأمي ولأستريح من إلحاحهما على.. وقررت بيني وبين نفسي أن أنهي هذا الارتباط الجديد في أقربِ وقت بأن أجعل

خطيبي يقر مني ناجيا بنفسه من سخافاتي.. فعاملته – وأعترف لك بذلك – أسوأ معاملة من خطيبة لخطيبها.. فلا احترام والتقدير ولا استجابة لأي طلب مطالبه.. ولا مشاركة له في مشاعره ولو بكلمة واحدة حتى من باب المجاملة.. ولأحرص على انتظاره في البيت رغم علمي بمواعيد زياراته.. وفعلت كل ذلك اقتناعاً بأني مازلت على عهدي لزميل دراستي.. وانتظر الوقت المناسب لإنهاء هذه الخطبة.. لكن صبر خطيبي على لم ينفد وتحمل كل سخافاتي بصبر وهدوء وحنان.
وفى هذه الفترة قرأت ردودك. عن اللحظة السحرية.. والتطلع إلى شريك الحياة بنفس راغبة في الحب والسعادة.. فقررت أن أجرب تنفيذ هذه النصائح، فإما أن تأتي هذه اللحظة التي تتحدث عنها فأستريح، وإما أن أحسم أمري مع خطيبي وأنهي الأمر، وأستريح أيضاً، وأتخلص من تأنيب الضمير الذي أحسه وأنا أراه يقابل إساءاتي بتسامح وإحسان.... وكان قد مر على خطبتنا عام طويل من النكد التام لي وله على السواء. فصارحت خطيبي بأن هناك هوة واسعة بيننا.. وأننا لم نفهم بعضنا حتى الآن لأن الخطبة تمت على وجه السرعة خلال 20 يوما فقط.. ولهذا فإني أريد أن نعطي لأنفسنا مهلة لإعادة التفكير في الأمر كله.. وأن نفترق لمدة شهر أحاول خلاله أن أصلح من نفسي وأعيد التفكير في أمره وأمري... وتكون له هو خلال هذه المهلة الحرية في تقدير الموقف.. وليرى إذا ما كان يستطيع أن يسامحني بقلب صاف عما فعلت معه.. وليحاول من ناحية أخرى تغيير بعض العادات الصغيرة التي كانت تضايقني فيه.. واتفقنا على ذلك وافترقنا ومرت الأيام الثلاثة الأولى بسلام ورحت أفكر فيه من منظور جديد تماما.. وأحاول أن أعرف هل سأشتاق اليه أم لا فإذا بي ويا للعجب أجد نفسي فجأة وبعد أسبوع واحد افتقده بشدة، وأفتقد حنانه ورعايته ورقته التي كان يغمرني بها في لحظات غضبي وكنت أضيق بها من قبل. وما أن انتهى الأسبوع حتى تأكد لي أني لا أتصور حياتي بغير وجوده فيها ومعي وحولي بحبه وحنانه واهتمامه الذي يغرقني به.. 3 أيام أخرى أصبح شاغلي الشاغل هو هل سينسى لي ما فعلت به أم لا.. وماذا أفعل إذا لم ينس وإذا افترقنا للأبد.. وفي اليوم العاشر وجدت يدي تمتد إلى التليفون قبل انتهاء المهلة بعشرين يوما واتصــل به فاذا به أشد لهفة مني.. وينتظرني على أحر من الجمر.. وإذا بي أعيش فجأة اللحظة السحرية التي قرأت عنها ولم أكن أصدقها.. وعدنا إلى اللقاء ووجدته حنونا وعطوفا أكثر من ذي قبل.. وإذا بطاقة هائلة من النشاط تتفجر داخلي لإعداد عش الزوجية الذي كنت أكره سيرته وأضيق بها.. وإذا بأيامي تمضي مشحونة بالتعب اللذيذ وأنا أتنقل من مكان لمكان لنعد معا تجهيزات الزواج.. ونلتقي كل يوم ونتحدث في التفاصيل ونشرف على كل صغيرة وكبيرة في الاستعدادات.. وانتظرنا نهاية شهر رمضان الماضي بفارغ الصبر ثم تزوجنا بعده وأصبحت اللحظة السحرية عمرا من السحر والحب والسعادة.. فشكرا

لك أنك أرشدتني لها.. وشكرا لقارئاتك اللاتي أسهمن برسائلهن اليك في تعريفي بهذه اللحظة الغالية! وتمنياتي للجميع بالسعادة والصفاء.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالـة أقـول:

«شتاء أحزاننا انزاح.. تحت شمس حبنا الساطعة»، قفز إلى خاطري فجأة هذا البيت من شعر شاعر الانجليزية الأشهر وليم شكسبير فوجدت فيه تحليلا وتفسيرا لقصتك كلها.. ولم أجد أبلغ منه تعليقا عليها.. فهنيئا لك ميلاد لحظتك السحرية الجميلة.. وعمرا مديدا من الحب والسعادة والثراء الإنساني لك بإذن الله.. وعقبى لمن ينتظر!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

قلـب العاصفـة!

نشأت فـي أسـرة صـغـرة.. بين أب لا يعرف إلا اصدار الأوامر بسبب نشأته العسكرية، وحتى بعد أن تقاعد وعمل بالأعمال الحرة منذ سنوات طويلة.. وأم لا حول لها ولا قوة.. وشقيقين يكبرانني بعدة أعوام.. ورغم أن حياتنا كانت ميسورة ماديا إلا أنها كانت جافة من الناحية العاطفية. فليس بيننا وبين أبينا سوى علاقة تلقي الأوامر والالتزام بتنفيذها حرفيا وإلا فالويل لنا جميعا.

وفي هذا الجو العائلي الصارم حصلت على الثانوية العامة ورشحني مجموعي للالتحاق بكلية التجارة بجامعة الاسكندرية.. وطرت فرحا حين وافق أبى على أن أسافر اليها لأقيم بها مع جدي إلى أن ينجح في نقلي في العام التالي لكلية التجارة بجامعة القاهرة.

وسعد جدي بذلك كثيرا نظرا لوحدته بعد وفاة جدتي وسافرت إلى هناك وبدأت حياتي الجامعية الجديدة محملة بأوامر أبي وتعليماته الصارمة ومحظوراته العديدة.. وكان أهمها هو عدم الاختلاط بالطلبة وعدم الاختلاط بأي إنسان يقل مستواه الاجتماعي عن مستوانا.. وعدم التأخر خارج البيت عن ساعة معينة مهما كانت مواعيد الدراسة، ليتصل بي تليفونيا ويتأكد من عودتي.. والتزمت بكل هذه التعليمات حرفيا.. وبدأت أتردد على الكلية كل يوم.. وأعود إلى بيت جدي فأجد عنده ما حرمت منه طوال حياتي من الحنان والفهم والأبوة الحقيقية.

ومضي عامي الأول بسلام وظهرت نتيجة الامتحان ونجحت.. وهمّ أبي بأن ينقل أوراقي إلى جامعة القاهرة فتوسل اليه جدي بتحريض سري مني أن يدعني أتم تعليمي الجامعي معه، لأنه وحيد ويحتاج إلى صحبتي.. وقبل أبي ذلك بعد تردد طويل.. وسعدت بذلك وحرصت في نفسي الوقت ألا أبالغ في إظهار سعادتي به حتى لا أستثير ضيق أبي وعناده فيصمم على نقلي.. وبدأت عامي الثاني سعيدة.. وفي بدايته أوصى جدي صديقاً له بأن يقوم ابنه الطالب بالسنة النهائية بكلية الطب بالمرور على كل صباح بسيارته الصغيرة المتهالكة ليصحبني إلى الكلية حتى أتجنب مضايقات المواصلات وقام الشاب بهذه المهمة بترحيب، فأصبح يصطحبني إلى الكلية في الصباح، ويحاول أن ينهي دراسته في موعد يتلاءم مع موعدي ليعيدني إلى البيت بعد انتهاء الدراسة.. وخلال رحلتي الصباح والمساء.. نمت بيننا عاطفة شريفة قوية وتعاهدنا على الزواج بعد انتهاء دراستي.. وتخرج فتاي قبلي بعامين.. ثم تخرجت أنا وانتهت إقامتي بالإسكندرية وعدت إلى القاهرة لانتظر اليوم الموعود الذي سيجيء فيه فتاي مع أبيه وجدي ليطلبوا يدي من أبي.. وجاء فتاي وأبوه وجدي الي بيتنا واستقبلهم أبي بترحاب.. ثم بدأ جدي الحديث فإذا بأبي يرفض فتاي بلا أي تفكير وبكلمات قاسية تشعره بالعجز والهوان وضآلة الشأن.. مؤكدا له أنه لا يجد فيه المواصفات التي يريدها في زوج ابنته.. وأنه

لا يحق له أن يطمح في الزواج مني لأن امكانياته لا تؤهله لذلك.. ثم أنهى حديثه بجفاء شديد كأنه يطرد الجميع.. وصدم الشاب وأبوه صدمة مذهلة ليس للرفض في حد ذاته وإنما لهذه اللهجة المهينة.. وأحس جدي بالحرج الشديد أمام صديقه، وطالب أبي بالتروي قليلا واستشارة صاحبة الشأن في الأمر فأصر أبي على موقفه.. ولم يلن حتى بعد أن صارحه جدي بأن والبنت والولد، يحبان بعضهما منذ 3 سنوات ومتعاهدان على الزواج.. وغادر جدي بيتنا حزينا مع صديقه وانصرف فتاي والعرق يتصبب منه.. وكنت قد سمعت كل الحوار.. عن قرب.. فأسرعت ألحق بفتاي على السلم لأطالبه بألا يبأس.. وقلت له أني رشيدة وأستطيع إذا يئسنا في النهاية أن أتزوج بغير موافقة أبي لكنه ازداد حزنا.. وطالبني بالاهتمام بنفسي ثم ودعني قائلا: «لا إله إلا الله».. عسى ان يجمعنا الله ذات يوم من حيث لا ندري ولا نحتسب.

وانصرف الضيوف مهزومين وعاد جدي إلى الاسكندرية مكتئبا، ورفض أن يمضي معنا عدة أيام.. وسعى أبي بعدها لإلحاقي بالعمل بإحدى الشركات الاستثمارية.. وعينت في وظيفة مناسبة وتمنيت أن يشغلني العمل عن حلمي القديم، فوجدتني ازداد استغراقا فيه.. ومضى عامان طويلان لم أتوقف خلالهما عن الأمل في أن ينجح جدي في إقناع أبي بالتنازل عن موقفه، لكني يئست من ذلك تماما حين توفى جدي وودعته باكية حنانه الذي كنت في شدة الحاجة اليه.. وبعد وفاته بشهور «تقدم لي شاب مرموق وجد فيه أبي كل ما يطلبه في زوج ابنته» من أسرة.. وثراء. وصلات اجتماعية واسعة فوافق عليه وتحمس له وأقنعني به وشاركته أمي وشقيقاي والتقيت به من باب الرغبة في تغيير حياتي. ووجدته جذابا ومهذبا، ورغبت في ألا أخدعه فحكيت له قصتي كاملة.. فقال لي أنه يعتبر ذلك دليلا على إخلاصي وأن الزمن سوف يخلق بيننا من الروابط ما ينسيني هذه التجربة بكل آثارها.. وحاول جاهدا أن يشغلني عن ذكرياتي.. واستجبت لمحاولاته بإخلاص وشغلت بالإعداد للزواج.. وتم الزفاف بالشروط التي رآها أبي لائقة بمركزه وثروته.. وأقيم الحفل في فندق كبير.. توافد عليه رجال الأعمال وخصصت فيه مائدة رئيسية لضيوف الشرف من المسؤولين الذين تنشر صورهم في الجرائد، والذين بذل أبي جهدا كبيرا لدعوتهم، ووقف فخورا بتشريفهم الحفل.. وتزوجت.. وبدأت حياتي وكلي رغبة في السعادة وبدء صفحة جديدة في حياتي، وعشت شهورا أحاول استشعار السعادة وأبذل جهدا مخلصا لإسعاد زوجي ورفضت أن أنجب قبل أن يستقر بنيان حياتي الزوجية.. ومضى عام من زواجي لم أختلف فيه يوما مع زوجي.. ولم نتشاجر، ورغم ذلك فقد فاتحني زوجي بعد أيام من مرور العام الأول بأنه يحس بأنه قد فشل معي ولم ينجح في أن ينسيني فتاي الأول، وبأن قلبي ليس معه لهذا فهو يرى من الأفضل أن ننفصل صديقين كما بدأنا حياتنا صديقين وبلا مرارة، ووافقته على ذلك وأكدت له أن هذا هو نفس

إحساسي.. فتم طلاق بهدوء وعدت الى بيت أبي مجللة بالفشل وأبي ينظر الى شذرا.
وبعد عام آخر قررت الشركة التي أعمل بها نقل عدد من موظفيها ذوي الخيرة إلى فرع الاسكندرية لبدء نشاط جديد فيه.. فتقدمت سرا بطلب لنقلي اليه.. وفوجئ أبي بصدور قرار النقل وأراد أن يتدخل لإيقافه، لكن أمي نجحت ربما للمرة الأولى في إثنائه عن رأي له.. وتوسلت اليه أن يدعني أسافر إلى هناك لعلى أنسى فشلي في زواجي، مؤكدة له أنها سترسل معي سيدة للإقامة وحراستي! ووافق أبي مضطرا وعدت إلى المدينة التي غادرتها منذ 5 سنوات فتاة تحلم بالسعادة والهناء مع من تحب.. وعدت اليها مطلقة فاشلة.. تحطمت أحلامها.. وبدأت حياتي العملية بجدية.. ولم أسع للاتصال بفتاي السابق ومع ذلك فلقد كنت أحس إحساسا غامضا بأني سألتقي به من جديد.
ومضت حياتي بين الشركة والبيت.. وانتظار تليفون التمام المسائي من أبي كل يوم، إلى أن وجدته أمامي فجأة ذات يوم ينظر الى صامتا.. وأنظر اليه بكل لهفة الدنيا.. وتحدثنا فأخبرني أنه يعرف بوجودي في المدينة منذ شهور.. وأنه لم يحاول الاتصال بي لأنه تزوج عقب زواجي بشهرين من ابنة أستاذه لكنه فشل في المقاومة، فجاء الى.. ووجدت نفسي أروي له كل ما مر بحياتي منذ لحظة وداعه لي على سلم البيت.
وتكرر لقاؤنا عدة أسابيع فروى لي أنه يعمل مع صهره في مستشفاه وفي عيادته الخاصة.. وأنه حاول جاهدا أن يسعد زوجته لكنها لا تكف عن تذكيره كل يوم بأنه لولا أبوها لكان الآن مجرد طبيب بإحدى الوحدات الريفية.. أما بفضله فهو طبيب في مستشفى وعيادة ويستعد للحصول على الماجستير بمساعدة أبيها.
ولم يطل ترددنا بعد ذلك.. فقد أمسكني ذات يوم من يدي وأصطحبني إلى مكتب مأذون وعقدنا قراننا وعدت إلى البيت زوجة له وليكن ما يكون.... وكان أول ما فعلت هو أن اتصلت بأمي وأبلغتها بالخبر، وتركت لها مهمة إبلاغ أبي وتلقى الصدمة الأولى.. ولم يتأخر الانفجار عن موعده فقد جاء صوته في التليفون بعد قليل يرعد ويعلنني أنه لن يعترف بهذا الزواج أبدا وأنه سوف يحرمني من كل شيء.. فلم أزد عن أن قلت له من بين دموعي: قل لي مبروك يا أبي.. لقد تزوجت من الإنسان الوحيد الذي أردته ولم أرتكب جرما.. ولم أفعل شيئا يغضب ربى.. وقد جربت حظي مع غيره وفشلت.. ولكن بلا جدوى. ومثلما يحدث في ليالي شتاء الاسكندرية حين يرعد الرعد ثم تتلوه العواصف والبروق.. اكفهرت سماؤنا فجأة وتوالت الرياح. فقد اتصل أبي بصهر زوجي.. ولا أعرف كيف عرف عنوانه وتليفونه وأبلغه بزواج زوج ابنته مني، واستدعى الأستاذ الجامعي زوجي وحاول أن يعالج الأمر في البداية بالحكمة فأبلغه بأنه يفهم دوافعه لهذا الزواج، لكنه يرى أنه في النهاية مجرد

نزوة، لهذا فهو يطلب منه أن يطلقني بهدوء قبل أن تدمر هذه النزوة حياته العائلية والعملية ومستقبله العلمي.. وحاول زوجي أن يدافع عن نفسه.. ثم توقف حين بدأ صهره يهدده بأنه سوف يفقد عمله في المستشفى وفي العيادة وسيفقد عونه له في الحصول على الماجستير.. وبأنه لن يجد عملا له في هذه المدينة مادام على قيد الحياة، وفهم زوجي الموقف جيدا فقال لصهره أنه سيخلي على الفور مكتبه في المستشفى وفي العبادة وسوف ينسى موضوع الماجستير وأنه ينسحب بهدوء معترفا له بفضله.. أما عن العمل فإن الأرزاق بيد الله وحده.

وذهب زوجي إلى المستشفى والعيادة وأخذ متعلقاته الشخصية ثم طلق زوجته وعاد إلى البيت.. فهونت عليه الأمر وأكدت له أن المستقبل ممتد أمامه.. وأن راتبي يكفينا نحن الاثنين إلى أن يجد عملا آخر.. وعشنا حياتنا رغم ذلك سعداء.. لكن العاصفة امتدت لتجتاحني أنا أيضاً.. فقد اتصل صهر زوجي بمدير الفرع الذي أعمل به وأبلغه أني أسيء معاملة العملاء مما يهدد الفرع بفقدهم. وبأني كنت على علاقة بزوجي قبل الزواج ولم أتزوجه إلا بعد أن افتضح أمرنا، وأن ذلك يسيء إلى مركز الشركة.. الخ، ففوجئت بإيقافي عن العمل والتحقيق معي.. ولم أهتز كثيرا لأني واثقة من براءتي.. لكن المشكلة هي أن التحقيق طال.. ونفوذ صهر زوجي اتضح أنه أكبر مما تصورنا.. فالتحقيق الذي كان من الممكن أن ينتهي في أيام طال بفعل فاعل لكي يستمر مفتوحا إلى ما لانهاية.. ويسيء إلى سمعتي ومركزي.. وزوجي لم يترك مكانا في الثغر لم يذهب اليه باحثا عن عمل.. وكلما ذهب إلى مستشفى خاص أو إلى عيادة تلقاه المسؤول بالترحاب في البداية وطلب بياناته.. ووعده بالرد عليه خلال ايام. ثم تمر الأسابيع ولا يتصل به أحد.. وأبي أغلق أبواب رحمته نهائيا في وجهي، فلا اتصال ولا سؤال، وقد حرم على أمي وشقيقي الاتصال بي.. وكلما اتصلت به أنا تليفونيا وسمع صوتي وضع السماعة بهدوء رافضا أن يستجيب إلى نداءاتي له بأن يسمعني.. مجرد أن يسمعني قبل أن يغلق «السكة».. ومازلت أنا وزوجي نعيش على ما بقي من مدخراتنا.. لكن هذه ليست المشكلة.. وإنما أسألك ماهي جريمتنا يا سيدي لكي يقاطعني أبي.. هكذا وبلا رحمة، وما هي جريمتنا لكي يتعرض زوجي لكل هذه الحرب الشرسة في رزقه وعمله ومستقبله العلمي وأتعرض أنا لنفس هذه الحرب في عملي ومستقبلي.

إنني رغم كل شيء أحب أبي.. ولا أريد منه شيئا ولا وأنظر إلى ماله ولا انتظره، لكني أريد عطفه وحنانه واعترافه بي كابنة وزوجة لشاب شريف مستقيم طيب يتفانى في إسعادي.. ولم أجد سعادتي إلا معه، ويكفينا أننا نتنفس الحب والتفاهم والرضا. وحين نلتقي بعد يوم طويل مفعم بالخيبة في العثور على عمل لزوجي وبالمضايقات والهمسات التي أسمعها في عملي

الذي مازلت موقوفة عن ممارسته، ننسى كل ما لاقيناه من أهوال في يومنا ولا نتذكر إلا سعادتنا.. وحلمنا القديم الذي تحقق بعد كل هذه المعاناة.
فماذا يغضب الآخرين منا في ذلك يا سيدي.. وماذا نفعل لكي نعيش في سلام ونمارس حقنا في الحياة.. بلا حروب في الرزق والمستقبل.. وبلا ضغوط نفسية من جانب أبي؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

لكل اختيار في الحياة تبعاته التي نتحملها راضين بها لأنها جزء لا يتجزأ من هذا الاختيار. فما دمنا قد اخترنا بملء إرادتنا حياتنا ونحن نعرف تماما ما سوف نؤديه من ضريبة لهذا الاختيار فليس من حقنا أن نشكو منها.. أو نستهولها.
وكما أن للشقاء ضحاياه.. فإن السعادة أيضاً قد يكون لها في بعض الأحيان ضحايا هم هؤلاء الذين نختار نحن سعادتنا على حسابهم.. فإذا ما تحركوا ضدنا دفاعا عن أنفسهم أو ثأراً منا فليس علينا سوى أن نصبر ونحتسب ونلتمس لهم بعض العذر فيما يفعلون ثم نأمل بعد ذلك أن يداوي الزمن كل الجراح..
وأنتما الآن يا سيدتي في قلب العاصفة وفي قمة هياجها.. وأفضل ما تفعلان هو أن يتشبث كل منكما بالآخر حتى لا تقتلعكما رياحها الهوجاء إلى أن تهدأ وتخمد بعد حين، فلكل عاصفة مهما طالت نهاية.. ولكل حرب مهما كانت ضارية من يوم تضع فيه أوزارها، وينصرف بعده كل إنسان إلى حياته الخاصة.. وكل أملي هو ألا يكون لزوجك من زوجته الأولى أطفال يدفعون ثمن هذا الاختيار طوال العمر.. لكي تصفو لكما الحياة بلا مرارات.. أما أبوك فلا تيأسي من محاولة استرضائه إلى أن يرضى ذات يوم وسوف يفعل لو كان ذا قلب حكيم بعد أن لمس بالتجربة المريرة كيف أشقاك برفضه المتعسف لفتاك من البداية وبإصراره على تزويجك وفقا لاعتباراته هو وبغير حساب للاعتبارات الخاصة بك أنت.. ولو أوتي من الحكمة شيئا قليلا لما وقف دون أحلامك منذ البداية، ولعرف أن من تختارينه ويختارك هو أنسب الأشخاص لمشاركته الحياة، مادامت معايير الاختيار السليمة متوافرة فيه وما دمنا قد رضينا خلقه ودينه كما أمرنا بذلك الرسول الكريم.. ومن عجب أن بعض الآباء خاصة من ذوي الثراء يتجاهلون هذه الحقيقة مع أنها قديمة قدم التاريخ بل وأقدم منه أيضاً، ففي نشيد الإنشاد بالتوراة رفضت راعية الغنم سليمان الحكيم وتاجه وعرشه لأنها كانت تفضل عليه راعيا اختارها واختارته.. أما سليمان الحكيم فقد كرهته لأنه اختارها ولم تختره.. وأما راعي الغنم فقد تغزلت فيه في نشيد الإنشاد غزلا يعجز خيال الشعراء عن تصوره.. وقالت عنه عبارتها الشهيرة «حبيبي مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائي»، فإذا أنّت أحشاء الفتاة على فتى ترضى دينه وخلقه وتتوافر فيه الحدود الدنيا من التكافؤ معها فلماذا نقف في طريق سعادتها المشروعة معه؟ ولِماذا ندفعها

إلى الزواج منه بغير وليها – وهو جائز بالمناسبة عند الحنفية – وأولياؤها على قيد الحياة وأولى بشهود زواجها ومباركته. فقولي كل ذلك لأبيك يا سيدتي.. وسوف يرجع إلى نفسه ذات يوم.. وربما تفكر في دلالة ما حدث.. ورضى به تكفيرا له في الدنيا عن خذلانه لأبيه الشيخ حين جاء يتشفع عنده في خطبتك لابن صديقه فلم يرع له حقا.. وأحرجه أمام صديقه وابنه بهذه الطريقة الأليمة فلعله يعفو عن خروجك على طاعته سدادا لدين أبيه، ولعله عرف بذلك أن الحياة ديون.. وأنه قد جاء وقت سداد هذا الدين لأبيه، لأن «من عق أباه عقه ولده»، كما جاء في الحديث الشريف.. كما لعلك أنت أيضاً تعرفين ذلك فلا تقصرين في استرضائه إلى أن يعفو عن خروجك على طاعته. حتى ولو كان ذلك دفاعا عن حياتك وسعادتك.. أما زوجك فليواصل الكفاح إلى أن يجد عملا آخر، وليعتصم بالصبر على ما يناله من أذى صهره وليتجنب استثارته مهما فعل.. فلقد آثر سعادته على حساب ابنته وعلى حسابه هو أيضاً:. وهو أستاذه وصاحب فضل عليه، وليؤد حقوق زوجته الأولى كاملة وبلا مماطلة وبأقصى كرم تسمح به ظروفه.. وعليك أنت أيضاً أن تساعديه في ذلك.. لكي تندمل الجراح وتهدأ النفوس. وتشرق عليكما السماء ذات يوم قريب صافية بلا غيوم، إن شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الستـار الحديـدي

أنـا رجـل فـي الثـامنـة والثلاثيـن مـن عمـري.. متزوج منذ سبع سنوات تقريبا، ولي طفلتان توءم تبلغان من العمر ثلاث سنوات.. زوجتي تعمل سكرتيرة بإحدى شركات القطاع الخاص، وتحصل على راتب كبير من عملها يصل إلى ضعف دخلي من عملي بإحدى شركات القطاع العام.. ولكن يعوض الفرق إيراد خاص لي من بعض الأملاك.. ولا نعاني من مشكلات مادية حادة والحمد الله.

أما مشكلتي مع زوجتي فهي أنها تتعامل مع الحياة بروتينية بحتة مع عصبية زائدة وعدم إحساس بالأمان للزمن.. فهي تتصرف معي ومع البنتين وكأنها تتعامل مع آلات صماء تدار بأزرار لأداء مهام معينة.. وعندما يخرج أي فرد عن الدور المرسوم له تثور أعصابها وتدخل في طور من النرفزة والصياح مع اتهام من حولها بالبلادة والتخاذل!

لقد أصبحت أشعر أنني لست زوجاً وأبا ولكني موظف بدرجة زوج وأب ينبغي على أداء مهام معينة يوميا وفقا لجدول محدد في أوقات مرسومة مسبقا حتى لا يحدث خلل في حياتنا.. ولكي تستطيع زوجتي الوفاء بالتزاماتها تجاه بيتها وبالأسلوب الذي يساعدها على الحفاظ على عملها الذي تؤمن إيمانا غريبا بأنه الشيء الوحيد الذي يؤمن لها مستقبلها ويحميها من تقلبات الزمن، بالرغم من أننا نمتلك أرضا زراعية وعقارا ورثتهما عن أبي رحمة الله عليه.. وبالرغم من أني أشهد الله أنني أحسن معاملتها جهد الطاقة ولا يصدر مني ما يشعرها بعدم الأمان لحياتها معي.. ولكنها تتصرف وكأنها في معركة مع الزمن.. فهي في الصباح تثور على البنتين وعلى عند حدوث أي خطأ أو تأخير لأن هذا سيؤدي إلى تأخرها عن ميعاد عملها مما يعرضها لأن تتغير الصورة الطيبة المعروفة عنها في العمل!

وبعد العودة من العمل نجلس إلى المائدة في نظام شبه عسكري لكي تناول الطعام بأدب وغير مسموح لأي فرد بأي نسبة خطأ.. فإذا تساقط بعض الطعام من البنتين على مفرش المائدة أو على الأرض، انفجرت عصبيتها وصياحها بكلمات من نوع «يا غبية ياهبلة الخ».. فيمضي وقت الطعام ونحن في حالة توتر وقلق خوفا من أي خطأ، مع أن معظم أخطاء البنتين تتناسب مع عمريهما، وفي المساء لا ينبغي أن أجلس مع الطفلتين وأداعبهما إلا في أوقات معينة وظروف معينة تحددها هي.. كأن تكون في المطبخ لطهو الطعام أو عند انشغالها بتنظيف البيت.. وفيما عدا ذلك فليس من حقي أن أداعب البنتين أو أن أتحدث معهما حديث الأب لأطفاله لأنهما ينبغي أن تكونا جاهزتين تحت الطلب «لأعمال» الاستحمام والنظافة والنوم قسرا في ساعة محددة كل يوم لابد أن نطفئ لها كل أنوار البيت، وأن نكتم أنفاسنا خلالها فلا نتكلم ولا نتحرك حتى تروحا في سبات عميق.. وكل ذلك لكي يستطيعا

الاستيقاظ في ساعة مبكرة صباح اليوم التالي والنزول معها في وقت معلوم لتودعهما الحضانة وهي في طريقها إلي عملها.. ورغم هذا النظام الحديدي الذي تفرضه علينا زوجتي فكثيرا ما تتأخر رغما عنها وتواجه ذلك بالعصبية والتوتر والصياح.
أما إذا دعوتها بعد نوم الطفلتين للجلوس والتسامر معي قليلا كما يفعل كل زوجين... جاءت كارهة متأففة.. ولا يخلو الأمر من سماع بعض الألفاظ من نوع: «يالا خلصنا بقي عايزه أنام أنا عندي بكره شغل.. انا مش مرحرحة زيك!».. فضلا عن أنها دائما مرهقة وتعبانة من العمل والبيت ولا وقت عندها لمشاعر الناس المرحرحين من أمثالي.. حتى أصبحنا لا نجلس سويا لمناقشة أمور حياتنا وبناتنا. فضلا عن أنها تؤمن إيمانا لا يقبل النقاش بأن الحياة العصرية تستلزم تقسيم الأعباء العائلية إلى واجبات متساوية بالسنتيمتر بين الزوج والزوجة، يجب أن يؤديها كل منهما ودون تفكير أو تقصير أو خلل! وإلا فهو بليد وخامل ومقصر وليس عنده إحساس بالمسؤولية! أما المشاعر والأحاسيس فلا وقت لها مادام كل طرف يؤدي واجبه! وقد جربت ذلك منها حين مرضت أنا لفترة طويلة فكان تصرفها معي أنه مادام الطعام والدواء يعدان بالطريقة التي أمر بها الطبيب وفي الأوقات المحددة لها فلقد أدت واجبها تجاهي على أكمل وجه وعلى أن أشكر لذلك وأمتن!
حتى مرات خروجنا القليلة تتم في مواعيد محددة قبلها بفترات طويلة، ولأهداف محددة بدقة وبنظام صارم لا يمكن الخروج عليه.. ولا يمكن أبدا الاستجابة لرغبة طارئة مني للخروج لزيارة أحد أو للترفيه على الأطفال ونفسينا.. إنني يا سيدي لست ضد الالتزام في أي شيء، ولامع النكوص عن تحمل كل إنسان لمسؤوليته، ولا ضد عقاب الطفل إذا أخطأ بشرط أن يتناسب العقاب مع الخطأ، ولا ضد أن تعمل زوجتي وتحس بنفسها في عملها مع أني لا أهتم بعملها ولا أنظر إلى عائده ونستطيع إذا أردنا أن نحيا بدونه.. لكني ضد التوتر المستمر والألية الشديدة في كل شيء ومحاولة علاج الأمور بالعصبية. فقد تأثرت الطفلتان كثيرا بالعصبية الشديدة التي تعاملهما بها أمهما، فأصبحتا كثيرتي البكاء وكثيرتي الأخطاء وتكرران نفس الأخطاء التي تعاقبان عليها دون أي فهم.. أما أنا فقد حاولت كثيرا إصلاحها وتغيير أفكارها وتخفيف عصبيتها حتى أني أدمنت القراءة في الكتب التي تتحدث عن الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال والأسرة المثالية وفطرة الإنسان وضرورة عدم إغفال الجانب الروحي فيه.. مع قراءة الكتب الخاصة بالتعامل مع الأشخاص العصبيين.
وكانت آخر محاولاتي معها أن اصطحبتها منذ شهور معي لأداء فريضة الحج – عسى الله أن يهدي النفوس الثائرة وأن تشعر زوجتي بأنها تتعامل مع بشر وليس مع آلات متحركة.. لكن كل ذلك لم ينجح في تغييرها.. حتى أنني أصبحت الآن أكره العودة الى بيتي وأظل أسير بعد العمل في الطرقات إلى

أن ينهكني التعب فأعود للبيت وأتناول طعامي وأنام مباشرة حتى لا التقي بها ولا أسمع ولا أرى ما يضايقني.
لقد فشلت كل محاولاتي معها وأرجو أن توجه لي النصح فيما يجب أن أفعله. أو أن توجه لها كلمة فهي تقرأ أهرام الجمعة لعلها تتأثر بكلماتك الطيبة إن شاء الله، أو إن كان هناك قصور من ناحيتي فأرجو إرشادي اليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـب هـذه الرسالـة أقـول:

لا لوم عليك يا سيدي ولا تقصير من جانبك، وإنما اللوم كله والعتاب للسيدة زوجتك لهذا سوف أوجه حديثي اليها مباشرة.
إن غاية الحياة الأساسية هي السعادة، وكل ما نهتم به في حياتنا ليس في النهاية سوى وسائل نتوسل بها إلى تحقيق سعادتنا بالطرق المشروعة.. وفيما لا يغضب خالقنا أو يعرضنا لعقابه.. فإذا طغى اهتمامنا بالوسائل على اهتمامنا بالأهداف فإن محصلة سعينا في الحياة تكون فشلا ذريعا مهما حققنا من نجاح أو أمجاد.. وبهذا المفهوم فإن عملك وسيلة وليس غاية.. ولا ينبغي أن يدفعك حرصك عليه كأنه طوق النجاة الوحيد لك ضد الزمن، إلى التقصير في حقوق طفلتيك وزوجك.. أو محاولة فرض نظام حديدي يشقون به.. فالعمل يمكن أن يفقده الإنسان مهما بذل من حرص عليه.. كما يمكن له أيضاً أن يغيره إذا اقتضت الظروف ذلك.. أما العمر فانه لا يمكن استبداله أو استرجاعه من عالم الغيب لكي نحياه من جديد ونطبق فيه ما تعلمناه من تجارب الزمن إذا ضاع وانقضى في التوتر والشقاء ومحاولة إخضاع الآخرين قسرا لما يناسبنا نحن وحدنا.. فخففي الوطء كثيرا يا سيدتي واعلمي أن الملل والروتينية يورثان الاكتئاب.. وأن تجاهل مشاعر شريك حياتك وعدم مجاراته فيها بدعوى ضرورة العمل يقتل الحب ويبلد الأحاسيس، ويحول الحياة إلى كآبة عصرية منظمة لا روح فيها ولا نبض.. وتذكري دائما أن معظم مشاكل الزوجات والأزواج إنما ترجع إلى أنهم لا يحاولون أدنى محاولة أن يلتزموا مع أهلهم الأقربين بما يلتزمون به من آداب اللياقة وضبط النفس والتسامح التي يلتزمون بها في معاملة الغرباء... مع أن الأقربين أولى بالمعروف وبحسن الرعاية ورقة التعامل.. وانت قادرة بغير شك على التحكم في عصبيتك وكبح جماح نفسك لكنك لا تحاولين ذلك في تعاملك مع أسرتك. وإلا فكيف لم تفقدي عملك حتى الآن إذا كنت تتعاملين مع رئيسك وزملاء العمل والغرباء بهذه العصبية والتوتر الدائمين وأنت موظفة بقطاع خاص يستطيع أن يستغني عنك بسهولة؟. إذن فأنت تستطيعين لكنك لا تحاولين.. وتبررين لنفسك كل شيء بأنك مرهقة، وأنها ضرورات لكي تستطيعي أداء عملك ومن أقوال زوجة أمريكية سعيدة أنه: لو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزمن بها مع الأغراب لعض كل زوج على لسانه إذا

اندفعت اليه قوارص الكلم! ونفس المبدأ ينطبق على الأزواج. وزوجك.. يا سيدتي لا يبادلك عصبيتك ولا تندفع قوارص الكلم إلى لسانه ولا يحاول أن يفرض عليك ما يراه حقاً له.. فلماذا لا تبادلينه رقة برقة ومشاركة بمشاركة؟ ولماذا تتصورين أن كل من في مملكتك الصغيرة ينبغي أن يخضع لإرادتك ونظامك الحديدي الذي قد يناسبك وحدك بغير أدنى محاولة منك لتفهم حقوق الآخرين عليك.. إن تجديد الحياة من حين إلى آخر أمر ضروري لطرد طائر الملل الذي يهدد السعادة الزوجية.. وبعض الحكماء يطالبون الزوجة بأن ترتدي لزوجها كل يوم قناعا جديدا كأقنعة سالومي السبعة لكي تنبه مشاعره وتحتفظ بها دائما عند درجة الفوران.. ونحن لا نطالبك بأقنعة سالومي السبعة أو الستة، ولكن نطالبك فقط بشيء من التسامح الضروري مع طفلتيك، وبشيء من المرونة في نظام الحياة في بيتك الذي تفرضين عليه الإظلام التام كل ليلة كأنكم في زمن الحرب. وبشيء من الاعتبار لأهمية المشاعر والأحاسيس في الحياة الزوجية، وبشيء من الخروج على روتين الحياة من حين إلى آخر ترويحا للنفوس.. وليس كل ذلك عليك بعسير إذا اقتنعت، معي بأنه لا شيء في الحياة يعدل حياة زوجية هادئة وسعيدة وأبناء سعداء أسوياء.
فهل تقتنعين بذلك؟ وهل تجدين في نفسك الشجاعة لأن تطلبي المساعدة الطبية من طبيب أعصاب متخصص إذا اكتشفت حاجتك إلى ذلك وهو أمر لا شيء فيه ولا يسيء اليك بحال من الأحوال؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الصـوت الرخيـم!

مـنذ سنـوات كلـت طالبـة بالسنة الثالثة بكليـة الآداب شابة في التاسعة عشرة من عمري، ارتدي الملابس الفاخرة، واركب سيارة، واستعمل العطور المستوردة، ولا أفكر في الزواج، وأتجاهل ضاحكة مخططات أمي للتقريب بيني وبين ابن إحدى صديقاتها لكي اقتنع به فيتقدم للزواج مني.. وكل شيء في متناول يدي والدنيا باسمة والقلب شباب والحياة واسعة وعريضة.. وفي هذه الأيام المبشرة بكل خير ركبت سيارة الأسرة ذات يوم وحدي وقدتها في شوارع القاهرة.. فإذا بعربة نقل ضخمة تصدمني.. فلم أشعر بما حولي إلا بعد أيام.. ووجدت نفسي راقدة على سرير في مستشفى معصوبة العينين واللفائف تحيط بوجهي من كل جانب وقد تهشمت يداي وساقاي.. وأهلي حولي يواسونني ولا يصدقون أني.. عدت إلى الحياة.. ومرت أسابيع طويلة قبل أن يرفع الأطباء اللفائف عن رأسي وذراعي والعصابة عن عيني. فاذا بي لا أرى إلا الظلام والأطباء يحاولون التخفيف عني ويؤكدون لي أن فقدي للبصر مؤقت.. وأنه مأمول الشفاء بجراحة أخرى بعد عام أو عامين.

فانفجرت في بكاء طويل.. وتحسست وجهي فوجدت آثار الندوب في كل مكان منه.... فعرفت أني فقدت جمالي أيضاً مع بصري.. وغرقت في هاوية سحيقة من اليأس والقنوط.

وغادرت المستشفى وأنا لا أجد في أعماقي رغبة في الحياة.. وبعد أسابيع أخرى بدأت في إجراء عدة عمليات للتجميل أعادت وجهي إلى ما كان عليه.. لكني لم أستعد بصري.. ولا حرصي ولا إقبالي على الحياة.. وفي غمرة هذا اليأس ألحقني أبي بمركز لتعليم المكفوفين القراءة بطريقة «برايل»، لكي أشغل فراغي وأستطيع القراءة. ورفضت الذهاب اليه فأصر أبي على ذلك إصرارا شديدا.. وبدأت أتردد على هذا المركز ثلاث مرات كل أسبوع رغما عني.. فكان يوم ذهابي اليه يوما حزينا في حياتي.. ثم بدأت أتقبل الواقع الذي أرفضه شيئا فشيئا.. وبدأت التفت إلى صوت رخيم أسمعه في المركز فيمس قلبي رغم أني لا أرى صاحبه.. ثم بدأت أستريح إلى هذا الصوت واقترب من صاحبه المدرس بالمركز.. وأصبحت أذهب إلى المركز كل يوم بلهفة بعد أن كنت أكره الدنيا عند اقتراب موعد ذهابي اليه.. وتلاقت الأيدي وانتقل الاحساس إلى القلب.. ونما الحب في الظلام لأنه مثلي محروم من البصر.. وتعاهدنا على الزواج. وحين هممت بأن أصارح أهلي بحبي وعهدي معه، فوجئت بهم يزفون الى بشرى قرب السفر إلى الخارج لإجراء الجراحة المنتظرة لاسترداد البصر فشغلت بهذا الأمر عن كل شيء.. وتوقفت عن التردد على المركز..

وسافرت للخارج.. وأجريت الجراحة.. ومرت اللحظات.. الحرجة بسلام.. وتسلل بصيص من الضوء إلى عيني وعاد الى بصري ضعيفا.. لكنه شتان بينه

وبين بحر الظلام الذي غرقت فيه شهورا طويلة.. وأصبحت ارتدي النظارة بصفة دائمة.. وعدت إلى بلادي وقد عاد الى شبابي وحرصي وإقبالي على الحياة من جديد. وبعد عودتي لمصر بأيام.. تذكرت الصوت الرخيم الذي أخرجني من عزلتي، فتوجهت إلى المركز وبحثت عنه.. ورأيته لأول مرة فإذا به شاب أسمر نحيف حلو العينين حاد الأنف شعره أسود ومسترسل على جبينه، فخفق قلبي له بأشد مما خفق له حين سمع صوته لأول مرة.. وأقبلت عليه بكل لهفة فسعد يعودني وفرح كثيرا بعودة البصر الى.. لكنه لم يشر إلى موضوع الزواج بكلمة.. ففاتحته أنا فيه، وسألته بلا مواربة متى نبدأ خطواته فحاول أن يحلني من وعدي له لاختلاف الظروف الآن بعد أن استرددت بصري.. لكني لم أسمح له بأن يسترسل في الحديث وازداد تمسكي به وعرضت الأمر على أهلي وأصررت عليه. وتحديت الأقارب والصديقات وتزوجته عن حب واقتناع وكان عمري وقتها 22 سنة ووجدت معه بعد الزواج كل سعادتي فهو رقيق المشاعر وحنون ومتفائل ويحب الحياة إلى أقصى درجة ويحبني بشدة.. وعشت معه حياة سهلة سعيدة فهو ميسور ماديا والحمد الله.. وأنجبنا ولدا وبنتا ساعدني في تربيتهما وأغرقهما بحبه.. ثم مضت بنا الحياة.. وبعد عشر سنوات من الزواج بدأ الحب في قلبي يهدأ قليلا، وبدأت أشعر بشيء غريب تجاهه، فقد بدأت لا أحب، أن يخرج معي في زياراتي لأقاربنا أو أصدقائنا.. وأصبح ابني وابنتي هما رفيقي كلما خرجت إلى أي مناسبة.. لكني لم أدعه يشعر بذلك وساعدني في هذا أنه كان يتجنب الخروج كثيرا.

ثم كبر ابناي وبدأت ألاحظ عليهما بعض الأشياء الغريبة.. فإبني يتباهى دائما بأني أمه ويقدمني إلى زملائه ويتجنب الإشارة إلى أبيه.. وكذلك بدأت ابنتي تفعل.. كما بدأت ألاحظ أن إبني نادرا ما يتحدث مع أبيه رغم محاولات زوجي المستمرة للحديث معه.. فهو إما في حجرته أو يتحدث مع أخته أو معي.. أما مع أبيه.. فحبل الكلام منقطع غالبا وذات يوم صارحني زوجي بمشاعره.. وقال لي أنه يشعر بأن ابنه وابنته «يخجلان» منه، فنفيت له ذلك بشدة وثرت ثورة عارمة ونارديتهما وواجهتهما.. وقسوت عليهما وذكرتهما بأنه لولا أبوهما ما عاشا تلك الحياة وما وجدا كل مطالبهما وما ركبا السيارة.. إلخ. وأنكرا هذا الإحساس، لكن زوجي ظل حزينا بضعة أيام ثم استعاد هدوءه وتفاؤله مرة أخرى.. واسترحت لذلك وأملت أن تختفي هذه السحابة الى الأبد... وبعد أسابيع تصادف أن كان زوجي مريضا فلم يذهب إلى الأبد.

وبعد أسابيع تصادف أن كان زوجي مريضا فلم يذهب إلى عمله.. ولم يكن إبني يعرف بوجود أبيه في البيت فعاد من كليته وقت الظهر ومعه بعض زملائه ودخلوا الشقة يتصايحون ويضحكون ففوجئ بأبيه واقفا في الصالة.. وسأله أبوه عمن معه فرد عليه ردا مقتضبا ثم اصطحب أصدقاءه إلى الصالون وتركهِ واقفا كما كانِ في الصالة!

ويبدو أن أحد أصدقاء إبني سأله عمن يكون هذا الرجل.. فإذا بزوجي يسمعه من موقفه يرد عليه بأنه أحد أقارب أبي ينزل ضيفا عليهم لعدة أيام.. وسمع زوجي إبني ينطق بهذا الرد.. فلم يتكلم وانسابت دمعة صامتة من عينيه.. ثم توجه إلى غرفة مكتبه وانتظر خروج الأصدقاء إلى أن خرجوا وخرج معهم ابنه يودعهم.. ثم عاد فناداه وواجهه بما سمع وهو يرجو أن يكذب أذنيه.. فاذا بإبني الوقح يعترف بما قال.. ووجدت نفسي أهوى بيدي على وجهه وأطلب منه ان يعتذر لأبيه.. فاعتذر.. لكن هيهات يا سيدي أن تشفي كلمات الاعتذار هذا الجرح في قلب أبيه.. فلقد تغير حال زوجي وحال الأسرة كلها منذ هذا اليوم المشئوم.. واختفت السعادة والسرور اللذان كانا يرفرفان على بيتنا، فقد اعتصم زوجي بغرفة مكتبه واتخذها مأوى له يعمل وينام فيها ولا يغادرها إلا إلى الحمام.. أو الذهاب إلى العمل.. ولا يكلم أحدا منا، بل وجاء برجل ليقوم بخدمته ويقضي له طلباته لكيلا يحتاج إلى أحد منا.. وعندما يجيء أول الشهر يلقي لنا بمصروف البيت في الصالة وبجواره ورقة كتب عليها كلمات جارحة لكرامتي وكرامة إبني وابنتي.. ومازالت الحياة في بيتنا تمضي على هذا النحو الكئيب.. إنني أعرف أن إبني قد ارتكب جرما كبيرا في حق أبيه.. لكن ماذا أستطيع أن أفعل في طيش الشباب.. وقد كنت دائما أحثه على حب أبيه.
فهل توجه الى زوجي – وهو يحب أن تُقرأ عليه كلماتك دائما – كلمة عن العفو عند المقدرة.. لكي يعود الوئام والسلام إلى بيتنا..
وهل توجه كلمة إلى إبني هذا الذي تعدى حدودا حدود الأدب لكي يعود إلى رشده.. هل تفعل حقا؟.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

عندي مما أقوله لابنك ما لا تتسع له أنهار الصحف جميعها.. لكني لن أطيل في تكرار معان أفضت في الكتابة عنها كثيرا من قبل وسأقول له فقط.. إن إبنا يحمل مثل هذا الإحساس البشع تجاه أبيه العطوف المحب لمجرد أنه محروم من إحدى حواسه، لهو ابن لا يشرف أي أب أن يعلن انتسابه اليه، ولهو جدير حقا بأن ينكره أبوه لا أن ينكر هو أباه.. فلينظر إذن أي درك هابط وضع نفسه فيه.. وليحاول إذا أراد أن يكون جديرا بالانتماء للنوع الإنساني، أن يطهر نفسه من هذا الإحساس الدنيء.. وأن يسترضى أباه حتى يرضى، وأن يتواصل معه وأن يعرف له فضله ويفخر به على العالمين.
هذا عن ابنك يا سيدتي أما عن القصة كلها فإن خبرة السنين تقول لنا أن كل شجرة مورقة تبدأ ببذرة صغيرة تُغرس في الثرى.. ولقد غرست أنت بغير أن تتنبهي لخطورة الأمر بذرة انقطاع الخيوط بين ابنيك وأبيهما حين بدأت وهما دون العاشرة من عمرهما تلاحظين على نفسك أنك ولا تحبين الخروج إلى زيارة الأهل والأقارب. وأن ابنيك قد أصبحا بدلا منه رفيقيك الدائمين في

غدوك ورواحك.. وبالضرورة في البيت أيضاً.. وهكذا تراجع الأب من مركز الدائرة في الصورة العائلية كما ينبغي له أن يكون دائما إلى هامشها.. وأصبح لكم مجتمع خاص بكم داخل محيط الأسرة يحاول الأب النفاذ اليه فلا ينجح.. ويتلهف على أن يحادثه ابنه.. فيعزف عنه لأنه مشغول دائما بالحديث معك ومع شقيقته.. فبدأ انقطاع الخيوط منذ فترة طويلة إلى أن بلغ قمته في هذا المشهد البشع الذي يتنافى مع كل القيم الدينية والخلقية والإنسانية على السواء.

ولن تدركي يا سيدتي بشاعة ما حدث وعمق مرارته في نفس الأب الذي أغرق ابنه بحبه ومشاعره ورعايته منذ تلقاه قطعة من اللحم الغض لا تدري من أمر نفسها شيئا، إلى أن أصبح شابا يغدو ويروح وله كيانه الخاص.. إلا إذا تخيلت حالك لو لم تدركك عناية الله فتنجح الجراحة التي استرددت بها بصرك.. ووجدت نفسك ذات يوم في مثل موقفه تسمعين بأذنيك ما سمعه.. وتتجرعين مرارته.. ترى كيف يكون حالك وقتها؟. وأي لوم يمكن أن يوجهه اليك أحد إذا عافت نفسك الجميع كما فعل زوجك واتهمتهم في أعماقك بأنهم جميعا شركاء في هذا الجرم سواء بالسكوت عن مقدماته أو بعدم التصدي بحزم كاف له.

إننى ألح على هذه الصورة القاسية لأن مسؤوليتك كبيرة فيما حدث.. وفيما سوف يحدث لإصلاح الأخطاء.. فالأبناء يتبعون الأمهات في معظم الأحوال في تقديرهن للأب واحترامهن له. وإسراف أي أم في استقطاب أبنائها اليها على حساب الأب يثمر غالبا مثل هذا التباعد بين الأبناء والآباء.. لهذا فإن العلاج في يديك أنت قبل أن يكون في يد هذا الابن الطائش.. فابدئي بنفسك يا سيدتي والتصقي بزوجك الذي أحببته وتحديت به الجميع فيما مضى. واعترفي له بكل فضائله.. وتحملي غضبه واستياءه مما حدث الى أن يصفو لك.. وأعلني بتصرفاتك أمام الجميع أنك تفخرين به.. وأعيديه إلى مركز الصورة العائلية كما ينبغي له أن يكون.. ولا تخرجي إلى زيارة إلا معه ولا تقطعي أمرا دونه.. وانضمي اليه في غضبه من ابنه حتى يكفر عن جريمته ويعود إلى رشده.. وقاطعي كل من لا يحمل لزوجك مشاعر الحب والولاء والاعتزاز ولو كان ابنيك.

وعندها سوف تعود الأمور إلى طبيعتها وتعود البهجة والسرور إلى بيتك.. وسيجد الأب نفسه يشفق في أعماقه على هذا الابن الشارد من غضب ربه عليه.. ومن تنكيل الدنيا به إذا لم يعف عنه بقلب صاف.. وإذا لم يغفر له ربه ما كان من أمره وما جرى.. والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الأيام الجميلـة!

هـذه هـي رسـالتـي الثـانـيـة اليـك.. أما رسالتي الأولى فقد كانت منذ حوالي سبعة شهور.. وقد اخترت لها حين نشرتها عنوان «الصوت الرخيم».
وقد نشرت الرسالة صباح يوم الجمعة.. وقُرئت على زوجي وهو في عزلته بغرفة مكتبه بعيدا عنا وناداني وكنت قد قرأتها قبله وواجهني بكل شيء في الرسالة.. وقال لي كلاما اتهمني فيه بأني أسأت تربية أولادنا. فوقفت صامتة لا أرد عليه خاصة أني عرفت أنك أيضاً تتهمني بأني المسؤولة عما حدث.. وبأن إبني وابنتي قد قلداني فيما فعلا وأقسم لك صادقة انني لم أتعمد ذلك وتمالكت نفسي وأنا أسمع إهانات زوجي لي لأني أعرف الى أي مدى جرحت كرامته.. ثم هممت بالكلام فغلبتني دموعي الصامتة في البداية ثم علا نحيبي ولم أعد أستطيع السيطرة على نفسي.. وأجهشت بالبكاء.. فإذا بزوجي ورفيق شبابي وعمري يقترب مني ويربت على شعري بكل حنان كما كان يفعل حين يسمع بكائي في أيامنا السعيدة.. وراح يطيب خاطري بل ويعتذر لي عما قاله وعما فعل.. ثم ابتسم وقال على أية حال ليس أمامنا إلا أن تفعل ما أشار به علينا صديقنا على الورق و «يقصدك».. فوافقته بكل حماس.. وعاهدته على مواجهة طيش ابننا إلى أن يعود إلى رشده ويعرف فضل أبيه عليه.. وبدأنا منذ ذلك اليوم 8/12 الماضي لا تأكل معه ولا نكلمه.. وإذا جاء ليجلس في مكان نجلس فيه نهضنا منه معا وجلسنا في غرفة أخرى.. وإذا حاول الكلام معنا في هذا الموضوع أو في أي موضوع عام صددناه.. بل وخرجت مع زوجي وابنتي بدونه. وسهرنا في المسرح وجاء يوم عيد ميلاده في 3 فبراير الماضي فلم نحتفل به كالعادة، ولم نقل له أي كلمة.. ورغم أن قلبي كان ينفطر عليه وأنا أرى نظرات الذل في عينيه وفي نبرات صوته، حتى كدت أكثر من مرة أضعف وأذهب اليه وأحتضنه وأقبله، فإنني غالبت نفسي تضامنا مع أبيه... وحين سمعناه أنا وزوجي ذات مرة يبكي في الليل، قاومت نفسي وغالبت دموعي ونهرته طالبة منه أن يكف عن البكاء وأن يذاكر.. ثم جاء بعدها بأيام وبكي أمامنا بحرقة وأمسك يدي أبيه وقبلهما وقبل يدي فلم نستطع إلا أن نغفر له - ومن قلب صاف - كل ما كان من أمره.. وسعد زوجي بابنه وبلغنا عنان السماء من السعادة حين فوجئنا بإبني يدعو زملاءه في الجامعة الذين حدث بسببهم ذلك المشهد البشع إلى البيت يوم 20 مايو الماضي ويقدم لهم أباه ويقول لهم إن هذا الرجل العظيم هو أبوه.. وأنه يفخر بذلك.. ولا أستطيع أن أصف لك ما استشعرته في تلك اللحظة. إحساس الرضا والراحة اللذين انطبعا على وجه زوجي الأسمر الوسيم.. ولا إحساس الفرح الذي حاش في صدري وعشنا ليلة سعيدة وعادت أيامنا الحلوة.. وأنا أكتب لك هذه الرسالة من بيتي الذي عادت البسمة والحب والدفء والحنان إلى قلوب كل أفراده.. ولا نستطيع أن نفيك حقك من

الشكر.. فابني يقول لك أنه قد تاب عما فعل وندم عليه وعلى كل لحظة من عمره «خجل» فيها من أبيه.. ويطلب مني أن أسألك كيف يكفر عن ذنبه هذا. ويقول إنه يريد أن يراك لأنك قلت عنه في ردك كلاما قاسيا.. وهو يقسم لك أنه ليس سيئا إلى هذه الدرجة، لكنها همسات الشيطان لعنة الله عليه.. وابنتي تقول لك أنك أيقظتها من غفلة كادت تذهب بها.. وأما حبيبي ونور عيني زوجي فيقول لك أنك كنت خير معلم لزوجته الفيلسوفة! تصور حتى في لحظات السعادة لا أنجو من مشاغباته!
أما أنا فأقول إنك وإن كنت قد قسوت على، فإنك قد أيقظت في قلبي الحب القديم لزوجي الذي كان قد بدأ يهدأ.. حين طالبتني بأن التصق بزوجي.. فقد فعلت ذلك فاشتعل الحب مرة أخرى كما كان في الأيام الجميلة.. ورأيت زوجي مرة ثانية وكأنني اكتشفه من جديد فالحمد لله الذي أعاد السعادة لأسرتي.. والشكر ترسله دموعي لك والسلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ولكـاتـبة هـذه الرسالـة أقـول:

الحب يا سيدتي كلهب المدفأة التقليدية يحتاج إلى أن تلقي اليه من حين إلى آخر ببعض قطع الخشب وإلا ذوي اللهب وانطفأ.. وقصتك مع زوجك خير دليل على ذلك.. فحين استقبلت مدفأتكما بعد تلك الظروف المضطربة دفعة جديدة من الأخشاب، ارتفع الأوار من جديد، وتراقص اللهب سعيدا.. وعاد التفاهم والاتحاد في الرؤية والإحساس.. ووجدتما الحل السعيد لأعقد المشاكل.. وهكذا الحال في معظم الأحيان.. لهذا فقد حرصت في ردي السابق على أن ألفت نظرك إلى أن علاج آية مشكلة لابد أن يبدأ بعلاج أسبابها قبل محاولة إصلاح نتائجها.. وأنت يا سيدتي قد اقتنعت بذلك رغم تألمك مما جاء في ردي.. وبدأت بالخطوة الصحيحة لعلاج الأسباب.. فكانت النتائج سعيدة ومبهرة بحمد الله.. وما فعلته مع زوجك لمواجهة طيش ابنك يعد درسا في التربية يستحق الإشادة فلقد توحدتما معا في وجه شرود ابن غاب عنه رشده.. ولم تستسلما لعاطفتكما تجاهه إلى أن استفاق.. وجاء إليكما نادما.. واسمحي لي يا سيدتي بأن أقول لك أن ذلك لم يكن ليتحقق إلا وأنت في صف زوجك غاضبة له ولصيقة به.. ولم يكن ليتحقق بعشرات المواعظ والكلمات عن حق الأب على ابنه مع استمرار علاقتك بابنك على ما كانت عليه في الأيام الخالية.. لهذا فقد أثمر العلاج الصحيح الذي اتبعتماه نتائج صحيحة مع ابن سويّ في النهاية كان شاردا لفترة.. ثم رجع إلى نفسه.. فإذا كان لي أن أضيف إلى ذلك شيئا فهو أني ما قصدت إيلامك بردي السابق اليك.. وإنما قصدت أن أضعك أمام نفسك وأنا أمشي في ذلك على الشوك دائما.. لأني أعرف جيدا أنه يشق على الإنسان أن يواجه نفسه.. لكن ما حيلتي وأنا أعرف أيضاً أن الرأي شهادة يسأل عنها المرء أمام خالقه وليس

أمام طالبها.. ومن واجبه ألا يرضي بها غير ضميره سواء أخطأ في اجتهاده أم أصاب.. فعفوا لإيلامي السابق لك.. وهنيئا لك عودة طائر الحب والسعادة إلى عشه القديم في بيتك، وأهلا بابنك العائد إلى معدنه الأصيل بعد غياب قصير.. ومرحبا به في أي وقت يشاء بعد أن أصبح جديرا بحب أبيه العظيم وحبك وحب شقيقته.. وجديرا أيضاً باحترامي، لأن العائد إلى الطريق القويم أهل لكل الاحترام، وليعلم أن صدق الندم والاستغفار كفيلان بتطهيره نهائيا من إثمه، بعد أن عفا عنه أبوه واستحق عفو ربه ومغفرته التي تسع كل شيء.. وسوف يكون جديرا بكل شيء طيب في الحياة.. وشكرا لك أن أطلعتنا على هذه النهاية السعيدة لقصتك.. وتمنيات صادقة لك ولأسرتك بأن ترفرف عليها دائما أجنحة الحب والوئام والسلام بإذن الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

الفهرس:

مقدمة 5

طاحونة الهواء 7

بـدايـة الـطريـق 15

الدائرة الملعـونـة 18

شـجـرة الـصـبـر! 24

النداء 31

دائـرة النـدم 33

لحظـة طـيـش 36

عـشـرة العـمـر 40

دمـوع الـصمـت! 45

الـوتـر المـشـدود 53

الـفـراش الـخـالى 57

موج البـحـر 60

بـلا انـفـعـال! 64

الشجـرة الـعـاريـة 69

الشهادة 75

الـسـهـم الأخـيـر! 79

لـهـيـب الـجـحـيـم! 82

وخـــــز الـشـوك 86

الانتـقـام 93

الحـلـم الـغـامـض 96

المشهـد القـديم! 101

بحـر الشقـاء! 105

العيـون الحمـراء 108

الاتهـام الصامـت 113

العمـر لحظـة! 116

قلـب العاصفـة! 119

الستـار الحديـدي 126

الصـوت الرخيـم! 131

الأيام الجميلـة! 136

الفهرس: 141